علوم اللغة

(٤)

دراسات علمية مُحكَمة تصدر أربع مرات فى السنة

كتاب دوري

المجلد الأول | العدد الرابع | ١٩٩٨

الناشر
دار غريب
القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم اللغة

دراسات علمية مُحكّمة تصدر أربع مرات في السنة

كتاب دوري

مج ١ ، ع ٤ ١٩٩٨

قيمة الاشتراك السنوى :

٨ جنيهًا مصريًا (داخل جمهورية مصر العربية)

٨٠ دولارًا أمريكيًا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

سعر العدد :

٢ جنيهًا مصريًا (داخل جمهورية مصر العربية)

٢٠ دولارًا أمريكيًا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

أسعار خاصة للطلبة

المراسلات :

توجه جميع المراسلات الخاصة إلى :

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

ص.ب (٥٨) الفوارين - القاهرة ١١٤٦١ القاهرة - جمهورية مصر العربية

تليفون ٣٥٤٢٠٧٩ - فاكس ٣٥٥٤٣٢٤

المحتويات

تقديم

هذه سلسلة جديدة من البحوث المتخصصة فى علوم اللغة ، تركز على اللغة العربية ، وتنشر الدراسات الجادة فى بنيتها وقضاياها ، وتهتم بالتراث اللغوى العربى ، وترحب بالاتجاهات المعاصرة .

هدف هذه السلسلة أن تشارك فى النهوض بالبحث العلمى فى اللغة العربية . تضم دراسات فى الأصوات والصرف والنحو والدلالة والمعجم ، وترحب ببحوث فى علم اللغة المقارن وفى علم اللغة التقابلى وفى القضايا اللغوية المعاصرة . تتلقى من الباحثين أعمالا جادة بوجهات نظر مبتكرة وتوثيق علمى دقيق . ولا تقبل الكتابات التى لا تدخل فى هذا النسق .

البحوث التى تنشر فى هذه السلسلة سيكون لها حيز مناسب ، حتى يتمكن الباحث من التوثيق الكامل وتقديم الفكرة مدعمة ومدققا فيها . ولهذا نفضل أن يكون البحث الواحد بين خمسين صفحة ومائة صفحة ، وهو نمط جديد ثبت أنه يصل ببحوث علمية إلى مستوى طيب .

يخضع النشر فى هذه السلسلة لعملية تحكيم علمى دقيق ، اعتمادا على رأى كبار المتخصصين فى علوم اللغة فى الجامعات العربية والأجنبية . ونرجو أن يجد التحكيم العلمى مزيدا من القبول لدى الباحثين ، يتم التحكيم لصالح المستوى العلمى . وتجد ملاحظات المحكمين صدى طيبا عند أكثر الباحثين ، ويظل كل بحث منسوبا إلى صاحبه معبرا عن رأيه ودالا على جهده ، وهو وحده المسئول عن الدفاع عنه .

هذا النمط الجديد من السلاسل العلمية المحكمة يعد بداية مهمة فى مجال علوم اللغة ، يدين بالفكرة - من حيث الشكل - إلى زملاء أعزاء سبقوا فاصدروا من قبل دراسات عربية وإسلامية ، وزملاء بادروا إلى نشر كتب دورية تضم بحوثا علمية محكمة فى مجالات المكتبات والمعلومات . وهو نمط يجعل للناشرين الجادين مكانا فى النشر العلمى المتخصص ، ويفتح للباحثين آفاقا جديدة . وكل ما ينفق فى هذه السلسلة من جهد أو مال هدفه خدمة البحث العلمى بشكل يصل بنا إلى العمل المعمق الجاد الذي يقدم الجديد إلى المعرفة .

وتخطط السلسلة لإصدار اربعة أعداد فى كل سنة ، وتعهد إلى أحد كبار الأساتذة فى علوم اللغة بالإشراف على عدد او أكثر ، حرصا على تنوع الاتجاهات وتكامل الخبرات ، مع الالتزام بالموضوعية والتحكيم العلمى .

والأمل كبير فى ان تكون هذه السلسلة الفصلية محققة لجانب من أمل المتخصصين فى علوم اللغة وأداة للتواصل العلمى وتبادل الرأى من أجل مزيد من البحوث الجادة فى اللغة العربية .

أ.د. محمود فهمى حجازى

شروط النشر

- يقبل هذا الكتاب نشر الدراسات والأبحاث فى علوم اللغة ، ونتائج البحوث الاستكشافية ، والمراجعات العلمية، وتقارير الممارسات والمشروعات والأنشطة العلمية، وعروض الكتب اللغوية المتخصصة العربية أو الأجنبية .
- يفضل أن تكون الدراسة في حدود ١٥٠٠٠ كلمة ، والمراجعة العلمية في حدود ٦٠٠٠ كلمة ، والتقرير في حدود ٢٠٠٠ كلمة ، وعرض الكتاب في حدود ١٥٠٠ كلمة .
- يشترط ألا يكون العمل قد سبق نشره أو قدم للنشر في أي مكان آخر .
- تخضع الأعمال المقدمة للتحكيم ، ويخطر صاحب العمل بقبوله أو بملاحظات التحكيم أو الحاجة إلى المراجعة .
- تقدم الأعمال بخط واضح ، أو مطبوعة ، على الحاسوب .
- تقدم الرسومات بشكل جاهز للاستنساخ المباشر .
- يراعى فى الاستشهادات المرجعية الدقة في التوثيق واكتمال بيانات الوصف ، والاطراد في ترتيب عناصر البيانات .
- يعبر ما ينشر في هذا الكتاب عن رأي كاتبه ولا يمثل بالضرورة رأي المحرر أو الناشر.
- لا يعاد نشر أي عمل مما ينشر في هذا الكتاب الدوري إلا بإذن كتابي من الناشر .
- يخضع ترتيب المواد في النشر لاعتبارات فنية ولا علاقة له بمكانة المؤلف أو قيمة العمل .

علاقات الاقتران فى الجملة العربية
دراسة فى الفكر النحوى
والدراسات اللغوية الحديثة

د. محمد رجب محمد الوزير

مقدمة البحث :

مجال هذا البحث هو علاقات الاقتران فى الجملة العربية دراسة فى الفكر النحوى والدراسات اللغوية الحديثة . ويقصد بالاقتران هنا : التلازم بين مفرد نحوى ومفرد نحوى آخر أو أكثر ، أو بين مفرد نحوى وجملة ، أو بين مركب ومفرد أو بين أسلوب وآخر أو أكثر ، أو بين جملة فرعية وأخرى رئيسة فى موقع واحد أو وظيفة أو حُكْم أو معنى أو غير ذلك .

ترجع أهمية هذه الدراسة إلى أنها أول دراسة جمعت علاقات الاقتران على المستويين : التطبيقى متمثلاً فى المحور الأول الخاص بدراسة علاقة الاقتران فى الجملة العربية ، والنظرى متمثلاً فى المحور الآخر الخاص بدراسة علاقات الاقتران فى الفكر النحوى العربى ومقابلة هذا الفكر بالاتجاهات اللغوية الحديثة ، خاصة عند العلماء الأوربيين الذين قاموا بدراسة العربية .

وتهدف هذه الدراسة إلى ما يلى :

---

* أجيز هذا البحث بعد تحكيمه فى أغسطس ١٩٩٦ .

أولاً : بيان أنواع العلاقات التي تربط صور الاقتران فى الجملة العربية وفى الفكر النحوى العربى .

ثانيًا : توضيح صور الاقتران التى تربطها كلُّ علاقة وتحليل مكونات تلك الصور.

ثالثًا : دراسة أهم القضايا التى تتعلق ببعض العلاقات .

رابعًا : مقابلة الفكر النحوى العربى فى مجال علاقات الاقتران بالاتجاهات اللغوية الحديثة عند العلماء العرب والأوروبيين الذين قاموا بدراسة العربية.

مادة هذا البحث على المستوى التطبيقى نصوص من القرآن الكريم ، وعلى المستوى النظرى آراء النحاة العرب وجهودهم ، على اختلاف المدارس النحوية التى ينتمون إليها ، جُمعت من المظان التالية : الكتاب لسيبويه (ت ١٨٠ هـ) والأصول لابن السراج (ت ٣١٦ هـ) ، والخصائص وسر صناعة الإعراب لابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) ، ومشكل إعراب القرآن للقيسى (ت ٤٣٧ هـ) ومنثور الفوائد لابن الأنبارى (ت ٥٧٧ هـ)، وشرح المفصل لابن يعيش (ت ٦٤٣ هـ) ، وشرح التسهيل لابن مالك (ت ٦٧٢ هـ) ، وشرح الكافية للرضى (ت ٦٨٦ هـ) ، والجنى الدانى فى حروف المعانى للمرادى (ت ٧٤٩ هـ) ، وشرح شذور الذهب ومغنى اللبيب لابن هشام الأنصارى (ت ٧٦١ هـ) ، والأشباه والنظائر فى النحو للسيوطى (ت ٩١١ هـ) .

إلى جانب الجهود التى بذلها النحاة العرب فى توضيح أجزاء صور الاقتران ، كان للعلماء العرب والأوربيين دور فى إبراز إحدى علاقات الاقتران مثل الدكتور تمام حسان الذى خصَّ علاقة « التلازم » فى الجملة العربية

بالدراسة فى كتابه : اللغة العربية معناها ومبناها ، أو إبراز أجزاء من صور الاقتران أمثال : زوكن وكارل بروكلمان ورايت ونولدكه وفولفديترش فيشر .

أفاد الباحثُ من الجهود التى بذلها النحاة العرب والعلماء المحدثون من العرب والأوربيين فى مجال علاقات الاقتران فى العربية وفى الفكر النحوى وأضاف إليها الأبعاد التالية :

أولاً : إضافة مكونات أخرى جديدة إلى مكونات صور التلازم التى ذكرها الدكتور تمام حسان فى كتابه : اللغة العربية معناها ومبناها ، وكذلك إضافة تسع صور جدبدة إلى الصور التى ذكرها والتى بلغت ثمانى عشرة صورة ذكرت جميعًا فى البحث .

ثانيًا : القيام بدراسة الصورة السادسة عشرة من صور التلازم فى الجملة ، تلك الصورة الخاصة بالتلازم بين همزة التسوية و « أم » ، وتحليلها وإبداء رأى فيها للباحث لم يطرح فيما سبق من دراسات على حد مبلغ علمه .

ثالثًا : حصر العلاقات التى تربط صور الاقتران فى الفكر النحوى العربى فى خمسة أنواع ، وكذلك حصر هذه الصور ومكوناتها ودراستها وتحليلها .

رابعًا : مقابلة الفكر النحوى العربى فى مجال بعض علاقات الاقتران بالاتجاهات اللغوية الحديثة عند العلماء العرب والأوربيين الذين قاموا بدراسة العربية .

خامسًا : طرح بعض القضايا التى تتعلق بعلاقات الاقتران فى الفكر النحوى العربى ودراستها وتحليلها وإبداء رأى الباحث فيها ، مثل قضية مدى مشابهة الفعل المضارع الاسم ومشابهة الفعل الماضى الاسم .

منهج التحليل :

يقوم المنهج التحليلى لدراسة علاقات الاقتران فى الجملة العربية على عدة أسس توضح فى النقاط التالية :

(١) ترتَّب علاقات الاقتران فى البحث كالتالى : العلاقات المتعلقة باللفظ فالعلاقة المتعلقة بالمعنى ، فالعلاقة المتعلقة بالخصائص المشتركة بينهما .

(٢) تندرج تحت كلِّ علاقةٍ صُوَرُ الاقتران التى تربطها هذه العلاقةُ ، كما تندرج تحت كل صورة منها أجزاؤها البسيطة ، من مفردات نحوية ، أو مركبات أو جمل أو أساليب .

(٣) ترد غالبًا صور الاقتران طبقا لنظام الأنماط التالية :

اقتران مفرد نحوى بمفرد نحوى آخر ، فاقتران مفرد نحوى بمفردين آخرين ، فاقتران مفرد بثلاثة مفردات . وهكذا وفى أحيان قليلة يرد العكس حسب طبيعة صورة الاقتران ؛ فيرد اقتران ثلاثة مفردات نحوية بمفرد نحوى مثلا . ويطبق نظام ورود هذه الأنماط الخاصة بصور اقتران المفرد أيضًا على صور اقتران المركب والجملة والأسلوب .

(٤) تُرتَّب أجزاء كل صورة ، من مفردات أو مركبات أو جمل أو أساليب ترتيبًا ألفبائيا .

(٥) تذكر أجزاء صور الاقتران من مفردات نحوية أو غيرها بإيجاز فى المتن ثم تفصل بالهامش ويشار إلى ذلك .

(٦) يراعى فى دراسة المحور الخاص بعلاقات الاقتران فى الفكر النحوى العربى أن يمثل فيها برأى جمهور النحاة وبآراء نحاة ينتمون إلى مدارس نحوية متنوعة ، فيرد ، على سبيل المثال ، رأى الخليل بن أحمد وسيبويه وهما

من المدرسة البصرية ، والفراء من الكوفية ، وابن جنى من البغدادية والقاسم بن أحمد اللورقى وابن مالك من الأندلسية ، وابن هشام الأنصارى والسيوطى من المصرية .

(٧) إذا وردت صورة اقتران مفرد نحوى بآخر مثلاً فى فكر أحد النحاة أو مدرسة نحوية أو مجموعة من النحاة ينتمون إلى مدارس مختلفة ، أشير إلى ذلك وإلى الرأى المخالف إنْ وُجِد .

(٨) إذا ورد فى البحث رأى للباحث فى إحدى القضايا أتى بأدلة على إثبات رأيه من الاستعمال اللغوى ومن آراء النحاة .

وتقسم دراسة علاقات الاقتران فى البحث إلى محورين :

الأول : علاقة الاقتران فى الجملة العربية .

الآخر : علاقات الاقتران فى الفكر النحوى .

وبيان هذين المحورين بالتفصيل كما يلى :

المحور الأول : علاقة الاقتران فى الجملة العربية :

يقصد بالاقتران فى الجملة العربية « تلازم مفردٍ نحوى ومفرد نحوى آخر أو مفرد نحوى وجملة أو جملة فرعية وأخرى رئيسة فى الجملة العربية الواحدة » .

وتورد فيما يلى صورُ التلازم فى الجملة كما ذكرها دكتور تمام حسان[1] ويضيف الباحث إلى بعض مكونات هذه الصور مكونات أخرى ، كما يضيف أيضًا تسع صور جديدة إلى الصور التى ذكرها دكتور تمام حسان والتى بلغت ثمانى عشرة صورة ، ثم يقوم بدراسة الصورة السادسة عشرة الخاصة بالتلازم بين همزة التسوية و«أم» وتحليلها وإبداء رأيه فيها :

(١) تلازم الموصول وصلته .

(٢) تطلب كلا وكلتا مضافًا إليه معرفة مثنى .

(٣) تطلب العائد مرجعا .

(٤) التلازم بين حرف الجر ومجروره .

(٥) التلازم بين المبهم وتمييزه .

(٦) التلازم بين واو الحال وجملة الحال .

(٧) التلازم بين حرف العطف والمعطوف .

(٨) التلازم بين النواصب والجوازم والفعل المضارع .

(٩) التلازم بين الجواب الذى لايصلح شرطا والحرف الرابط .

(١٠) التلازم بين الفعل والفاعل .

(١١) التلازم بين المضاف والمضاف إليه .

(١٢) التلازم بين المبتدأ والخبر .

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها (بتصرف) : ٢١٧ - ٢٢٠ .

(١٣) التلازم بين الموصوف وصفته .

(١٤) الأدوات التى تتطلب الأسماء كليتما ، وإذا الفجائية وإنَّ وأخواتها والنواسخ الأخرى الداخلة على الجملة الاسمية .

ويضيف الباحث إلى هذه الأدوات : واو المعية ، وأداة الاستثناء «إلا» التى تقع فى كلام تام موجب أو تام غير موجب ، وهاء التنبيه التى تصحب اسم الإشارة المجرد من كاف الخطاب ، وأدوات النداء ، وأدوات القسم .

(١٥) الأدوات التى تتطلب الأفعال كإنْ ولو ولولا ولوما والا وهلَّا . ويضيف الباحث إليها الأداة « قد » .

(١٦) التلازم بين همزة التسوية و « أم » .

(١٧) التلازم بين همزة التعيين و « أم » .

(١٨) التلازم بين الجمل الفرعية والجمل الرئيسة .

ويضيف الباحث إلى الصور السابقة تسع صور جديدة ، هى :

(١٩) التلازم بين واو « رُبَّ » ومجرورها .

(٢٠) التلازم بين البدل والمبدل منه .

(٢١) التلازم بين التوكيد والمؤكَّد .

(٢٢) التلازم بين عطف البيان ومتبوعه .

(٢٣) التلازم بين المعطوف والمعطوف عليه .

(٢٤) التلازم بين بينما (أو بينا) والجملة الاسمية .

(٢٥) التلازم بين الحال وصاحبها .

(٢٦) التلازم بين جملة القسم وجملة جوابه .

(٢٧) التلازم بين تاء القسم أو لامه والمقسم به لفظ «الله» .

دراسة التلازم بين همزة التسوية و « أم » :

تقع همزة التسوية متلوةً بحرف العطف « أم » دائمًا فى جملة خبرية مثل قوله تعالى : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾ (1) .

وتحلل هذه الآية إعرابيا لدى النحاة على النحو التالى :

سواء : خبر مقدم مرفوع .

عليهم : جار ومجرور متعلق بسواء .

الهمزة : همزة التسوية .

أنذرتهم : الجملة من الفعل والفاعل حلّت محل مصدر مؤول بالصريح (الإنذار) مبتدأ مؤخر مرفوع ، وهم : مفعول به .

أم : حرف عطف .

لم تنذرهم : الجملة من الفعل المضارع المنفى والفاعل المستتر حلت محل مصدر مؤول بالصريح (عدمُ الإنذار) معطوف على المبتدأ (المصدر المؤول) ، وهم : مفعول به .

يرى سيبويه (2) (ت ١٨٠ هـ) أن همزة التسوية أصلها همزة استفهام خرجت عن معنى الاستفهام الحقيقى إلى معنى التسوية . وتابع سيبويه فى رأيه هذا كلٌّ من ابن يعيش (3) (ت ٦٤٣ هـ) ، وابن هشام

---

(1) سورة البقرة ، الآية ٦ .

(2) ذكر سيبويه (فى كتابه : ٢/ ٢٣١) « أن التسوية أجرت ما ليس باستخبار ولا استفهام على حرف الاستفهام ؛ لأنك تسوّى فيه كما تسوّى فى الاستفهام . التسوية أجرته على حرف الاستفهام » .

(3) قال ابن يعيش (فى شرح المفصل : ٢/ ١٧) : « وقد أجرت العرب أشياء اختصوها على طريقة النداء لاشتراكهما فى الاختصاص فاستعير لفظ أحدهما للآخر من حيث شاركه فى الاختصاص كما أجروا التسوية مجرى الاستفهام ، إذ كانت التسوية موجودة فى الاستفهام وذلك قولك : أريد عندك أم =

الأنصارى [1] (ت ٧٦١ هـ) ، والسيوطى [2] (ت ٩١١ هـ) .

ويرى الباحث أن همزة التسوية ليست فى الأصل همزة استفهام خرجت عن معنى الاستفهام إلى معنى التسوية ، كما قال سيبويه ومن تبعه من النحاة ، بل هى همزة « أنْ » المصدرية وقد حذفت نونُها وبقيت همزتها . واستند الباحث فى رأيه هذا إلى عدة أمور :

الأول : أن الجملة التى تقع فيها همزة التسوية خبرية وليست إنشائية حتى نشبِّهها بالجملة التى تقع فيها همزة الاستفهام المغنية عن « أىّ » فى مثل : أزيدٌ عندك أم عمروٌ ؟ .

الثانى : أن حذف النون من « أنْ » قد يكون لطول الجملة التى تقع فيها أو يكون حذفُها اعتباطا كما يحدث لبعض الكلمات التى تشتمل على النون فى العربية [3] .

= عمرو ؟ وازيد افضل ام خالد ؟ . فالشيئان اللذان تسأل عنهما قد استوى علمك فيهما . ثم تقول : ما أبالى أقمت أم قعدت و ﴿ سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم ﴾ فأنت غير مستفهم ، وإن كان بلفظ الاستفهام لتشاركهما فى معنى التسوية » .

(١) أوضح ابن هشام الأنصارى (فى مغنى اللبيب : ١/ ١٧) أنَّ الهمزة قد تخرج « عن الاستفهام الحقيقى ، فترد لثمانية معان : أحدها : التسوية » .

(٢) أشار السيوطى (فى الأشباه والنظائر : ٤/ ٨) أن همزة التسوية فى مثل : سواءٌ علىَّ أقُمْتَ أم قعدت « قد خُلِع منها معنى الاستفهام » .

(٣) يرى سيبويه (فى كتابه : ١/ ١٨٦) أن النون « حذفوها كما حذفوها من اللذَيْن والذين حيث طال الكلامُ ... وقال الأخطل (فى ديوانه : ٤٤) :

أبَنِى كُلَيْبٍ إنَّ عَمَّىَّ اللذا ... سَلَبا الملوكَ وفككا الأغلالا »

وذكر السيوطى (فى الأشباه والنظائر : ١/ ٦١٩ ، ٦٢٠) أن « النون تشابه حروف المد واللين من ستة عشر وجها : ... الثالث : أن الجازم قد يحذفها فى (لم يكُ) كما يحذف الواو والياء والألف ... أن النون قد تحذف اعتباطا عينا ولاما فى منذ ولدن ... السابع : أنها قد تحذف للطول » . =

الثالث : أن اقتطاع الهمزة من الحرف « أنْ » مع بقاء دلالتها على المعنى الأصلى قبل الاقتطاع ، وهو المصدرية ، أمر له نظائر فى العربية ، مثل ذلك السين الدالة على المستقبل فإنها ، على الأرجح ، مقتطعة من «سوف» ودالة على معناها [1] ، وكذلك الحروف الناسخة : « إنَّ » و «أنَّ» و « كأنَّ » و « لكنَّ » ، فإنها قد ترد مخففة من الثقيلة مع بقاء دلالاتها على معانيها الأصلية قبل التخفيف .

الرابع : أن المبتدأ المؤخر - طبقًا لرأى الباحث - فى مثل قوله تعالى : ﴿ سَوَاءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تُنذِرْهُمْ ﴾[2] هو المصدر المكوَّن من (أنْ) التى حذفت نونها والفعل الماضى [3] « أنذر » ، وهو مصدر مؤول بالصريح

= إضافة إلى ذلك فإنَّ النون قد تحذف من كلمة ايمُن (الله) ؛ يقول الجوهرى (فى الصحاح : مادة : ى م ن) : « ايمُنُ (الله) : اسم وضع للقسم وهو جمع يمين ولم تجئ فى الأسماء ألف وصل مفتوحة غيرها . وربما حذفوا منه النون فقالوا : « (ايمُ) الله ، بفتح الهمزة وكسرها » .

(١) قال ابن مالك (فى شرح التسهيل : ١/ ٢٥) : « جاء عن العرب : سف أفعل ، وسَوْ أفعل ، وسَى أفعل وهن أغربهن ، حكاها صاحب المحكم . واتفقوا على أن أصل سف وسو وسى « سوف » ، وزعموا أن السين أصل برأسها غير مفرعة عن سوف ، ولكنها منها » .

وذكر المرادى (فى الجنى الدانى : ٥٩ ، ٦٠) أن « السين عند البصريين حرف مستقل ، وقد ذهب الكوفيون إلى أنها مقتطعة من « سوف » كما قالوا : سو وسى وسف واختاره ابن مالك ، قال : لأنه أبعد عن التكلف ، ولأنهم أجمعوا على أن هذه الثلاثة فروع « سوف » ، فلتكن السين كذلك » .

وقد أيَّد مذهب الكوفيين وابن مالك كلٌّ من رايت وبروكلمان ، فيرى وليم رايت Wright, W. (فى كتابه : Agrammar of the arabic language II, 8 (C), 18 - 19) أنه « لكى نعبِّرَ عن الاستقبالية بصورة أكثر وضوحًا فإننا نستعمل الظرف « سوف » وشكله المختصر « سَ » الذى يوضع فى نهاية الأمر بوصفه بادئة للفعل » ، ويرى كارل بروكلمان Brockelmann, Carl (فى كتابه : Arabische Grammatik, 86 (g), s. S. 115) أن « الحرف « سَ » مقتطع من سوف وأنه يعطى الفعل المضارع معنى الاستقبال المحقَّق » .

(٢) سورة البقرة : الآية ٦ .

(٣) تدخل « أنْ » المصدرية على الفعل الماضى فى العربية مثلما تدخل على المضارع ، وفى ذلك يقول رضى الدين الاستراباذى (فى شرح كافية ابن الحاجب : ٢/ ٢٣٤) : « إنَّ (أنْ) التى ليست بعد =

(إنذار) مرفوع . والخبر المقدم هو « سواء » .

أما المعطوف بأمْ على المبتدأ (المصدر المؤول بالصريح) فأرى أيضًا أنه مصدر مؤول بالصريح حُذف منه الحرف المصدرى لطول الجملة . وقد ورد هذا المعطوف ، فيما قرأتُ من نصوص ، على ثلاثة أنماط :

النمط الأول : « أنْ » حرف مصدرى محذوف + فعل ماض .

من ذلك قوله تعالى : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْنا أجزِعنَا أمْ صَبَرْنا ﴾ [1] .

فـ (أنْ) المصدرية المحذوفة والفعل الماضى (صَبَرَ) مصدر مؤول بالصريح (صَبْرنا) مرفوع معطوف على المبتدأ المصدر المؤول بالصريح (جزعنا) .

النمط الثانى : (أنَّ) المصدرية واسمها محذوفان + جملة فعلية فعلها مضارع منفى فى محل رفع خبر « أنَّ » المحذوفة .

من ذلك قوله تعالى : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيهِمْ أأنْذَرْتَهُمْ أمْ لم تُنْذِرْهُمْ ﴾ [2] .

فـ (أنَّ) المصدرية واسمها محذوفان ، والجملة من الفعل المنفى والفاعل المستتر (لم تنذر) فى محل رفع خبر أنَّ المحذوفة . وأنَّ واسمها وخبرها مصدر مؤول بالصريح [3] (عدمُ إنذارِك) مرفوع معطوف على المبتدأ المصدر المؤول بالصريح (إنذارك) .

= العلم ولا ما يؤدى معناه وما لايؤدى معنى القول ولابعد الظن فهى مصدرية لاغير سواء كانت بعد فعل الترقب كحسبت وطمعت ورجوت وأردت أو بعد غيره من الأفعال كقوله تعالى : ﴿ أوَ لم يكُن لهُمْ آيةٌ ان يَعْلَمَهُ ﴾ (الشعراء : ١٩٧) واعجبنى ان قُمْتَ ﴿ وما كان جوابَ قومِهِ إلاَّ انَ قالوا ﴾ (الأعراف : ٨٢) » .

(١) سورة إبراهيم : الآية ٢١ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٦ ، وينظر أيضًا : سورة الشعراء : الآية ١٣٦ ، وسورة يس : الآية ١٠ ، وسورة (المنافقون) : الآية ٦ .

(٣) قال ابن هشام (فى مغنى اللبيب : ١/ ٤٠) بان (أنَّ) « موصول حرفى مؤول مع معموليه بالمصدر » .

النمط الثالث : (أنْ) المخففة من الثقيلة واسمها محذوفان + جملة اسمية فى محل رفع خبر أنْ .

من ذلك قوله تعالى : ﴿ سواءٌ عليكُمْ أدعوتُمُوهُمْ أمْ أنتم صامتون ﴾ [1] .

فـ (أنْ) المخففة من الثقيلة المصدرية [2] واسمها محذوفان ، وخبرها الجملة الاسمية (أنتم صامتون) فى محل رفع . والمصدر من « أنْ » واسمها وخبرها مؤول بالصريح (صَمْتكم) مرفوع معطوف بأم على المبتدأ المصدر المؤول بالصريح (دعوتكم) .

وأظن أن إعراب هذه الآيات فى الأنماط الثلاثة على هذا النحو يتفق وميل النحاة العرب إلى جعل المبتدأ هو المصدر المؤول بالصريح ، ولكن لم يستطيعوا تحديده فى الموقع بالضبط ، فاختلفوا فى ذلك ؛ فمنهم من رأى أن الفعل بعد همزة التسوية يقع موقع المصدر [3] ، ومنهم من رأى أن الجملة بعدها حلت محل المصدر [4] .

هذا ولم يقف الباحث حتى الآن على رأى قال بأن همزة التسوية هى همزة (أنْ) المصدرية وقد حذف نونها ، وأن المعطوف بأم مصدر مؤول حذف منه الحرف المصدرى .

* * *

(١) سورة الأعراف : الآية ١٩٣ .

(٢) ذكر ابن هشام (فى مغنى اللبيب : ٣١/١) أن (أنْ) المخففة من الثقيلة « مصدرية » .

(٣) يقول ابن يعيش (فى شرح المفصل : ١٦/٣) : « قد يقع الفعل موقع المصدر فى . . . قوله تعالى : ﴿ سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم ﴾ والمراد الإنذار وعدم الإنذار » .

(٤) يقول ابن هشام (فى مغنى اللبيب : ١٧/١) فى همزة التسوية : « والضابط : أنها الهمزةُ الداخلة على جملة يصحُّ حلول المصدر محلَّها ، نحو : ﴿ سواءٌ عليهم استغفرْتَ لَهُمْ أمْ لم تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ (المنافقون : ٦) ونحو : « ما أبالى أقُمت أم قَعَدْتَ » ألا ترى أنه يصح : سواء عليهم الاستغفار وعَدَمُه ، وما أبالى بقيامك وعدمه » .

المحور الآخر : علاقات الاقتران فى الفكر النحوى :

إن اقتران مفرد نحوى بمفرد نحوى آخر أو أكثر أو بجملة أو بغير ذلك فى الفكر النحوى العربى تربطه خمسة أنواع من العلاقات التى يذكرها الباحث فيما يلى ثم يوضحها بالتفصيل ثم يقوم بدراسة أهم القضايا التى ترتبط بكل منها على حدة .

العلاقة الأولى : ردُّ المفردات النحوية إلى أصولها التاريخية .

العلاقة الثانية : إمكان شغل موقع واحد عن طريق الإحلال .

العلاقة الثالثة : المشابهة فى العمل .

العلاقة الرابعة : إفادة معنى واحد .

العلاقة الخامسة : الاشتراك فى بعض الخصائص .

وبيان هذه العلاقات بالتفصيل ودراسة أهم القضايا التى ترتبط بكل منها كما يلى :

العلاقة الأولى : ردّ المفردات النحوية إلى أصولها التاريخية :

تربط هذه العلاقةُ ثلاث صور من صور الاقتران فى الفكر النحوى ، توضح فيما يلى ثم تدرس قضية علاقة رد المفردات النحوية إلى أصولها التاريخية بين الفكر النحوى العربى والفكر اللغوى الحديث .

الصورة الأولى : اقتران مفرد نحوى بمفرد نحوى آخر فى ردّ الأول إلى الآخر فى الأصل . من ذلك :

(١) اقتران « إذن » بأصله : « إذْ » [1] .

---

(١) يقول رضى الدين الاستراباذى (فى شرح الكافية : ٢/٢٣٥) : « الذى يلوح لى فى (إذن) ويغلب =

(٢) اقتران الحروف المخففة من الثقيلة « إنْ » و « أنْ » و « كأنْ » و «لكنْ» و « رُبْ » بأصولها ، وهي : « إنَّ » (خلافا للكوفيين) ، و « أنَّ » و « كأنَّ » و « لكنَّ » [١] و « رُبَّ » [٢] .

(٣) اقتران السين بأصله : « سوف » عند الكوفيين وابن مالك مخالفين في ذلك رأى البصريين [٣] .

(٤) اقتران الظرف المخفف من الثقيل « قَطُ » بأصله : « قطُّ » [٤] .

(٥) اقتران اسم الاستفهام « كَيْ » بأصله « كَيْفَ » [٥] .

(٦) اقتران الظرف « لد » بأصله : « لدن » [٦] .

---

* فى ظنى أن أصله (إذ) حذفت الجملة المضاف إليها وعوض منها التنوين لما قصد جعله صالحًا لجميع الأزمنة الثلاثة بعدما كان مختصا بالماضى » .

(١) ينظر : مغنى اللبيب : ١/٣٧ ، ٤٠ ، ٢٩٢ وشرح شذور الذهب : ٢٨٤ لابن هشام الأنصارى .

(٢) يقول ابن السراج (فى الأصول فى النحو : ١/٤١٨) : « وفى ربَّ لغات : رُبَّ ، ورُبُّ يا هذا . ومن النحويين من يقول : لو سكنت جاز : ورُبْتَ » . وينظر : مغنى اللبيب لابن هشام : ١/٣٣٦ .

(٣) ابن مالك : شرح التسهيل : ١/٢٥ ، والمرادى : الجنى الدانى : ٥٩ ، ٦٠ .

(٤) يقول الرضى (فى شرح الكافية : ٢/١٢٥) : « وبُنى (قطُّ) على الضم حملا على أخيه (عوض) . وهذه أشهر لغاته أعنى مفتوح القاف مضموم الطاء المشددة . وقد يخفف الطاء فى هذه ، وقد يضم القاف إتباعًا لضمة الطاء المشددة أو المخففة كمنذ . وقد جاء قط ساكنة الطاء مثل قط الذى هو اسم فعل » .

(٥) يقول ابن يعيش (فى شرح المفصل : ٤/ ١١٠) : « وفى كيف لغتان ، قالوا : كيف وكى » ويذكر ابن هشام (فى مغنى اللبيب : ١/ ٢٠٤) أن كيف « يقال فيها « كى » كما يقال فى سَوْف : سَوْ » .

(٦) أوضح الرضى (فى شرح الكافية : ٢/١٢٣) أن « لدن مثل : عضد ، ساكنة النون ، هى المشهورة ، ومعناها أول غاية زمان أو مكان ، نحو : لدن صباح و ﴿ من لدن حكيم ﴾ وقلما تفارقها من . . . وقد جاء « لد » بحذف نون لدن التى هى أم الجميع وأشهر اللغات » .

(٧) اقتران « مذ » بأصله : « منذ » [١] .

الصورة الثانية : اقتران مفرد نحوى بمفردين نحويين فى ردّ هذا المفرد إليهما فى الأصل . من ذلك :

(١) اقتران « إذ ما » بأصله : « إذ » و « ما » عند سيبويه [٢] .

(٢) اقتران « أمّا) بأصله : « أنْ » و « ما » عند الكوفيين [٣] .

(٣) اقتران « إمّا » بأصله : « إنْ » و « ما » عند الخليل بن أحمد [٤] .

(٤) اقتران (بلى) بأصله : «بَلْ» والألف الزائدة (أو التى للتأنيث) [٥] .

(٥) اقتران « بينا » بأصله : بين والألف الزائدة [٦] .

---

(١) ينظر الخصائص لابن جنى : ٢/ ٣٤٤ ، وشرح الكافية للرضى : ٢/ ١١٧ ، والأشباه والنظائر للسيوطى: ١/ ٦٠٩ .

(٢) ذكر سيبويه (فى كتابه : ٣/ ٥٩ ، ٦٠) أن (مهما) قد تكون مركبة من (مَهْ ما) « كإذْ ضُمَّ إليها مَا » . إن ما جاء فى كتاب سيبويه من أن (إذ ما) مركبة ينفى ما ذكره الرضى (فى شرح الكافية : ٢/ ٢٥٣ ، ٢٥٤) حين نسب راى سيبويه السابق للمبرد ، يقول الرضى : « وأما (إذ ما) فهو عند سيبويه حرف . . . فإذ ما عنده غير مركبة . . . قال المبرد : إذ ما باقية على اسميتها وما كافة لها عن طلب الإضافة مهيئة للشرط والجزم كما فى حيث فإنها صارت بما بمعنى المستقبل وجازمة » .

(٣) الرضى : شرح الكافية : ٢/ ٣٩٧ .

(٤) يقول سيبويه (فى كتابه : ٣/ ٥٩) : « وسألت الخليل عن مَهْمَا فقال : هى ما أدخلت معها مَا لغواً ، بمنزلتها مع متى إذا قلت : متى ما تاتنى آتك ، وبمنزلتها مع إنْ إذا قلت : إنْ ما تاتنى آتك » .
إن ما جاء فى كتاب سيبويه من نسبة الراى القائل بأن (إمَّا) مركبة من إنْ وما للخليل بن أحمد ينفى ما ذكره ابن هشام الأنصارى (فى مغنى اللبيب : ١/ ٥٩) حين نسب راى الخليل السابق لسيبويه ، يقول ابن هشام : « (إمَّا) المكسورة المُشددة . . . هى مركبة عند سيبويه من إنْ وما » .

(٥) ابن هشام : مغنى اللبيب : ١/ ١١٣ .

(٦) ابن جنى : سر صناعة الإعراب : ١/ ٢٧ .

(٦) اقتران « بينما » بأصله : بين وما الزائدة [١] .

(٧) اقتران « حيثما » بأصله : حيث وما [٢] .

(٨) اقتران « ربَّما » بأصله : رُبّ وما [٣] .

(٩) اقتران « كأنَّ » بأصله : كاف التشبيه و « إنَّ » [٤] .

(١٠) اقتران « كأيٍّ » بأصله : كاف التشبيه وأيٍّ المنونة [٥] .

(١١) اقتران « كذا » بأصله : كاف التشبيه واسم الإشارة « ذا » [٦] .

(١٢) اقتران « كَلاَّ » بأصله : كاف التشبيه ولا النافية عند ثعلب [٧] .

(١٣) اقتران « كُلَّما » بأصله : كل وما المصدرية (أو ما التى تكون اسما نكرة بمعنى وقت) [٨] .

(١٤) اقتران « كما » بأصله : كاف التشبيه وما الكافة عند ابن مالك [٩] .

---

(١) ابن الأنبارى : منثور الفوائد (المسألة ١٥١) : ٣٦٠ .

(٢) الرضى : شرح الكافية : ٢/ ٢٥٤ .

(٣) ابن السراج : الأصول فى النحو : ١/ ٤١٩ ، ٢/ ٢٣٤ .

(٤) ذكر ابن هشام (فى مغنى اللبيب : ١/ ١٩١) أن « الأصل فى « كأنَّ زيدًا أسد » إن زيدًا كأسدٍ ، ثم قُدِّم حرف التشبيه اهتماما به ، ففتحت همزة « أنَّ » لدخول الجار عليه » .

(٥) ينظر : الكتاب نفسه : ١/ ١٨٦ .

(٦) ينظر : الكتاب نفسه : ص ١/ ١٨٧ .

(٧) أشار ابن هشام (فى مغنى اللبيب : ١/ ١٨٨) أن « (كلاَّ) مركبة عند ثعلب من كاف التشبيه ولا النافية ، قال : وإنما شُدِّدَتْ لامُها لتقوية المعنى ، ولدفع توهم بقاء معنى الكلمتين وعند غيره هى بسيطة » .

(٨) ينظر الكتاب نفسه : ١/ ٢٠١ .

(٩) يقول ابن مالك (فى شرح التسهيل : ٣/ ١٧٣ ، ١٧٤) : « وتحدث « ما » الكافة فى الكاف معنى التعليل كقوله تعالى : ﴿ واذكروه كما هداكم ﴾ (البقرة : ١٩٨) . . . وزعم الفارسى أن الأصل كيما وحذفت الياء ، وهذا تكلف لا دليل عليه ولا حاجة إليه » .

(١٥) اقتران « لات » بأصله : لا النافية وتاء التأنيث [١] .

(١٦) اقتران « لن » بأصله : لا وأنْ عند الخليل بن أحمد والكسائى [٢] .

(١٧) اقتران « ليتما » بأصله : ليت والحرف « ما » [٣] ، وكذلك اقتران «إنَّ» وبقية أخواتها حين تلحقها «ما» بأصولها .

(١٨) اقتران « منذ » بأصله : مِن وذو عند الفراء ؛ على حين يرى بعض الكوفيين والرضى أن « منذ » مركبة من : « مِن » و « إذْ » [٤] .

(١٩) اقتران « مهما » بأصله : ما وما عند الخليل بن أحمد ، وخالفه فى رأيه هذا سيبويه ، فأجاز أن تكون مهما مركبة من مَهْ وما [٥] .

الصورة الثالثة : اقتران مفرد نحوى بثلاثة مفردات نحوية فى ردّ هذا المفرد إلى تلك المفردات . من ذلك :

(١) ينظر : شرح الكافية للرضى : ١/ ٢٧١ .

(٢) ينظر : مغنى اللبيب لابن هشام : ١/ ٢٨٤ .

(٣) ينظر : الكتاب نفسه : ١/ ٢٨٦ .

(٤) يقول الرضى (فى شرح الكافية : ٢/ ١١٨ ، ١١٩) : « قال الفراء : منذ مركبة من (من) و (ذو) . . . وقال بعض الكوفيين : أصل (منذ) من إذ فركبا وضم الذال للساكنين . . . فنقول إنهم أرادوا ابتداء غاية للزمان خاصة فأخذوا لفظ (من) الذى هو مشهور فى ابتداء الغاية وركبوه مع (إذ) الذى هو للزمان الماضى ، وإنما حملنا على ارتكاب تركيبه من الكلمتين وجود معنى الابتداء والوقت الماضى فى جميع مواقع (منذ) كما يجئ ، وهما معنى من وإذ فغلب على الظن تركبه منهما مع مناسبة لفظه للفظهما . . . فنقول : حذف لأجل التركيب همزة إذ فبقى منذ بنون وذال ساكنين وحق إذ أن يضاف إلى الجمل والإضافة إليها كلا إضافة . . . فضموا الذال لما أحوجوا إلى تحريكها للساكنين » .

(٥) يقول سيبويه (فى كتابه : ٣/ ٥٩ ، ٦٠) : « سألتُ الخليل عن (مهما) فقال : هى « ما » أدخلت معها « ما » لغواً . . . ولكنهم استقبحوا أن يكرّروا لفظا واحداً فيقولوا : مَامَا ، فأبدلوا الهاءَ من الألف التى فى الأولى . وقد يجوز أن يكون مَهْ كإذ ضُمَّ إليها مَا » .

(١) اقتـران « أيَّان » بأصـله : أيّ وأوْ و أن عنـد الأندلسيّ [١] (القاسـم بن أحمد اللورقى ت ٦٦٠ هـ [٢]) .

(٢) اقتـران « لكنَّ » بأصـله : لا وإنْ والكاف الـزائدة عند الـكوفيين مـا عدا الفراء [٣] .

علاقة ردّ المفردات النحوية إلى أصولها التاريخية بين الفكر النحوى العربى والفكر اللغوى الحديث :

اتضـح من دراسة الـعلاقة الخـاصة برد المـفردات الـنحويـة إلى أصولـها التاريخية مدى الاهتمام الكبير من جانـب الفكر النحوى العربى لهذه القضية ؛ فقـد انشغـل بها مـعظم الـنحاة الـعرب علـى اختلاف مـناحيـهم ومدارسـهم وعصورهـم وتناولوها بالدراسة فى ثنايا الموضوعات والأبواب النحوية المختلفة .

فإذا ما تـناولنا فـى المقابل الـفكر اللغـوى الحديث ، خاصـة عند العـلماء الأوربيين الذين اهتموا بدراسة العربيـة وقواعدها ، وجدنا لهذا الفكر اتجاهات ثلاثة تحدد مدى اهتمام هذا الفكر بقضية رد المفردات إلى أصولها من عدمه كما تحدد كيفـية تناول القضـية عند بعض العـلماء الأوربيين والقـيمة العلمـية التى أضافوها . وفيما يلى بيان بهذه الاتجاهات :

الاتجاه الأول : وهـو الاتجاه الغالـب ، لم يتنـاول قضية رَدّ المـفردات النحـوية إلى أصولها بـالدراسة أو الإشارة بل اهتـم بدراسة قضايا أخـرى مثل

---

(١) يقول الرضى (فى شرح الـكافية : ٢/١١٦) فى أصـل (أيّان) : « قال الأندلسى : ينبـغى أن يكون أصلها (أىّ أو ان) فحذفت الهمزة مع الياء الأخيرة فبقى (أيوان) فادغم بعد القلب » .

(٢) ينظر : بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة للسيوطى : ٢/ ٢٥٠ .

(٣) يقول ابن هشام (فى مغنى اللبيب : ١/ ٢٩١) فى أصل لـكنّ : « والبصريون على أنها بسيطة ، وقال الفراء : أصـلها (لكنْ أنَّ) ، فـطرحت الهمـزة للتخفـيف ، ونون لكنْ لـلساكنين . . . وقـال باقى الكوفيين : مركبة من : لا وإنّ والكاف الزائدة لا التشبيهية ، وحذفت الهمزة تخفيفا » .

معانى هذه المفردات ومواضعها فى الجمل . ويمثل هذا الاتجاه كلٌّ من : أوجست فيشر [١] ، وهنز ڤير [٢] ونولدكه [٣] ودينز [٤] .

الاتجاه الثانى : تناول قضية ردّ المفردات النحوية إلى أصولها بالدراسة قليلاً ، غير أنه أضاف قيمة علمية جديدة إليها . ويمثل هذا الاتجاه زوكن وكارل بروكلمان :

يرى زوكن أن « الفعل (ليس) أصله حرف النفى (لا) والاسم المستعمل نادرًا فى العربية (أَيْسَ) ، وهو المقابل للاسم אין فى العبرية [٥] » [٦] .

---

(١) FISCHER, A.: Zwei Beiträge zur arabischen Grammatik. In : Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft, Band 63. In kommission bei F.A. Brockhaus, Leipzig 1909, s.S. 597–603.

(٢) WEHR, HANS : Zur Funktion arabischer Negationen. In : Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft, Band 103. Kommissionsverlag Franz Steiner GMBH, Wiesbaden 1953, s.S. 27–39.

(٣) NÖLDEKE, THEODOR : Zur Grammatik des classischen Arabisch. Druck : Wissenschaftliche Buchgesellschaft. Darmstadt 1963.

(٤) DENZ, ADOLF : Die Struktur des klassichen Arabisch. In : Grundriss der arabischen Philologie (Band I : Sprachwissenschaft). Herausgegeben von Wolfdietrich Fischer. Dr. Luwig Reichert Verlag. Wiesbaden 1982. S. 58–82.

(٥) SOCIN, A.: Arabische Grammatik, Verlag von Reuther und Reichard, Berlin 1894, § 50, S. 45.

(٦) ذكر الدكتور رمضان عبد التواب (فى كتابه : فصول فى فقه العربية : ٤٨) أن « كلمة «ليس» فى العربية، يعدّها النحاة العرب ، فعلا جامدًا لايتصرف ، من أخوات : « كان » . غير أننا إذا نظرنا إلى ما يقابلها ، فى اللغات السامية الأخرى ، عرفنا أنها مركبة من (لا) وكلمة : (أَيْسَ) ، التى لا وجود لها الآن فى اللغة العربية ، إلا فى بعض التعبيرات القديمة ، كقول العرب : « ائتنى به من حيث أَيْسَ ولَيْسَ » ومعناه : من حيث هو ولا هو ، وكذلك فى قولهم : « الأَيْس واللَّيْس » ، بمعنى : الوجود والعدم . وهذه الكلمة تقابل فى العبرية : (يِشْ) yěš بمعنى : يوجد ، ونفيها : =

وهذا الرأى الذى تناول أصل « ليس » تفرَّد به زوكن فيما يظن الباحث .

علاوة على ذلك ذكر زوكــن فى مواضع أخرى قليلة من كـتابه بعض آراء النحاة العرب فى قضية علاقــة ردّ المفردات النحوية (السين ، وإلاَّ ولئلا ولَنْ) إلى أصولها دون تحديد أسماء هؤلاء النحاة [1] .

أما كارل بروكلمان فقد رأى أن « بــعض حروف الجر والظروف نشأت من حروف نفى . لقد حدث هذا فى اللغة العربية مع الحرف « بَلْهَ » [2] الذى يبدو أنه مشابه للحــرفين الأصليين (بل ، وبلى) ، على حين ظلــت نهايته (الهاء المفتوحة) غامضة [3] » .

وهذا الرأى الذى تــناول أصل « بله » تفرَّد بــه كارل بروكلمان فيــما يظن الباحث .

علاوة على ذلك ذكر بــروكلمان فى مواضع أخرى قليلــة بعض آراء النحاة العرب أيضًا فى قضية رد المــفردات النحوية (لن ، ونعِمّا [4] والسين [5]) إلى أصولها دون تحديد أسماء هؤلاء النحاة .

= (ألْ يِشْ) ʾal yěš = ليس . وكذلــك فى الآشورية : (إِشُو) ʾišu ونفيـها : (لَشُّو) laššu، وهكذا »

وينظر أيضًا كتابه : فى قواعد الساميات : العبرية والسريانية والحبشية : ٢١٢ .

(١) SOCIN, A.: Arabische Grammatik, s.S. 88, 92, 94.

(٢) يقول الرضى (فى شرح الـكافية : ٢/ ٧٠) : بَلْهَ اى دَعْ ويستـعمل مصدراً واسم فعل كـما ذكرنا ، فيقــال : بله زيدِ بــالإضافة إلى المفـعول كترك زيــدِ ، وبله زيدًا كدع زيــدًا . وحكى ابو عــلى عن الاخفش أنه يـجىء بمعنى كيف ، فـيرفع ما بعده . . . وذكر الأخـفش فى باب الاستثنــاء فى قوله * اعطيهم الجهد منى بله ما اسع * أن بله حرف جر كعدا وخلا بمعنى سوى » .

(٣) BROCKELMANN, CARL : Grundriss der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen, II, § 264, S. 426.

(٤) الكتاب نفسه : جـ ٢ / ص ٦٠٣ ، ٦٠٤ .

(٥) BROCKELMANN, CARL : Arabische Grammatik, s.S. 115.

الاتجاه الثالث : تناول قضية ردّ المفردات النحوية إلى أصولها بكثرة ، وحافظ على آراء النحاة العرب فى ذلك . وكان تناوله إياها عبارة عن مجموعة من الملاحظات تختتم بها الفقرات .

ويمثل هذا الاتجاه ڤولفديترش فيشر [1] .

العلاقة الثانية : إمكان شغل موقع واحد عن طريق الإحلال :

تربط هذه العلاقةُ أربعَ صور من صور الاقتران فى الفكر النحوى ، توضح فيما يلى :

الصورة الأولى : اقتران مفرد نحوى بمفرد نحوى آخر تربطهما علاقة إمكان شغل موقع واحد عن طريق الإحلال . من ذلك :

(١) اقتران « أنْ » بـ « إنْ » فى إمكان شغل أىٍّ منهما موقعًا واحدًا هو أول الجملة الشرطية ، وذلك عند الكوفيين وابن هشام الأنصارى [2] .

(٢) اقتران الظرف بالجار والمجرور فى إمكان شغل أىٍّ منهما عدة مواقع عن طريق الإحلال . من ذلك :

(أ) أنهما يقعان : صفة وحالاً وصلة وخبرًا [3] ، ويطلق على كل واحد منهما « شبه الجملة » .

---

(١) FISCHER, WOLFDIETRICH : Grammatik des klassischen Arabisch : s.S. 29, 142, 146, 148, 150, 151, 152, 155, 157, 159, 160.

(٢) يقول ابن هشام (فى مغنى اللبيب : ١/ ٣٥) : « وقد ذكر لأنْ أربعة أخر : أحدها : الشرطية كإن المكسورة ، وإليه ذهب الكوفيون ، ويرجحه عندى أمور :
أحدها توارد المفتوحة والمكسورة على المحل الواحد ، والأصل التوافق ، فقرىء بالوجهين قوله تعالى : ﴿ أنْ تضل إحْداهما ﴾ (البقرة : ٢٨٢) . . . الثانى : مجىءُ الفاء بعدها كثيرًا . . . الثالث : عطفها على إن المكسورة » .

(٣) ينظر : مغنى اللبيب لابن هشام : ٢/ ٤٤٥ .

(ب) أن يفصل بهما الفعلُ الناقص من معموله ، وفعل التعجب من المتعجَّب منه وبين الحرف الناسخ ومنسوخه وبين الاستفهام والقول الجارى مجرى الظن ، وبين المضاف وحرف الجر ومجرورهما وبين إذَنْ ولنْ ومنصوبهما [1] .

(جـ) أنهما يقدَّمان خبرين على الاسم فى باب إنَّ ، ومعمولين فى باب ما ومعمولين لصلة أل فى قول ، وعلى الفعل المنفى ، وعلى إن معمولا لخبرها ، وعلى العامل المعنوى [2] .

(٣) اقتران النفس بالعين فى إمكان شغل موقع واحد عن طريق الإحلال ، وهو وظيفة التوكيد المعنوى « الذى يقصد به رفع توهم السامع أن المتكلم حذف مضافا وأقام المضاف إليه مقامه ، نحو : قتل العدوَّ زيدٌ نفسه [3] » .

الصورة الثانية : اقتران ثلاثة مفردات نحوية بمفرد واحد . وترتبط هذه المفردات الأربعة علاقةُ إمكان شغل أىٍّ منها عدة مواقع عن طريق الإحلال . من ذلك :

اقتران أسماء الشرط الثلاثة : مَنْ ، وما ، وأيّهم باسم الموصول «الذى» فى إمكان شغل أىٍّ منها المواقع التالية : المبتدأ والمفعول به ، والمفعول الثانى واسم إنَّ واسم كان وأخواتها ، فحملت أسماء الشرط هنا على الموصولة فلهذا لم تجزم الأفعال [4] .

---

(١) ينظر : مغنى اللبيب لابن هشام : ٢/٦٩٣ .

(٢) ينظر : الكتاب نفسه : ٢/٦٩٣ ، ٦٩٤ .

(٣) ابن مالك : شرح التسهيل : ٣/٢٨٩ .

(٤) يقول سيبويه (فى كتابه : ٣/٦٩ ، ٧١) : « هذا باب الأسماء التى يُجازى بها وتكون بمنزلة الذى ، وتلك الأسماء : مَنْ ، وما ، وأيُّهُمْ . فإذا جعلتها بمنزلة الذى ، قلت : ما تقولُ أقولُ ، فيصيرُ تقولُ =

الصورة الثالثة : اقتران مركَّب بمفرد تربطهما علاقة إمكان شغل عدة مواقع عن طريق الإحلال . من ذلك : اقتران المركب المكون من (أنْ) المصدرية والفعل بالمصدر في إمكان شغل أي منهما عدة مواقع ، منها : المبتدأ[1] والمفعول به ، والفاعل .

الصورة الرابعة : اقتران أسلوب بأسلوب أو أسلوبين وتربط هذه الأساليب علاقةُ إمكان شغل أحدها موقعين أو أكثر عن طريق الإحلال . من ذلك :

(١) اقتران النفي بالاستفهام في إمكان شغل أحدهما موقعين عن طريق الإحلال . وبيان هذين الموقعين كما يلي :

الأول : وقوع النفي أو الاستفهام قبل المبتدأ النكرة ، فيكون ذلك من مسوغات الابتداء بها ؛ لحصول الفائدة ، فمثال النكرة « التالية استفهامًا : أرجل في الدار ؟ ، ومثال التالية نفيًا : ما رجل في الدار [2] » .

الآخر : وقوع النفي أو الاستفهام قبل اسم الفاعل المجرد عن أل والإضافة ، فيكون ذلك من شروط عمله عمل الفعل المضارع ، نحو : « أضاربٌ زيدٌ عمرًا ، وما ضاربٌ زيدٌ عمرًا [3] » .

صلة لما حتى تكملَ اسما ، فكأنك قلت : الذي تقول أقولُ . وكذلك : مَنْ يأتيني آتيه وأيُّها تشاءُ أعطيك ... إنَّ مَنْ يأتيني آتيه ، وكان مَنْ يأتيني آتيه ، وليس مَنْ يأتيني آتيه » .

(١) يقول سيبويه (في كتابه : ٣/ ١٥٣) : « هذا بابٌ من أبواب أنِ التي تكون والفعلَ بمنزلة المصدر ، تقول : أنْ تأتيني خيرٌ لك ، كأنك قلت : الإتيانُ خيرٌ لك . ومثل ذلك قوله تبارك وتعالى : ﴿ وأن تصوموا خيرٌ لكم ﴾ (البقرة : ١٨٤) ، يعني الصومُ خير لكم » .

(٢) ابن مالك : شرح التسهيل : ١ / ٢٩٣ .

(٣) ينظر : شرح الكافية للرضي : ٢/ ١٩٩ ، ٢٠٠ .

(٢) اقتران النفى بالنهى فى إمكان شغل أحدهما ثلاثة مواقع عن طريق الإحلال . وبيان هذه المواقع كما يلى :

الأول : وقوع النفى أو النهى قبل « أو » ، فتفيد معنى الإضراب كبَلْ عند سيبويه [١] .

الثانى : وقوع أحدهما قبل « بل » فتفيد معنى الإضراب [٢] .

الثالث : وقوع أحدهما قبل « لكنْ » فتصبح عاطفة إن وليها مفرد ، مثل : «ما قام زيد لكن عمرو ، ولا يقم زيد لكن عمرو» [٣] .

(٣) اقتران النفى بالنهى والاستفهام (بهل) فى إمكان شغل أحد هذه الأساليب موقعين عن طريق الإحلال ، ويكون الموقع الأول فى أول الجملة التى تحتوى على (مِن) الزائدة ، ويعد ذلك شرطا لزيادتها [٤] ، والموقع الآخر قبل صاحب الحال النكرة ، فيكون ذلك من مسوغات مجيئه نكرة .

---

(١) ذكر ابن هشام (فى مغنى اللبيب : ١/ ٦٤) المعنى السادس لحرف العطف (أو) ، وهو « الإضراب كبَلْ فعن سيبويه إجازةُ ذلك بشرطين : تقدم نفى أو نهى ، وإعادة العامل ، نحو : « ما قام زيدٌ أو ما قام عمرو » و « لايقم زيدٌ أو لايقمْ عمرو » ، ونقله ابن عصفور ، ويؤيده أنه قال فى ﴿ ولاتُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أوْ كَفُورًا ﴾ (الإنسان : ٢٤) ولو قلت أو لاتطع كفورا انقلب المعنى ، يعنى أنه يصير إضرابا عن النهى الأول ونهيًا عن الثانى فقط . وقال الكوفيون وأبو على وأبو الفتح وابن برهان : تأتى للإضراب مطلقًا» .

(٢) أوضح ابن هشام (فى مغنى اللبيب : ١/ ١١٢) أن (بل) « إن تقدَّمها نفى أو نهى فهى لتقرير ما قبلها على حالته ، وجَعْلِ ضده لما بعده ، نحو : « ما قامَ زيدٌ بل عمرو » و « لايَقُمْ زيد بل عمرو » » .

(٣) الكتاب نفسه : ١/ ٢٩٢ وشرح شذور الذهب : ٤٤٧ .

(٤) ذكر ابن هشام (فى مغنى اللبيب : ١/ ٣٢٢ ، ٣٢٣) وجهين من أوجه استعمالات الحرف من ، وهما : « الوجه الرابع عشر : التنصيص على العموم ، وهى الزائدة فى نحو : ما جاءنى من رَجُل . . . (و) الوجه الخامس عشر : توكيد العموم ، وهى الزائدة فى نحو : ما جاءنى من أحد . . .وشرط زيادتها فى النوعين ثلاثة أمور : أحدها : تقدم نفى أو نهى أو استفهام بهل . . . والثانى : تنكير مجرورها ، والثالث : كونه فاعلاً أو مفعولاً به أو مبتدأ» .

العلاقة الثالثة : المشابهة فى العمل :

تربط هذه العلاقة صورتين من صور الاقتران فى الفكر النحوى ، يوضّحان فيما يلى :

الصورة الأولى : اقتران مفرد نحوى بمفرد نحوى آخر تربطهما علاقةُ المشابهة فى العمل ، من ذلك :

(١) اقتران (لا) بـ (إنَّ) فى نصب الاسم [١] .

(٢) اقتران (لا) بـ (ليس) فى رفع الاسم ونصب الخبر [٢] .

(٣) اقتران (لات) بـ (ليس) فى رفع الاسم ونصب الخبر [٣] .

(٤) اقتران حرف النفى (لمَّا) بـ (لم) فى جزم المضارع [٤] .

---

(١) يقول ابن إياز (فى الأشباه والنظائر للسيوطى : ١/ ٥٥٣) : « لما كانت (لا) فرعًا فى العمل عن (إنَّ) ومشبهة بها وجب أن تنحط عنها ، فلذلك اشترط فى إعمالها شروط : كتنكير معمولها وعدم فصلها . . . إلخ » .

(٢) ينظر : مغنى اللبيب لابن هشام : ١/ ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

(٣) يقول سيبويه (فى كتابه : ١/ ٥٧) : « وأمَّا أهل الحجاز فيشبهونها (أى ما) بليس إذ معناها كمعناها ، كما شبهوا بها لات فى بعض المواضع ، وذلك مع الحين خاصةً ، لاتكون لاتَ إلا مع الحين ، تُضْمِرُ فيها مرفوعا وتنصب الحين ، ولأنه مفعول به (أى لأنه شبيه بالمفعول) ، ولم تمكَّنْ تمكّنها ، ولم تستعمل إلا مضمرًا فيها ، لأنها ليست كليس فى المخاطبة والإخبار عن غائب ، تقول : لستَ [ولستِ] وليسوا ، وعبدُ الله ليس ذاهبا، فتبنى على المبتدأ وتُضْمرُ فيه ، ولايكون هذا فى لات ، لاتقول : عبدُ الله لاتَ منطلقًا ، ولاقومُك لاتُوا منطلقين » .

وينظر أيضًا : مغنى اللبيب لابن هشام : ١/ ٢٥٣ ، ٢٥٤ .

(٤) ذكر ابن هشام (فى مغنى اللبيب : ١/ ٢٧٨) أن « لمَّا » على ثلاثة أوجه : أحدها أنها تختص بالمضارع فتجزمه وتنفيه وتقلبه ماضيا كلَمْ » .

(٥) اقتران (ما) النافية بـ (ليس) فى رفع الاسم ونصب الخبر عند أهل الحجاز [١] .

(٦) اقتران اسم الفاعل بالفعل المضارع المبنى للمعلوم فى رفع الفاعل ونصب المفعول [٢] .

(٧) اقتران اسم المفعول بالفعل المبنى للمجهول فى رفع نائب الفاعل ونصب المفعول الثانى [٣] .

(٨) اقتران اسم التفضيل إذا لم تصحبه (مِن) بالفعل فى رفع الفاعل [٤] .

---

(١) ذكر السيوطى (فى الأشباه والنظائر : ١/ ٥٥٢) قول ابى الحسين بن ابى ربيع فى شروط إعمال ما الحجازية عمل ليس ، يقول : « إنما لم تعمل (ما) عمل ليس مطلقا بل بالشروط المعروفة ، وهى أن يكون الخبر مؤخرًا وأن يكون منفياً ، وأن لا يقع بعد ما (أنْ) ، فإن (أنْ) تكف ما عن العمل كما تكف ما إنَّ عن العمل » .

(٢) يقول سيبويه (فى كتابه : ١/ ١٦٤) : « هذا باب من اسم الفاعل [الذى] جَرَى مجرى الفعل المضارع فى المفعول فى المعنى فإذا أردت فيه من المعنى ما أردت فى يفعَلُ كان نكرة منونا ، وذلك قولك : هذا ضاربٌ زيدًا غدًا فمعناه وعمله مثلُ : هذا يَضْربُ زيداً [غدًا] ، وتقول : هذا ضاربٌ عبد الله الساعةَ ، فمعناه وعمله مثل : [هذا] يضربُ زيدًا الساعة » ، ويقول ابن السراج (فى الأصول : ١/ ٥٢) : « وإنما أعملوا اسم الفاعل لما ضارع الفعل وصار الفعل سببا له وشاركه فى المعنى وإن افترقا فى الزمان ، كما اعربوا الفعل لما ضارع الاسم فكما أعربوا هذا أعملوا ذلك » .

(٣) يقول سيبويه (فى كتابه : ١/ ١٠٨ ، ١٠٩) « هذا باب ما جرى فى الاستفهام من أسماء الفاعلين والمفعولين مجرى الفعل كما تجرى فى غيره مجرى الفعل ، وذلك قولك : ازيدًا انت ضاربُه وازيدًا انت ضاربٌ له ، واعمرًا انت مُكْرِمٌ اخاه ، وازيدًا انت نازلٌ عليه ، كأنك قلت : انت ضاربٌ ، وانت مُكْرِمٌ وانت نازلٌ ، كما كان ذلك فى الفعل ، لانه يجرى مَجراه ويَعْملُ فى المعرفة كُلِّها والنكرة مُقَدَّما ومؤخرًا ، ومُظهِرا ومضمرا ....وكذلك جميع هذا ، فمفعولٌ مثلُ يُفْعَلُ ، وفاعِلٌ مثلُ يَفْعَلُ » .

(٤) ذكر السيوطى (فى الأشباه والنظائر : ١/ ٥١٤) أن « أصل العمل للفعل ثم لِما قويت مشابهته له وهو اسم الفاعل واسم المفعول ثم لِما شبه بهما من طريق التثنية والجمع والتذكير والتأنيث وهى الصفة المشبهة ، وأما أفعل التفضيل : فإنه إذا صحبته مِنْ ، امتنعت منه هذه الأحكام فيبعد لذلك عن شبه الفعل ، فلذلك لم يعمل فى الظاهر » .

(٩) اقتران المصدر بالفعل فى رفع الفاعل ونصب المفعول [١] .

(١٠) اقتران الصفة المشبهة باسم الفاعل فى رفع الفاعل [٢] ولكن بشروط[٣] .

(١١) اقتران الاسم المنسوب بالصفة المشبهة فى رفع الفاعل [٤] .

الصورة الأخرى : اقتران خمسة مفردات نحوية بمفرد نحوى تربطها به علاقة المشابهة فى العمل ، من ذلك :

- اقتران الحروف الناسخة (إنّ ، ولكنّ ، وليتَ ، ولعل ، وكأنّ) بالفعل فى نصب الاسم [٥] .

---

(١) ينظر : الأصول لابن السراج : ١/٥٢ .

(٢) يقول سيبويه (فى كتابه : ١/١٩٤) : « هذا باب الصفة المشبهة بالفاعل فيما عملت فيه ، ولم تَقْوَ ان تعمل عَمَلَ الفاعل (اى اسم الفاعل) ، فإنما شبّهتْ بالفاعل فيما عملتْ فيه . وما تَعْمَلُ فيه معلومٌ، إنما تعمل فيما كان من سببها مُعَرَّفًا بالألف واللام أو نكرة ، لاتجاوز هذا ؛ لانه ليس بفعل ولا اسم هو فى معناه ، والإضافة فيه أحسن وأكثر ؛ لأنه ليس كما جرى مجرى الفعل ولا فى معناه » .

(٣) ذكر السيوطى (فى الأشباه والنظائر : ٢/٤٦٣) شروط إعمال الصفة المشبهة ، فيقول : « الأول : أنها لاتعملُ إلا فى السببىّ دون الأجنبىّ ، نحو : زيدٌ حسنٌ وجهُه ، ولايجوز : حسنٌ وجهُ عمرو ، كما يجوز ضاربٌ وَجْهَ عمروٍ لنُقصانها عن مرتبة اسم الفاعل . والثانى : لايتقدمُ معمولُها عليها ، فلا يقال : زيدٌ وجهًا حسن ، كما يقال : زيد عمرًا ضاربٌ . . . الثالث : أنها لاتوجد إلا ثابتة فى الحال . . . بخلاف اسم الفاعل ، فإنه يدل على ما يدل عليه الفعل ، ويستعمل فى الأزمنة الثلاثة » .

(٤) يقول سيبويه (فى كتابه : ٢/٣٦) : « أقُرَشىٌّ قومُك واقرشىٌّ أبواك ، إذا أردتَ الصفة جرى مجرى حَسَنٍ وكريم » .

(٥) يقول سيبويه (فى كتابه : ٢/١٣١) : « هذا باب الحروف الخمسة التى تعمل فيما بعدها كعمل الفعل فيما بعده . . . وكذلك هذه الحروفُ ، منزلتها من الأفعال . وهى : إنَّ ، ولكنّ ، وليتَ ولعلَّ ، وكأن . وذلك قولك : إنّ زيدًا منطلقٌ ، وإنّ عمرًا مسافرٌ ، وإنّ زيدًا أخوك ، وكذلك أخواتُها .
وزعم الخليل أنها عَمِلَتْ عملين : الرفعَ والنصبَ ، كما عملت كان الرفعَ والنصبَ حين قلت : كان أخاك زيدٌ . إلاّ أنّه ليس لك أن تقول : كان أخوك عبدَ الله ، تريد كانَ عبدَ الله أخوك ، لأنها لاتَصَرَّفُ تَصَرُّفَ الأفعال ، ولايُضمَر فيها المرفوعُ كما يُضْمَرُ فى كان » .

العلاقة الرابعة : إفادة معنى واحد :

تربط هذه العلاقة صورتين من صور الاقتران فى الفكر النحوى يُوَضَّحان فيما يلى ثم تدرس قضية إفادة المفردات النحوية الزائدة معنى التوكيد بين الفكر النحوى العربى والفكر اللغوى الحديث :

الصورة الأولى : اقتران مفرد نحوى بمفرد آخر فى إفادتهما معنى واحد . من ذلك :

(١) اقتران (إلاَّ) بـ (لكنَّ) فى إفادتهما معنى الاستدراك نحو قوله تعالى : ﴿ لا عاصمَ اليومَ من أمْرِ اللهِ إلاَّ مَنْ رَحِمَ ﴾ [١] أى : ولكنَّ من رَحِم [٢] .

(٢) اقتران (أيَّان) بـ (متى) فى إفادة معنىَ الظرفية الزمانية والإبهام [٣] .

(٣) اقتران حرف الجر (حتى) بـ (إلى) فى إفادة معنى الغاية [٤] .

---

(١) سورة هود الآية : ٤٣ .

(٢) يقول سيبويه (فى كتابه : ٢/ ٣٢٥ ، ٣٢٦) : « هذا باب ما يكون إلا على معنى (ولكنَّ) ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ لا عاصمَ اليومَ من أمر الله إلاَّ مَنْ رحم ﴾ أى ولكن من رحم . وقوله عز وجلَّ : ﴿ فلولا كانت قرية آمنتْ فنفعها إيمانُها إلا قَوْمَ يونُسَ لَمَّا آمنوا ﴾ (يونس : ٩٨) . . . وهذا الضرب فى القرآن كثير ، ومن ذلك من الكلام : لاتكونَنَّ من فلان فى شىء إلاَّ سلامًا بسلام ومثل ذلك أيضًا من الكلام فيما حدثنا أبو الخطاب : ما زاد إلاَّ ما نقص وما نَفَعَ إلاَّ ما ضَرَّ . فما مع الفعل بمنزلة اسم نحو النقصان والضرر . . . كأنه قال : ولكنه ضَرَّ ، وقال : ولكنه نَقَص » .

(٣) يقول ابن يعيش (فى شرح المفصل : ٤/ ١٠٦) : « وأمَّا (أيَّان) فظرفٌ من ظروف الزمان مبهمٌ بمعنى (متى) . والفرقُ بينها وبين (متى) أنَّ (متى) لكثرة استعمالها صارت أظهر من أيَّان فى الزمان. ووجه آخر من الفرق أن (متى) يستعمل فى كل زمان و (أيَّان) لايستعمل إلا فيما يُراد تفخيمُ أمره وتعظيمُه نحو قوله تعالى : ﴿ أيَّانَ مُرسَاها ﴾ (الأعراف : ١٨٧) » .

(٤) ينظر الأشباه والنظائر للسيوطى : ٢/ ٤٤٦ .

(٤) اقتران (رُبَّ) بـ (كم) الخبرية « فى إفادة التكثير [١] » .

(٥) اقتران السين بسوف فى إفادة معنى الاستقبال [٢] .

(٦) اقتران (كأيِّن) بـ (رُبَّ) فى إفادة معنى التكثير عند سيبويه خلافا ليونس فى ذلك [٣] .

(٧) اقتران (لو) المصدرية بـ (ليت) فى إفادة معنى التمنى [٤] .

(٨) اقتران (لو ما) بـ (لولا) فى إفادة معنى التحضيض والعرض [٥] .

الصورة الأخرى : اقتران مفردات نحوية بمواضع زيادتها فى إفادة معنى التوكيد . وبيان هذه المفردات الزائدة كما يلى [٦] :

إذْ (عند أبى عبيدة وابن قتيبة) ؛ وإلى (عند الفراء) ، وإن ؛

وأنْ ؛ والباء ؛ والفاء (عند الأخفش والفراء والأعلم) ؛

وفى (عند الفارسى) ؛ والكاف ؛ واللام ؛ ولا ؛

---

(١) ابن هشام : مغنى اللبيب : ١/ ١٣٤ .

(٢) ينظر : الكتاب نفسه : ٢/ ٦٦٣ .

(٣) يقول سيبويه (فى كتابه : ٢/ ١٧٠ ، ١٧١) : « هذا باب ما جرى مجرى كم فى الاستفهام وذلك قولك : له كذا وكذا درهما ، وهو مبهم فى الأشياء بمنزلة كمْ ، وهو كناية للعدد ، بمنزلة فلان إذا كنيت به فى الأسماء ... وكذلك كأيِّن رجلا قد رأيتُ ، زعم ذلك يونسُ ... وكأيِّن معناها معنى رُبَّ » .

(٤) ينظر : مغنى اللبيب لابن هشام : ١/ ٢٦٦ ، ٢٦٧ .

(٥) يقول ابن هشام (فى مغنى اللبيب : ١/ ٢٧٤ ، ٢٧٦) : « الثانى (من أوجه لولا) أن تكون للتحضيض والعرض ... (و) لوما : بمنزلة لولا ، تقول : لوما زيد لأكرمتك وفى التنزيل ﴿ لوما تأتينا بالملائكة ﴾ (الحجر : ٧) » .

(٦) ينظر : مغنى اللبيب لابن هشام : ١/ ٨٣ ، ٧٦ ، ٢٥ ، ٣٣ - ٣٤ ، ١٠١ - ١١١ ، ١٦١ ، ١٦٦ ، ١٧٠ ، ١٧٩ ، ٢٠٧ ، ٢٣٢ ، ١١٢ ، ٢٤٨ ، ٣٠٦ - ٣١٤ ، ٣٢٢ ، ٢/ ٣٥٧ - ٣٦٢ .

وما ؛ ومِن ؛ والواو (عند الكوفيين والأخفش) .

قضية إفادة المفردات النحوية الزائدة[1] معنى التوكيد بين الفكر النحوى العربى والفكر اللغوى الحديث :

اختلف فكر النحاة العرب فى قضية إفادة المفردات النحوية الزائدة معنى التوكيد ، ووجد لهذا الفكر فى هذه القضية اتجاهان :

الأول ، وهو الغالب : ذهب إلى أن كل المفردات الزائدة تفيد معنى واحدًا ، هو التوكيد . ويمثل هذا الاتجاه كل من : سيبويه ، والقاسم بن أحمد الأندلسى ، وابن هشام الأنصارى ؛ فيرى سيبويه أن « معنى ما أتانى أحدٌ وما أتانى من أحد واحدٌ ، ولكنَّ (مِنْ) دخلت هنا توكيدًا ، كما تدخل الباءُ فى قولك : كفى بالشيب والإسلام ، وفى ما أنت بفاعلٍ ، ولستَ بفاعلٍ[2] » .

ويؤيد القاسم بن أحمد الأندلسى الحكم القائل « بأنَّ الباء فى قولك : « ما زيدٌ بقائم » مزيدة مع أنها لتأكيد النفى[3] » .

ويرى ابن هشام الأنصارى أنه « لا معنى لأن الزائدة غيرُ التوكيد كسائر الزوائد . . . على أن الزائد يؤكد معنى ما جئ به لتوكيده[4] » .

الآخر : ذهب إلى أن المفردات الزائدة تفيد معانى أخرى إلى جانب معنى التوكيد . ويمثل هذا الاتجاه كل من :

---

(۱) يرى ابن هشام (فى مغنى اللبيب : ۱/ ۱۸۰) أن « القول بزيادة الحرف أولى من القول بزيادة الاسم ، بل زيادة الاسم لم تثبت » .

(۲) الكتاب : ۲/۳۱٦ .

(۳) السيوطى : الأشباه والنظائر : ۲/ ٥٤٠ .

(٤) ابن هشام : مغنى اللبيب : ۱/ ۳٤ ، ۳٥ .

الزجاج ، والقيسي ، والشلوبين ؛ فيذهب الزجاج إلى أن الباء الزائدة قبل فاعل كفى في نحو قوله تعالى : ﴿ فكفى بالله شهيداً ﴾[1] «دخلت لتضمن كفى معنى اكتفِ »[2] .

ويرى القيسي أن « (بالله) في قوله : ﴿ كفى بالله ﴾ في موضع رفع ، وهو فاعل كفى تقديره : « كفى الله شهيدًا » والباء زائدة معناها ملازمة الفعل لما بعده ، فالله تعالى لم يزل هو الكافي بمعنى سيكفي لايحول عن ذلك أبدًا »[3] .

ويقول الشلوبين إنَّ (أنْ) الزائدة في نحو قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا أنْ جاءَتْ رُسُلُنا لوطًا سِيءَ بهمْ ﴾[4] : « أفادت هنا أنَّ الإساءة كانت لأجل المجيء وتعقبه[5] » .

فإذا ما تناولنا في المقابل موقف الفكر اللغوى الحديث من هذه القضية ، خاصة عند العلماء الأوربيين الذين اهتموا بدراسة الجملة العربية ومكوناتها ، وجدنا أن معظم هؤلاء العلماء ذكروا في بحوثهم مواضع ورود تلك المفردات (الزائدة في عرف النحاة العرب) دون التعرض لكونها زائدة أو لمعناها . ومن هؤلاء العلماء زوكن[6] وكارل بروكلمان[7] ، وأن القليل منهم من ذكر هذه المفردات ونص على أنها زائدة وتحدث عن معناها . ومن هؤلاء نولدكه ؛ فقد

(١) سورة يونس ، الآية ٢٩ .

(٢) ابن هشام : مغنى اللبيب : ١/١٠٦ .

(٣) القيسي : مشكل إعراب القرآن : القسم الأول – ص ٣٤٤ .

(٤) سورة العنكبوت ، الآية ٣٣ .

(٥) ابن هشام : مغنى اللبيب : ١/ ٣٤ .

(٦) SOCIN, A.: Arabische Grammatik, § 144, s.S. 121.

(٧) BROCKELMANN, CARL : Arabische Grammatik, § 142, S. 176, § 144, S. 177.

خصص فقرة كاملة من كتابه [1] لـ « ما الزائدة » وتحدث فيها عن مواضع ورودها فى الجملة العربية وذكر أنها « ترد لمعنى تقوية أدوات الشرط ، مثل : إذا ما ، وكيفما ، وإمَّا . . . إلى غير ذلك . . . وأنها تقع بين حرف الجر ومجروره ؛ فتجلب معنى توكيد الأخير ، نحو قوله تعالى ﴿ مِمَّا خَطِيئَاتِهِم [2] ﴾ و ﴿ فبما نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ [3] ﴾ [4] » .

العلاقة الخامسة : الاشتراك فى بعض الخصائص :

تربط هذه العلاقةُ صورةً واحدة من صور الاقتران فى الفكر النحوى ، توضح فيما يلى :

- اقتران مفرد نحوى بمفرد نحوى آخر لاشتراكهما فى بعض الخصائص . من ذلك :

(١) اقتران الاسم بالفعل المضارع لاشتراكهما فى سبعة أمور ، هى : الإعراب[5] ، ودخول لام الابتداء على كل منهما [6] ، ووقوع الفعل موقع الأسماء [7] ، وإفادة معنى العموم والاختصاص [8] ، ومجاراة اسم الفاعل للمضارع فى الحركة والسكون [9] ، والمعنى (الزمنى)

---

(1) NÖLDEKE, THEODOR : Zur Grammatik des classischen Arabisch, § 51, S. 59-63.

(٢) سورة نوح ، الآية ٢٥ .

(٣) سورة المائدة ، الآية ١٣ .

(٤) كتاب نولدكه السابق : فقرة ٥١ ، صفحة ٥٩ ، ٦٠ .

(٥) ابن مالك : شرح التسهيل : ١/ ٣٤ .

(٦) ابن هشام : مغنى اللبيب : ١/ ١٧٤ ، ٢٢٨ .

(٧) السيوطى : الأشباه والنظائر : ١/ ١١٢ .

(٨) الكتاب نفسه : ١/ ٤٤٧ .

(٩) ابن مالك : شرح التسهيل : ١/ ٣٥ .

والعمل [١] .

(٢) اقتران الاسم بالفعل الماضى ؛ لاشتراكهما فى خمسة أمور ، هى : دخول اللام الواقعة بعد لو عليهما ، واتصالهما بتاء التأنيث ، ووقوعهما بعد مذ ومنذ ، ومجاراة الماضى غير الثلاثى اسم الفاعل فى الحركة والسكون ، ومجاراة الماضى الصفة المشبهة والمصدر فى الوزن . ولعل هذه الخصائص المشتركة بين الاسم والفعل الماضى تفرَّد بذكرها ابنُ مالك [٢] .

يرى ابن مالك أن مشابهة الفعل الماضى الاسم أقوى من مشابهة الفعل المضارع الاسم ، يقول فى ذلك : « إن فى الفعل الماضى من مشابهة الاسم ما يقاوم المشابهة المعزوة للمضارع ولعلها أكمل [٣] » .

ويرى الباحث أن المشابهة بين الفعل المضارع والاسم أقوى من المشابهة بين الفعل الماضى والاسم وأكمل وليس كما رأى ابن مالك ؛ وذلك لما يلى :

أولاً : أن اتصال تاء التأنيث بآخر الفعل الماضى وبآخر الاسم ليس مقصوراً عليهما ، كما قال ابن مالك ، بل تتصل تاء التأنيث أيضًا

---

(١) سيبويه : الكتاب : ١/ ٦٤ .

(٢) يقول ابن مالك (فى شرح التسهيل : ١ / ٣٥) : « وأما لام الابتداء ، وإن كان للمضارع بها مزيد شبه بالاسم ، لكونها لاتدخل إلا عليهما ، فتقاومها اللام بعد لو ، فإنها تصحب الاسم والفعل الماضى خاصة ، كقوله تعالى : ﴿ ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة ﴾ (البقرة : ١٠٣) و ﴿ ولو اسمعهم لتولَّوا ﴾ (الأنفال : ٢٣) ، وليس الاعتبار بتلك أحق من الاعتبار بهذه ، ولو لم يظفر بهذه لقاوم تلك تاء التأنيث ، فإنها تتصل بآخر الماضى كما تتصل بآخر الاسم ، فحصل للماضى بذلك مشابهة الاسم مثل ما حصل للمضارع بلام الابتداء ، ويقاوم لام الابتداء أيضًا مباشرة مذ ومنذ ، فإن الماضى يشارك الاسم فيهما دون المضارع . وأما مجاراة المضارع اسم الفاعل فى الحركة والسكون ، فالماضى غير الثلاثى شريكه فيها . . . وللماضى ما يقاوم الفائت من اتحاد وزنه ووزن الصفة والمصدر وتقاربهما » .

(٣) الكتاب نفسه : ١/ ٣٥ .

بآخر بعض الحروف مثل : ثُمَّ ، ورُبَّ ، ولا النافية ، فتصبح بعد اتصال تاء التأنيث بها : ثمَّت ، وربَّت ، ولات [1] .

ثانيًا : أن ابن مالك يرى أن مذ ومنذ تدخلان على الفعل الماضى والاسم فقط ، فلا تدخلان على المضارع . ولكن هذه المسألة لم تكن محل اتفاق بين النحاة ، بل كانت مسألة خلاف بينهم ؛ فقد أجاز رضى الدين الاستراباذى دخول مذ ومنذ على الاسم ، والفعل الماضى ، والمضارع ، والحرف المصدرى [2] .

ثالثًا : أن مجاراة الماضى غير الثلاثى اسمَ الفاعل فى الحركة والسكون أمر يتعلق بالوزن الإيقاعى ، وليس بالوزن الصرفى [3] .

(٣) اقتران أفعل فى التعجب بأفعل التفضيل ؛ لاشتراكهما فى اللفظ والمعنى [4] .

---

(١) ذكر الرضى (فى شرح الكافية : ١/ ٢٧١) أن « التاء فى لات للتأنيث كما فى ربَّت وثمَّت » .

(٢) يقول الرضى (فى شرح الكافية : ٢/ ١١٩ ، ١٢٠) « نقول : يضاف منذ إلى جملتين إما الاسمية الجزئين نحو : منذ زيد نائم ، والمعنى فيها جميع المدة ولا أعلمها بهذا القيد مستعمله لأول المدة ، وإما التى أحد جزئيها فعل ؛ فإن كان الفعل ماضيًا نحو : منذ قام زيد ومنذ زيد قام فهو لأول المدة ، وإن كان مضارعا نحو : منذ يكتب زيد ومنذ زيد يكتب ، فإن كان المضارع حالاً فهو لجميع المدة وإن كان حكاية حال ماضية فهو لأول المدة ولايكون مستقبلاً ، لأن منذ لتوقيت الزمان الماضى فقط لتركبه من إذْ الموضوع للماضى . وقال الأخفش : « لايجوز : مذ يقوم زيد للزوم مجازين : كون يقوم مقام قام وحذف زمان مضاف على ما يجئ فى تقرير مذهب جمهور البصريين » ، والأصل جوازه ؛ لأن يقوم كما قلنا حال أو حكاية حال وليس المضاف محذوفا كما اخترنا . وجاز أيضًا أن يضاف منذ إلى الجملة المصدرة بحرف مصدرى لتغير إذ بالتركيب عن صورته التى كان معها واجب الإضافة إلى الجملة ... فتقول : منذ أنَّ الله خلقنى ... ويجوز أن يكون : مذ أنك قائم » .

(٣) يصدق هذا الكلام أيضًا على مجاراة المضارع من الثلاثى اسمَ الفاعل فى الحركة والسكون .

(٤) ذكر السيوطى (فى الأشباه والنظائر : ٢/ ٤٦٨) رأى صاحب البسيط (ضياء الدين بن العلج) فى هذا الاقتران فيقول : « قال صاحب البسيط : التعجب والتفضيل يشتركان فى اللفظ والمعنى . أما =

(٤) اقتران (كـأىٍّ) بـ (كم) ، لاشتراكهـما فى « خمسة أمـور : الإبهام ، والافتقار إلى التميز ، والبناء ، ولزوم التصدير ، وإفادة التكثير تارة وهو الغالب ، نحو : ﴿ وكأيِّن من نـبىٍّ قاتلَ مَعَهُ ربيُّون كثير ﴾[1] والاستفهام أخرى ، وهو نادر [2] » .

(٥) اقتـران (كذا) بـ (كأىٍّ) لاشـتراكهمـا فى « أربعـة أمور : التركـيب ، والبناء ، والإبهام ، والافتقار إلى التمييز [3] » .

(٦) اقتران كم الخبرية بكم الاستـفهامية ، لاشتـراكهما « فى خمـسـة أمور : الاسمـيـة ، والإبـهـام ، والافتقـار إلى الـتميـيز ، والـبنـاء ، ولزوم التصـدير [4] » .

= اللفظ فلتـركبهما من ثلاثة أحرفٍ أصول وهـمزة . وأما المعنى فلان ما أعلم زيـدًا ! وزيدٌ أعلمُ من عمروٍ يشتـركان فى زيادة العلم ، ويفـترقان فى أن أفعل فى التـعجب ينصب المفعـول به (نحو) ما أحسن زيدًا ! وافـعل التفضيل لايـنصب المفعول به علـى أشهر القولين ، والثـانى أنه ينصبه لـلسماع والقياس » .

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٤٦ .

(٢) ابن هشام : مغنى اللبيب : ١/١٨٦ . وذكر ابن هشام فى الموضع نفسه أيضًا أن (كأىٍّ) تخالف (كم) فى « خمـسة أمور : أحدها : أنهـا مركبة ، وكم بسـيطة على الصـحيح . . . والثانى : أن تمـيزها مجرور بمن غالبا . . . والثالث : أنها لاتقع استفهامية عند الجمهور . . . والرابع : أنها لاتقع مجرورة . . . والخامس : أن خبرها لايقع مفردًا » .

(٣) الكتـاب نفسه : ١/١٨٧ . وذكر ابن هشام فى الموضـع نفسه أن (كذا) تخالف (كـأىٍّ) « فى ثلاثة أمور : أحدها : أنها ليس لها الصَّدْر ، تقول : قبضت كذا وكذا درهما . الثانى : أن تمييزها واجب النصب ، فلايجوز جره بمـن اتفاقا ، ولا بالإضافة خلافا للكوفيين . . . الثالـث : أنها لاتستعمل إلا معطوفا عليها » .

(٤) ابـن هشام : مغـنى اللـبيب : ١/١٨٣ ، ١٨٤ . وذكـر ابن هشام فـى الموضع نفـسه أن كم الخبـرية والاستفـهامية « يفـترقان فـى خـمسة أمور : أحـدهـا : أن الكلام مـع الخبرية محـتمل للتـصديق والتكذيب ، بخلافه مع الاستـفهامية . الثانى : أن المتكلم بالخبرية لايستـدعى من مخاطبه جوابا لأنه مُخبِر ، والمتكلم بالاستـفهامية يستدعيـه لأنه مُستخبِر . الثالث : أن الاسم المُبْدَل من الخبـرية لايقترن =

يلاحظ أن النقطة الرابعة والخامسة والسادسة من صورة الاقتران السابقة ضمت المفردات الثلاثة (كأىٍّ وكذا وكم) . وقد ربطت اقتران معانى هذه المفردات صلةُ التجاور [1] إضافةً إلى ربْطه بالعلاقة الرئيسة ، وهى علاقة الاشتراك فى بعض الخصائص .

* * *

= بالهمزة ، بخلاف المُبْدَل من الاستفهامية ... الرابع : أن تمييز كم الخبرية مفرد أو مجموع ... ولايكون تمييز الاستفهامية إلا مفردا ، خلافا للكوفيين . الخامس : أن تمييز الخبرية واجب الخفض ، وتمييز الاستفهامية منصوب ، ولايجوز جره مطلقا ، خلافا للفراء والزجاج وابن السراج وآخرين » .

(١) يقول نيده NIDA, E.A. (فى كتابه : Componential Analysis of Meaning, p. 18) إن صلة « التجاور هى التى توضح العلاقات بين المعانى التى ترتبط ارتباطا وثيقا ، وتشترك جميعا بسمات معينة وتحتل مجالاً دلاليا محدداً ، ومعرَّفا بدقة ، وتُظْهِر اختلافاتٍ معينة بوضوح » .

خاتمة البحث

توصل هـذا البحث إلى نتـائج عديدة متنـوعة ، يُصنَّف أهمها فى الـنقاط التالية :

أولاً : من النتائج التى تمثل جدة فى البحث والتى يرى الباحث انها لم تطرح فيما سبق من دراسات على حد مبلغ علمه بذلك :

(١) الكشف عن العلاقات التى تربط صور الاقتران فى الفكر النحوى العربى، وحصرها فى خمسة أنواع ، وكذلك حصر هذه الصور ومكوناتها .

(٢) الوصول إلى أن همزة التسوية ليست فى الأصل همزة استفهام خرجت عن معنى الاستفهام إلى معنى التسوية ، كما قال سيبويه ومن تبعه من النحاة، بل هى همزة (أنْ) المصدرية وقد حذفت نونُها وبقيت همزتها .

وبناء على ذلك يكـون المبتدأ المؤخر فى مثل قوله تعـالى : ﴿ سواءٌ عليهم أأنذرتَهُمْ أمْ لم تُنْذِرْهُمْ ﴾ هو المصدر المكون من (أنْ) التى حذفت نُونُها والفعل الماضى (انذر) ، وهو مصدر مؤول بالصريح (إنذار) مرفوع ، والخبر المقدم هو (سواء) .

أما المعـطوف بأمْ على المبـتدأ (المصدر المؤول بالـصريح) فيرى البـاحث أنه مصدر مـؤول بالصريح حـذف منه الحرف المصدرى لـطول الجملة . وقـد مثل لهذا الإعراب فى البحث بالعديد من الشواهد .

هذا ولم يقف الباحث حتى الآن على رأى قال بأن همزة التسوية هى همزة (أنْ) المصدرية وقـد حذفت نونُها ، وأن المعـطوف بأم مصدر مؤول حـذف منه الحرف المصدرى .

ثانياً : من النتائج التى تمثل إضافة جديدة إلى ما توصل إليه رأى أحد العلماء السابقين ما يلى :

* إضافة مكونات أخرى جديدة إلى مكونات صور التلازم التى ذكرها دكتور تمام حسان فى كتابه : اللغة العربية معناها ومبناها ، وكذلك إضافة تسع صور جديدة إلى الصور التى ذكرها فى الكتاب نفسه والتى بلغت ثمانى عشرة صورة ذكرت كلها فى البحث .

ثالثاً : وصل البحث إلى نقد جملة من الآراء وإثبات بعض الآراء لدى الباحث . من ذلك :

(١) ما ذكره سيبويه (فى كتابة : ٣/ ٥٩ ، ٦٠) من أن (مهما) قد تكون مركبة من (مَهْ ما) «كإذ ضُمَّ إليها ما» .

إن ما جاء فى كتاب سيبويه من أن (إذ ما) مركبة ينفى ما ذكره رضى الدين الاستراباذى (فى شرح كافية ابن الحاجب : ٢/ ٢٥٣ ، ٢٥٤) حين نسب رأى سيبويه السابق للمبرد .

(٢) ما ورد فى كتاب سيبويه (٣/ ٥٩) من أنه سأل «الخليل عن مهما فقال : هى (ما) أدخلت معها (ما) لغواً ، بمنزلتها مع متى إذا قلت : متى ما تأتنى آتك ، وبمنزلتها مع إنْ إذا قلت : إنْ ما تأتنى آتِك» . إن ما ورد فى كتاب سيبويه من نسبة الرأى القائل بأن (إمَّا) مركبة من (إن وما) للخليل ابن أحمد ، ينفى ما ذكره ابن هشام الأنصارى (فى مغنى اللبيب : ١/ ٥٩) حين نسب رأى الخليل السابق لسيبويه .

(٣) ما رآه ابن مالك من أن مشابهة الفعل الماضى الاسم أقوى من مشابهة الفعل المضارع الاسم ؛ يقول (فى شرح التسهيل : ١/ ٣٥) : «إن فى الفعل الماضى من مشابهة الاسم ما يقاوم المشابهة المعزوة للمضارع ولعلها أكمل» .

ويرى الباحث أن المشابهة بين الفعل المضارع والاسم أقوى من المشابهة بين الفعل الماضى والاسم وليس كما رأى ابن مالك ، وذلك لأسباب عديدة ذكرت فى البحث .

* * *

مصادر البحث ومراجعه

أولاً : المصادر والمراجع العربية :

- القرآن الكريم .

الاستراباذى (رضى الدين محمد بن الحسن) :

- شرح كتاب الكافية فى النحو للإمام جمال الدين أبى عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب . دار الكتب العلمية ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

ابن الأنبارى (أبو البركات كمال الدين) :

- منثور الفوائد : تحقيق دكتور حاتم صالح الضامن - نشر فى مجلة «المورد» التى تصدرها وزارة الثقافة والإعلام بالجمهورية العراقية - المجلد العاشر - العدد الأول ، دار الجاحظ - بغداد ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

تمام حسان (دكتور) :

- اللغة العربية معناها ومبناها : الهيئة المصرية العامة للكتاب - الطبعة الثانية - القاهرة - ١٩٧٩ م .

ابن جنى (أبو الفتح عثمان) :

- الخصائص : تحقيق محمد على النجار - الهيئة المصرية العامة للكتاب - الطبعة الثالثة ، الجزء الثانى ، القاهرة - ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

- سر صناعة الإعراب : تحقيق لجنة من الأساتذة : مصطفى السقا ومحمد الزفزاق وإبراهيم مصطفى وعبدالله أمين ، شركة مكتبة

ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر - الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م .

الجوهرى (أبو نصر إسماعيل بن حماد) :

- تاج اللغة وصحاح العربية : تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار الكاتب العربى ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦ م .

رمضان عبد التواب (دكتور) :

- فصول فى فقه العربية : مكتبة الخانجى بالقاهرة ودار الرفاعى بالرياض ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م .

- فى قواعد الساميات (العبرية والسريانية والحبشية) - مكتبة الخانجى - القاهرة ١٩٨١ م .

ابن السراج (أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوى البغدادى) :

- الأصول فى النحو : تحقيق دكتور عبد الحسين الفتلى ، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ، بيروت ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر) :

- الكتاب : تحقيق عبد السلام محمد هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، الجزء الأول ١٩٧٧ م ، والجزء الثانى ١٩٧٩ م ، والجزء الثالث ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .

السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر) :

- الأشباه والنظائر فى النحو : تحقيق عبد الإله نبهان وغازى مختار طليمات وأحمد مختار الشريف . مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، الجزء الأول والثانى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م ، والجزء الرابع ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

- بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة : تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م .

القيسى (أبو محمد مكى بن طالب) :

- مشكل إعراب القرآن : تحقيق دكتور حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الرابعة ، بيروت ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

ابن مالك (جمال الدين محمد بن عبدالله بن عبدالله الطائى الجيّانى الأندلسى) :

- شرح التسهيل : تحقيق دكتور عبد الرحمن السيد ودكتور محمد بدوى المختون ، هجر للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى - الجيزة ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .

المرادى (الحسن بن قاسم) :

- الجنى الدانى فى حروف المعانى : تحقيق دكتور فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فضيل ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

ابن هشام الأنصارى (أبو محمد عبد الله جمال الدين) :

- شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب ، ومعه كتاب منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب تاليف محمد محيى الدين عبد الحميد ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا - بيروت بدون تاريخ .

- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب : حققه محمد محيى الدين عبد الحميد ، مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده بمصر - القاهرة بدون تاريخ .

ابن يعيش (موفق الدين يعيش بن على) :

- شرح المفصل : عالم الكتب ، بيروت بدون تاريخ .

ثانيا - المصادر والمراجع الأوروبية :

BROCKELMANN, CARL :

- Arabische Grammatik : 14 Auflage–Besorgt von Manfred Fleischhammer. VEB Otto Harrassowitz, Leipzig 1960.
- Grundriss der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen : II. Verlag von Reuther & Reichard. Berlin 1913.

DENZ, ADOLF :

- Die Struktur des klassichen Arabisch. In : Grundriss der arabischen Philologie (Band I : Sprachwissenschaft). Herausgegeben von Wolfdietrich Fischer : Dr. Luwig Reichert Verlag. S. 58–82. Wiesbaden 1982.

FISCHER, A.:

- Zwei Beiträge zur arabischen Grammatik. In : Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft, Band 63. In kommission bei F.A. Brockhaus, S. 597–603, Leipzig 1909.

FISCHER, WOLFDIETRICH :

- Grammatik des klassischen Arabisch. Otto Harrassowitz. Wiesbaden 1972.

NIDA, EUGENE A.:

– Componential Analysis of Meaning, Mouton, the Hague, Paris 1975.

NÖLDEKE, THEODOR :

– Zur Grammatik des classischen Arabisch. Druck : Wissenschaftliche Buchgesellschaft. Darmstadt 1963.

SOCIN, A.:

– Arabische Grammatik. Dritte Vemehrte und verbesserte Auflage. Verlag von Reuther und Reichard, Berlin 1894.

WEHR, HANS :

– Zur Funktion arabischer Negationen. In : Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft, Band 103. Kommissionsverlag Franz Steiner GMBH, S. 27–39, Wiesbaden 1953.

WRIGHT, W. :

– A grammar of the Arabic Language. II. Cambridge at the University Press 1951.

الوسائل اللغوية للتوكيد
عند
طه حسين

بقلم الدكتور
محمد عبد الوهاب شحاته

مقدمة

الغرض من هذا البحث هو دراسة التوكيد لدى أحد أعلام الفكر المعاصر لبيان جانب من جوانب الاستخدام اللغوى ، بإيضاح طرائقه ووسائله وأنماطه والكيفية التى يوجد عليها فى بنية الكلمة وتركيب الجملة .

إنَّ التوكيد وجه من وجوه تمكين المعنى والإحاطة به ، وهو أحد معان ثلاثة للمجاز . وقد أشار ابن جنى فى الخصائص (حـ٢/ ٤٥١) ، إلى أن وقوع التوكيد فى هذه اللغة أقوى دليل على شياع المجاز فيها ، واشتمالها عليه ، حتى إنَّ أهل العربية أفردوا له بابا ، لعنايتهم به ، وكونه مما لا يضاع ولا يهمل مثله ، كما أفردوا لكل معنى أهمهم بابا ، كالصفة ، والعطف ، والإضافة ، والنداء ، والنُّدبة ، والقسم ، والجزاء ، ونحو ذلك .

ودلالة التوكيد لا تنحصر فى باب واحد ، بل تتوزع فى موضوعات متنوعة ، تحمل معانى مختلفة . والتوكيد يأتى لتحقيق وتسديد المعنى المقصود فى هذه الموضوعات . فهو يأتى فى المجاز وفى الحقيقة ، فالعرب وكدت المجاز كما وكدت الحقيقة ، وهو فى الإثبات والنفى ، والقسم ، والمصدر ،

ويقع بألفاظ مثل : لاسيما ، وقط ، وحسب ، وإنَّ ، وأنَّ ، وغيرها مما توضحه الصفحات التالية .

وقد كان التوكيد موضع اهتمام هذه الدراسة للأسباب الآتية :

(١) التوكيد يمثل ظاهرة شائعة لدى مستخدمي اللغة ، فكل حريص على تأكيد القول أو الفعل ، ولكن الكيفية التي يقع بها تتفاوت من فرد إلى آخر .

(٢) إزالة ما علق بذهن الكثير عن حدود التوكيد ، وبيان أن دلالته لا تقف عند حدود ما أشار إليه النحاة في باب التوابع ، بل تمتد إلى موضوعات أخرى متفرقة وموزعة على أبواب مختلفة من أبواب النحو العربي .

(٣) معرفة خواص الأساليب والتراكيب والجمل في لغتنا معرفة تقرب ما بين التركيب في صورته التي طرحها النحاة والأغراض الدلالية التي يأتي لها من توافق وتطابق أو غير ذلك .

(٤) محاولة استثمار جهود القدماء العظام من دراسة تكاملية ، تقوم على التآزر العلمي بين فروع اللغة ، لمعرفة خصائص الأجزاء من الكل ، فتجعل الوحدة التعبيرية هي موضوع التحليل ، حتى تنتهي إلى الجمل كاشفة عن دور كل منها في أداء الغرض الرئيسي ، وباحثة في التركيب عن قدرة الشكل على استيعاب المضمون على أدائه للأغراض الدقيقة .

(٥) تقرير القواعد والأحكام التي قال بها القدماء ، بناء على الواقع اللغوي المستخدم لدى الكتاب والشعراء .

لهذا كله رأيت أن أتناول دراسة هذا الموضوع من خلال الجمع بين ما أورده القدماء من النحاة من جانب ، وما يقره الواقع اللغوي معتمداً على

صور من الاستخدام اللغوى المعاصر من خلال نموذجين من مؤلفات الدكتور / طه حسين ، هما : الأيام ، ومستقبل الثقافة ، وذلك بتقديم صورة واقعية من الاستعمال اللغوى لكل مفردة من مفردات التوكيد .

وقد جاء البحث مشتملاً على مايلى :

أولاً : المصطلح ودلالته .

ثانيًا : التوكيد ظاهرة اجتماعية .

ثالثًا : العناصر الصوتية للتوكيد .

رابعًا : التوكيد والوظيفة النحوية .

خامسًا : جدوى التوكيد .

سادسًا : التوكيد فى الجملة العربية عند النحاة العرب .

سابعًا : أنماط التوكيد ووسائلها عند طه حسين .

ثامنًا : الخاتمة .

تاسعًا : المصادر والمراجع .

هذا وقد اعتمد البحث على عدد من المصادر والمراجع ، نذكر من المصادر على سبيل المثال : الكتاب لسيبويه ، والمقتضب للمبرد ، والخصائص واللمع لابن جنى ، وشرح الكافية للرضى ، ورصف المبانى للمالقى ، ومغنى اللبيب لابن هشام .

ومن المراجع : علم اللغة الاجتماعى لـ « هدسون » ، وبحث عن فكر طه حسين اللغوى ، للدكتور / محمود فهمى حجازى ، بعنوان « فكره اللغوى » منشور بكتاب الفكر رقم ١٤/ ١٩٨٩ ، وكتاب « مناهج البحث فى اللغة » للدكتور / تمام حسان ، وكتاب « اللسانيات واللغة العربية » ،

للدكتور / عبد القادر الفاسي الفهرى ، « والأصوات اللغوية » للدكتور / محمد على الخولى ، وبحث « فى تطور اللغة العربية » لـ « أندرى رومان » ، منشور بمجلة اللسانيات - تونس - ع ٦/١٩٨٦ .

أولاً : المصطلح ودلالته

التوكيد والتأكيد مصدران رباعيان للفعلين « وكّد يوكّد توكيدًا ، وأكّد يؤكّد تأكيدًا » بمعنى أوثق الأمر ، وشدّد عليه ، وأحكمه وقرره . والهمز فيه لغة ، فأكّده لغة فى وكّده ، وقيل هو بدل ، والتأكيد لغة فى التوكيد ، والتوكيد بالواو أفصح من التأكيد بالهمز[1] . ولم يرد فى القرآن الكريم إلا بالواو ، فى قوله تعالى ﴿ ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها ﴾[2] .

وقد تباين النحاة فى استخدام المصطلحين ، فمنهم من استخدام مصطلح التوكيد[3] ، ومنهم من استخدم مصطلح التأكيد[4] ، ومنهم من استخدام

- لا أنسى واجب الشكر لأستاذى العظيم الدكتور محمود حجازى ، فله منى خالص التقدير ، ومن الله الجزاء الأوفى لقاء ما يقدمه على مر الأيام .
- لا أدعى لنفسى تجنب الأخطاء والبعد عن المزالق ، وحسبى أننى حاولت مخلصًا ان ألمّ شتات الموضوع وأتابعه فى كتابات أحد الأعلام المعاصرين ، فإنْ بدا ما يحمد فلله الشكر والمنه ، وإنْ بدا خلاف ذلك فعذرى أننى بشر .

(١) اللسان - أكد ١/ ١٠٠ ، وكد ٦/٤٩٠٥ ، تاج العروس - وكد ٢/ ٥٤٠ .

(٢) الآية ٩١ من سورة النمل ، وانظر : المعجم المفهرس ٧٦٢ ، دراسات فى أسلوب القرآن ق ٣/٤/٣ - ٢٥ .

(٣) سيبويه - الكتاب ٢٤١/١ ، ٢٥١ ، ٢٦٩ ، ٣٧٧ ، ٣٩٩ ، ١١/٢ ، ١٢ ، ١٤٦ ، ١٨٤ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٧٩ ، ٣٨١ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٩٦ ، ٢٠٥/٣ ، المبرد - المقتضب ٣/ ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٣٤٢ ، ٣٨٠ ، ٣٧١/٤ ، ابن جنى - اللمع ١٤١ ، الخصائص ١٢٦/١ ، ٤٤٢/٢ ، ٤٤٣ ، ٤٥١ ، ١٠١/٣ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، الحيدرة - كشف المشكل ٥/٤ - ١٥ ، أبو حيان - ارتشاف الضرب ٦٠٨/٢ - ٦١٨ ، عباس حسن - النحو الوافى ٥٠١/٣ - ٥٣٧ .

(٤) الزمخشرى - المفصل ١١٤ ، ابن يعيش - شرح المفصل ٣٩/٣ ، ابن الحاجب - الإيضاح على شرح المفصل ٤٣٥ - ٤٤٠ .

المصطلحين معًا[1] . والأول أكثر فى الاستعمال .

وفى الاصطلاح هو « تابع يقرر أمر المتبوع فى النسبة والشمول . . . وألفاظه ليست مستقلة مستغنية عما تقدم عليها[2] . وقد حده صاحب دلائل الإعجاز بقوله : « حد التأكيد أن تحقق باللفظ معنى قد فهم من لفظ آخر قد سبق منك . . . وهو ضرب من التقييد . فمتى نفيت كلامًا فيه تأكيد ، فإنَّ نفيك ذلك يتوجه إلى التأكيد خصوصًا ويقع له »[3] . فالتوكيد بيان وتحقيق وزيادة تثبيت للمعنى المراد .

وثمة فعل أورده ابن جنى هو الفعل « تبلغ » ، وقد فُسِّر بمعنى « تؤكد » فى قوله : « قيل لأبى عمرو : أكانت العرب تطيل ؟ فقال : نعم لتبلغ . قيل أفكانت توجز ؟ قال : نعم ليحفظ عنها »[4] . فـ « تبلغ » بمعنى « تؤكد » . وفى التاج « أيمان علينا بالغة ، أى منتهية فى التوكيد ،وقيل يمين بالغة ، أى مؤكدة . والحكمة البالغة ، التامة المؤكدة »[5] . وذلك فى إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة ، إن لكم لما تحكمون ﴾ وقوله تعالى : ﴿ حكمة بالغة فما تغنى النذر ﴾[6] . فـ « بالغة وتبلغ » بمعنى متقارب فى الدلالة على التوكيد والتثبت والتيقن من تمام الأمر واستوائه ، والإطالة فى جواب أبى عمرو فيها تحقيق وتسديد ، وهذا ما يليق به الإطناب والإسهاب ، وينتفى عنه الإيجاز والاختصار .

---

(١) ابن هشام – شرح شذور الذهب ٥٠٨ – ٥١٢ .

(٢) الرضى – شرح الكافية ٣٢٨/١ ، ٣٣٣ .

(٣) عبد القاهر الجرجانى – دلائل الإعجاز ٢٣٠ ، ٢٨٠ .

(٤) ابن جنى – الخصائص ٨٣/١ ، وقد علق محقق الكتاب على كلمة « تبلغ » بقوله : « كذا فى حـ ، وفى أ : لتبلغ ، وكتب فوقه « لتؤكد » ويبدو أن هذا تفسير لتبلغ » هامش ٣ حـ٨٣/١ .

(٥) تاج العروس ٤/٦ ، ٥ .

(٦) الآية ٣٩ من سورة القلم ، والآية ٥ من سورة القمر .

ثانياً: التوكيد ظاهرة اجتماعية

العلم بالإثبات والنفى وسائر معانى الكلام فى غرائز النفوس[1] ، والتوكيد باعتباره معنى من الكلام يقع فى الإثبات والنفى لا يُعْلم فى ذاته ، بل ليعرف واقعًا من المتكلم وكائنًا فى نفسه ، إذ لا يوجد على انفراد ، وإنما يكمن فى النفس الإنسانية ، فلاشك أن كل مستخدم للغة يحرص على دفع الشك عن نفسه ، ويسعى إلى تأكيد القول أو الفعل ما وسعته الوسائل إلى ذلك ، فمرة يقسم ، ومرة يقدم ويؤخر ، وثالثة يستخدم كلمة أو تركيبا خاصًا على نسق معين . . . وهكذا يحاول المرء - على قدر طاقته - أن يثبت ما يقول ، ويوثّق ما يكتب ، ويشدِّد على ما يفعل .

فالتوكيد يمثل ظاهرة شائعة لدى البشر ، والكل حريص على تأكيد أفعاله وأقواله ، مع تفاوت الكيفية التى يقع بها ، وذلك لماله من أهمية كبيرة للسامع ، إذ يثبِّت فى قلبه ما يدعيه المتكلم فى نفسه ، وهو يختلف باختلاف المقام ، وما يتلمسه السامع ، مما يحيط به من نسيان أو خوف أو شك ونحو ذلك .

إنَّ علاقة التوكيد بأفعال الشخص وسلوكه قائمة ودائمة ، إذ يعكس مواقفه من قضايا خاصة ذات صلة مباشرة ، وغير مباشرة بواقع الفرد الاجتماعى والنفسى ، وما يحيط بهما من ظروف سياسية واقتصادية ونحوهما ، إذ عندما يستخدم وسيلة معينة فيما يتحدث أو يكتب ، ويكرره تكرارًا يظهر تميزًا أسلوبيًا فى عمله الأدبى ، يعكس بذلك علاقات مختلفة ترتبط بمواقف معينة تثير فى نفسه هذا الاستخدام اللغوى ، وتجعل له خصوصية على مستوى التعبير ، وقد تعكس وجهة نظر خاصة بكاتب أو شاعر ويحاول من خلالها ترسيخ وجهة نظره فى قضايا لها علاقة بحياته وشخصيته وأسرته .

---

(١) عبد القاهر الجرجانى - دلائل الإعجاز ٥٦١ .

وليس استخدام وسيلة أو أكثر غاية تتصل بإيحاءات شكلية تجعله كلفاً بهذه الوسيلة أو تلك ، وإنما يكون استجابة لمعان نفسية واجتماعية ، تقوده ليغلب وسيلة على أخرى ، أو يعيدها إعادة تلفت النظر ، وتثير الانتباه ، فتارة يؤكد المتكلم أو القارئ للسامع بأداة واحدة ، كأن تكون نونًا أو لامًا ، فإن وجد فى السامع شكا أضاف له وسيلة ، أو حشد عدة وسائل فى الجملة الواحدة ، حتى يكون على ثقة مما يقال أو يسمع ، فوسائل التوكيد رسائل ثقة وتطمين يبثها صاحبها فى ثنايا حديثه إلى الآخرين ليكونوا على يقين مما يقع من أقوال وأفعال .

وهذه الوسائل إذا كانت تختلف باختلاف مستخدمها ، فإنها تتنوع كذلك حسب تنوع المتلقى ، فالمثقف لا يتفق مع من هو دونه ، والكبير ليس كالصغير ، والموجَّه لفرد ليس كالموجه لجماعة ، إذا لتوكيد أولاً وأخيراً يعتمد على وحدات لغوية « وليس مجرد ثرثرة تافهة لإضاعة الوقت ، بل هو نوع من اتخاذ المواقف الرسمية إزاء المشكلات التى لا تنتهى والمناقشات والقوافى أو المنافسة الكلامية . فالكلام له معاييره التى تتحكم فيه ، وهذا الحجم الكمى قد يتراوح ما بين القليل جداً والكثير جدًا . والمجتمع يتحكم فى الكلام بطريقتين :

أولاً : عن طريق تحديد مجموعة من المعايير norms ، نتعلم كيفية الالتزام بها بمهارة ، وقد تختلف بعض المعايير من مجتمع لآخر ، ولو أن بعضها قد يكون أكثر شمولية وانتشاراً من بعضها الآخر .

ثانيًا : يوفر المجتمع الدوافع motivation الضرورية لحثنا على الالتزام بهذه المعايير ، ولحثنا على بذل الجهد فى الكلام »[1] .

---

(١) هدسون - علم اللغة الاجتماعى - ترجمة د. محمود عياد ١٨٣ ، ١٨٧ ، ١٨٨ مع تصرف يسير

بالإضافة إلى ذلك يهتم المجتمع اهتماماً كبيراً بالكلام ، ويوفر لنا على وجه الخصوص مجموعة من المفاهيم للتفكير فيها والتحدث عنها . وإحدى هذه المجموعات المجموعة الخاصة بوظائف الكلام ونظرية الأفعال الكلامية ، التى تعكس بدورها التصنيف الاجتماعى للكلام حسب وظائفه . . . وهذا التصنيف الوظيفى للكلام هو جزء من الأداة التى يتحكم بها المجتمع فى الكلام . . . وعلينا أن نتوقع نفس القدر من التباين بين الأفراد فى معايير الكلام ، كما هو الحال بالنسبة لاستخدام الوحدات اللغوية . فمن الواضح أن الناس يستخدمون الكلام مثلما يفعلون فى حالة استخدام الوحدات اللغوية ، أى لتحديد موقعهم بالنسبة للجماعات الاجتماعية الأخرى التى يستطيعون تمييزها فى المجتمع من حولهم . والاختلاف الوحيد القائم بين معايير الكلام والوحدات اللغوية ، هو أن دراسة الأولى أكثر صعوبة نسبيًا من دراسة الأخيرة ؛ فالوحدات اللغوية إذا كانت تعكس الخصائص الاجتماعية للمتحدث أو المخاطب أو العلاقة بينهما ، فإن الكلام الذى يشتمل على مثل هذه الوحدات ينبىء المتلقى عن الطريقة التى يرى بها المتحدث هذه الخصائص »[1] .

فالتوكيد يعكس السمات والخصائص الاجتماعية للمتحدث أو المخاطب والعلاقة بينهما ، وهو يتفاوت تبعًا لأهمية الموضوع ومكانة المؤكَّد . ومتى ازداد إدراك الفرد لأهمية موضوعه وموقع من يتحدث إليه تعددت الوسائل وتنوعت الطرق لتحقيق المعنى المراد .

ولم يغفل العرب القدماء قيمة التوكيد وأهميته فى الكلام ، وإدراكا منهم لذلك فقد « أفردوا له بابا لعنايتهم به ، وكونه مما لا يضاع ولا يهمل مثله ، كما أفردوا لكل معنى أهمهم بابًا ، كالصفة والعطف والإضافة والنداء والندبة والقسم والجزاء ، ونحو ذلك »[2] .

(١) المرجع السابق ١٨٨ - ١٨٩ مع تصرف يسير .

(٢) ابن جنى - الخصائص ٢/ ٤٥١ .

ويمثل التوكيد وجهًا من وجوه الاحتياط والتمكين للمعنى ، قال ابن جنى: « اعلم أن العرب إذا أرادت المعنى مكنته واحتاطت له . فمن ذلك التوكيد ، وهو على ضربين : أحدهما : تكرير الأول بلفظه ، وهو نحو قولك : قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة ، والله أكبر الله أكبر . والثانى : تكرير الأول بمعناه . وهو على ضربين : أحدهما : للإحاطة والعموم ، مثل : قام القوم كلهم . والآخر : للتثبيت والتمكين ، مثل قام زيد نفسه »[1] .

ويعد التوكيد ملمحًا من ملامح الإطالة فى الكلام ، فقد يطيل المرء حديثه للتوكيد، «قيل لأبى عمرو: أكانت العرب تطيل ؟ فقال: نعم، لتبلغ . قيل: أفكانت توجز ؟ قال: نعم ليحفظ عنها » ، وفسرت «تبلغ» بـ : تؤكد ، وفسرت : « يحفظ » بـ « يخفف »[2] . وقد أشار ابن جنى فى أكثر من موضع فى الخصائص إلى أن التوكيد لا يقع للإيجاز والاختصار ، من ذلك قوله : « التوكيد للإسهاب والإطناب ، والحذف للاختصار والإيجاز »[3] . فإذا أسهبت العرب فى أمر ، فذلك مرجعه إلى أهميته وعلو قدره بين الأمور ، لأنهم - أى العرب - مع ما ذكرنا - إلى الإيجاز أميل ، وعن الإكثار أبعد ، وهم لا يميلون إلى الإكثار والإطالة إلا لضرورة داعية إلى ذلك[4] .

كما يعد أحد معان ثلاثة يأتى لها المجاز ، إذ « يقع ويُعدَل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة ، وهى : « الاتساع ، والتوكيد ، والتشبيه . فإن عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة . والحقيقة : ما أقر فى الاستعمال على أصل وضعه فى اللغة . والمجاز ما كان بضد ذلك »[5] .

---

(١) راجع : ابن جنى - الخصائص ٣/١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٢) المصدر السابق ١/٨٣ .

(٣) المصدر السابق ١/ ٢٩٠ وانظر ١/٢٨٧ ، ٢/٢٨٢ من المصدر نفسه .

(٤) المصدر السابق ١/٨٣ .

(٥) المصدر السابق ٢/٤٤٢ .

ومما يدل على لحاق المجاز بالحقيقة عندهم وسلوكه طريقته فى أنفسهم أن العرب قد وكّدته كما وكدت الحقيقة ، ووقوع التوكيد فى هذه اللغة أقوى دليل على شياع المجاز فيها ، واشتماله عليها[1] ؛ حتى إن أهل العربية أفردوا له بابًا لعنايتهم به ، وكونه مما لايضاع ولا يهمل مثله ؛ كما أفردوا لكل معنى أهمهم بابًا[2] .

والمجاز أعم من الاستعارة ، فكل استعارة مجاز ، وليس كل مجاز استعارة ، ولا معنى للإيجاز إلا أنْ يدلَّ بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى ، وإذا لم تجعله وصفًا للفظ من أجل معناه ، أبطلت معناه ، أعنى أبطلت الإيجاز ، والمجاز إذا اكثر لحق بالحقيقة[3] .

وخلاصة الأمر أنه إذا كان صوغ الكلام ونظمه ليس إلا أن تضعه الوضع الذى يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه التى نهجت فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التى رسمت لك ، فلا تخل بشئ منها ، كما أشار إلى ذلك صاحب دلائل الإعجاز ، وإذا كانت التراكيب تتنوع فى استخدامها بين الحقيقة والمجاز ، والإنسان يؤكد الحقيقة ، إذا كان كل ذلك يقع فإنه دليل على كون التوكيد ظاهرة اجتماعية ، تشيع لدى البشر مع اختلاف أعمارهم وتفاوت ظروفهم ، مما يميز الإنسان من سائر المخلوقات .

ثالثا : العناصر الصوتية للتوكيد

ثمة عدد من العناصر التى يوردها الباحثون فى إطار الدرس اللغوى ، على أنها تؤدى عددًا من المعانى المختلفة كالاستفهام والتعجب والاستنكار والنداء ، وهذه العناصر صوتية لا صرفية .

---

(١) كذا وردت العبارة وأظن أن الصواب « واشتمالها عليه » .

(٢) راجع الخصائص ٢/ ٤٥١ ، ٤٥٣ مع تصرف يسير .

(٣) راجع دلائل الإعجاز ٤٦٢ والخصائص ٢/ ٤٤٧ .

من ذلك مثلاً الطول فى الصوت الذى يستعمل كوسيلة من وسائل التعبير التوكيدية emphatic أو الانفعالية emotianal . . . لتأكيد مقطع من المقاطع[1] .

ويتناول الباحثون فى الدراسات الصوتية الطول فى الصوت تحت ما يعرف بالكمية ، وتتعلق بالمدة الزمنية للأصوات ، وتتوقف كمية كل صوت على سرعة الإلقاء speed of delivery وأنه كلما ازدادت سرعة الكلام ازداد كل صوت فى القصر والعكس صحيح . وعلى ذلك فمدة الأصوات تعتمد على طول المجموعة المنطوقة . فكلما زاد طول هذه المجموعة قصر طول كل صوت فيها ، إلا أن المدد الزمنية للأصوات الكلامية تعتمد أيضًا على نوعيتها الصوتية ذاتها . يضاف إلى ذلك كمية الحركة التى تعتمد على الساكن التالى لها .

وتلعب الفروق الكمية دورًا لغويًا فى التمييز بين الكلمات والصيغ ، كما أن النوع من الفرق الكمى يعنى ضمنا أن الفونيم الطويل فى سياق صوتى معين أطول فى مدته الزمنية من الفونيم القصير ، بقدر يكفى الأذن من إدراك الفارق ، ويكفى السامع أن يكون لديه انطباع واضح بذلك . وتعرف الكمية المدركة المحسوسة بالكمية الذاتية ، وهى الكمية الوظيفية Functional أو اللغوية[2] .

ويعد الطول فى العربية عنصرًا هامًا فى اللغة العربية وله فيها دور وظيفى ، فاختلاف الطول يميز المعنى فى كل من: نوح ، ونائح ، وقام ، قم ، قوموا .

ولا يخلو تراثنا اللغوى من الحديث عن الطول الصوتى أو الكمية الصوتية للحركات والحروف وأثرهما فى المعنى ، إذ أشار ابن جنى فى أكثر من موضع فى كتاب الخصائص إلى إطالة الحركات والحروف[3] ، والمواضع التى تشتد

---

(١) مالمبرج – الصوتيات – ترجمة د. محمد حلمى هليّل ١٤٤ .

(٢) المرجع السابق ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ .

(٣) راجع : ابن جنى – الخصائص ٣/ ١٢٠ – ١٣٣ .

الحاجـة فيها إلـى إطالـة الصوت ، لتـمكين الحرف وتـوفيته وتـطاولاً إلى إطالته[1] كما أشار إلى أن « مـطل الصوت ، ومده وتراخيه والإبعاد فـيه لمعنى الحادث »[2] .

ومن العـناصر الصـوتية التـى يستدل بهـا على التـوكيد « النـبر » إذ « من الممكن على أى حال استعمال النبـر للتعبير عن التوكيد emphasis أو الانفعال emation . وهذه الأنواع من النبر تسمى على التوالى بالنبر التوكيدى emphatic والنبر الانفعالى emational . هذه الأنواع من النبر تشتمل على نبر إضافى على مقطع غير المقطع الذى يقع عليه النبر عادة »[3] .

وتكمـن حقيقة النـبر فى تنوعات شـدة الصوت ، أو بمعنى آخـر أدق علو الصـوت ، إذ إنَّ القضـية قضـية إدراك وحـس . وهذه التـنوعات فـى درجة الصوت تتفاوت من شخص إلى آخر ، فكل متكلم يستعمل نوعية صوتية معينة تختلف عن الآخر ، وعـلى ذلك فدرجات الصوت الفعلية المستـعملة فى عبارة معينة منـطوقة تتباين تباينًا واضحًا مـن متكلم لآخر[4] ، أى أن النـبر نـوع من القوة النسبيـة التى تختلف قوة وضعفًا من شخص لآخـر ، فكل شخص يمكن التعرف على ما لديه بناء على مستوى صوته .

ويتقارب حديـث كل من يسبرسن ورجاء نـصر ونحوهما من اللـغويين من الحديـث السـابق عن النبر[5] ، وهـو يتـنـوع بين الـقوة والتـوسـط

---

(١) ابن جنى - الخصائص ٣/ ١٢٩ .

(٢) المصدر السابق ٣/ ١٥٥ .

(٣، ٤) مالمبرج - الصوتيات - ترجمة د. محمد حلمى هليّل ١٥١ .

(5) See: Jespersen, Language its Nature and Development, p. 271-272 Raja Naser, The Structure of Arabic, p. 47.

وكذلك د. إبراهيم أنيس - الأصوات اللغوية ٨٢ ، ود. أحمد مختار عمر - دراسة الصوت اللغوى ١٩١ .

والضعف[١] ، وبين النبر الصرفى ، أى نبر الصيغة ، والنبر السياقى أى الدلالى الذى يقع فى الجمل وليس على الكلمات مفردة[٢] وهو ما أسماه الدكتور السعران ارتكاز الجملة[٣] .

وقضية النبر فى العربية موضع جدل لدى الباحثين ، فهنرى فليش يرى أن « نبر الكلمة فكرة كانت مجهولة تماما لدى النحاة العرب ، بل لم نجد له اسما فى سائر مصطلحاتهم »[٤] ويرى الدكتور تمام حسان « أن دراسة النبر ودراسة التنغيم فى العربية تتطلب شيئًا من المجازفة ، لأنها لم تعرف ذلك فى قديمها ، ولم يسجل لنا القدماء شيئًا من هاتين الناحيتين »[٥] ويرى بروكلمان أن اللغة العربية القديمة يدخل فيها نوع من النبر تغلب عليه الموسيقية ، ويتوقف على كمية المقطع ، فإنه يسير فى مؤخرة الكلمة نحو مقدمتها حتى يقابل مقطعاً طويلاً فيقف عنده ، فإذا لم يكن فى الكلمة مقطع طويل ، فإن النبر يقع على المقطع الأول منها »[٦] .

ومن يبحث فى كتاب الخصائص يجد أن ابن جنى أشار إلى قضية النبر بشكل غير مباشر ، إذ لم يستخدم المصطلح صريحاً واضحاً ونحسب أن استخدامه لكلمات مثل : التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ، ومثل : فتزيد فى قوة اللفظ ، ومثل : تتمكن فى تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها ، ومثل : وتمكن الصوت وتفخمه »[٧] نحسب أن استخدامه لمثل هذه

---

(١) د. عبد الكريم مجاهد - الدلالة اللغوية عند العرب ١٧٠ .

(٢) د. تمام حسان - مناهج البحث فى اللغة ١٦٠ - ١٦٢ .

(٣) د. محمود السعران - علم اللغة ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

(٤) هنرى فليش - العربية الفصحى - ترجمة د. عبد الصبور شاهين ط١ / ٤٩ .

(٥) مناهج البحث فى اللغة ١٦٣ - ١٦٤ .

(٦) د. رمضان عبد التواب - لحن العامة ٥٤ .

(٧) ابن جنى - الخصائص ٢/ ٣٧٠ ، ٣٧١ .

الكلمات إشارة إلى النبر بمعناه الذى يدور حوله المحدثون ، من الطاقة الكامنة فى الصوت من حيث قوته ووضوحه وسعة امتداده وطول مقطعه .

وآخر العناصر الصوتية المؤثرة فى التوكيد عنصر « التنغيم » intonation وهو « وثيق الصلة بالنبر ، فلا يحدث تنغيم دون نبر للمقطع الأخير من الجملة أى فى الكلمة التى تقع فى آخر الجملة »[1] . وهو « المصطلح الصوتى الدال على الارتفاع (الصعود) والانخفاض (الهبوط) فى درجة pitch الجهر voice فى الكلام »[2] . وهو نوع من التغييرات الموسيقية التى تتنوع أصواتها صعوداً وهبوطًا ، « وما يهمنا من الناحية اللغوية ليس درجة الصوت المطلق absolute pitch بل درجة الصوت النسبية relative pitch . . . إذ بفضل الفروق النغمية أو التنغيم يمكننا الإفصاح عن كل صنوف حالات الفكر أو المشاعر (الرضا ، السخط ، الدهشة ، الخذلان ، الازدراء ، الكراهية . . . الخ) . كما يمكن تحويل العبارة الخبرية أو التقريرية إلى الاستفهامية ، أو التعبير عن الاستفهام والمقابلة بينه وبين الإخبار أو التقرير والإشارة لشئ لم ينته بعد »[3] .

إن التنغيم وهو « ظاهرة فيزيولوچية ، لا يمكن كبتها فى كلام طبيعى ، يتسرب إلى نظام التسمية ، حيث أصبح مطية وضعيات مختلفة منها : التأكيد ، والاستفهام والنداء ، وأخذ يحل محل حروف المعانى الأصلية المفيدة لها ، فصرنا نقول : « فلان ! » بدل أن نقول « يا فلان » و « فهمت ؟ » بدل «أفهمت؟»[4] .

ولم يقف أمر التنغيم عند حد إفادته لأغراض متنوعة فى تسميتها بل «نافس

---

(١) د. عبد الكريم مجاهد - الدلالة اللغوية عند العرب ١٧٧ .

(٢) د. محمود السعران - علم اللغة ٢١٠ .

(٣) مالبرج - الصوتيات - ترجمة د. محمد حلمى هليل ١٥٢ مع تصرف يسير .

(٤) أندرى رومان - فى تطور اللغة العربية ١١٣ .

أيضًا حركات الإعراب . صار بعضهم يقول « أمكن الوالد أن . . . » ، «ترك الموظف الملف على المكتب» وذلك لأن التنغيم أمد اللغة بعلامات تنغيمية تأهلت لتعيين وتبين علاقات وحدات الجملة بعضها ببعض . إن للتنغيم دوراً وظيفيًا فى اللغة الفصحى ، فإذا قرأ قارئ الآية ١٨ من سورة يوسف ﴿إنهم فتية آمنوا بربهم﴾ وفقًا للتجويد كانت الجملة الفعلية ﴿ آمنوا بربهم ﴾ جملة تابعة لمفرد جملة وصفية . ولو قرأ الآية ساكتًا عن «فتية» ومستأنفًا بعد سكوته جعل الجملة الفعلية « آمنوا بربهم » جملة مستقلة ليس لها محل من الإعراب ، فبديهى أن تركيب الآية النحوى متعلق بتنغيم القراءة . فالتنغيم بصفة عامة يواكب ترتيب الوحدات الواقعة ضمن الجمل . . . وقد يخالف تسلسل وحدات الجملة ، كما هو الحال فى الجملة الآتية : رايته يتحرك بعينىَّ ، فإن الفضلة « بعينى » لا تتعلق بالفعل الذى قبلها «يتحرك» بل بالفعل « رأيت » الذى يسبق هذا الفعل . فالتنغيم هو الوسيلة اللسانية التى تستعملها اللغة لتعين مناط الفضلة »[1] .

وللتنغيم خط معين يلتزم به ، فعندما تقال الجملة فإنها تقال بطريقة معينة ، بتنغيم معين ، أو موسيقى معينة ، ويستطيع السامع أن يعرف أن ما سمعه سؤال أو إخبار أو تعجب ، حتى ولو لم يعرف بالضبط مضمون ما سمعه ، فمن التنغيم تعرف أن الجملة التى سمعناها كانت سؤالاً أو إخباراً أو تعجبًا أو مؤكدة أو نداء . . . . الخ .

فالخط التنغيمى /↙/ ينطبق على معظم الجمل الإخبارية العادية ، فهى تبدأ بالنغمة العادية وتستمر عليها ، وقبل النهاية بقليل ترتفع النغمة إلى النغمة العالية ثم تهبط عند نهاية الجملة إلى النغمة المنخفضة مع الفاصل الهابط . وينطبق هذا الخط أيضًا على الجمل الاستفهامية التى لا تجاب بنعم أو لا .

---

(١) أندرى ومان – فى تطور اللغة العربية ١١٦ بتصرف يسير .

والخط التنغيمى / ↗ / وهو ينطبق على الجملة الاستفهامية التى جوابها نعم أو لا ، وهى تبدأ بالنغمة العادية ، ثم ترتفع إلى النغمة العالية قبل النهاية، ثم تستمر على النغمة العالية عند النهاية مع الفاصل الصاعد[1] . ونظن أن التأكيد يندرج تحت هذا الخط .

وأخيراً لاشك أن أثر العنصر الصوتى فى إبراز دلالة التوكيد فى إطار البنية الصرفية والتركيب النحوى ، لايكون بالاعتماد على أصوات المرء بمفردها دون الاستعانة بوسائل التقنية التى تساعد على قياس الذبذبات الصوتية للأبنية والتراكيب المؤكدة ، مع محاولة استماع المنطوق من أكثر من شخص فى مراحل مختلفة ومستويات متفاوتة ، واعتقد أن ذلك أمر يحتاج إلى دراسة منفردة بذاتها .

رابعاً: التوكيد والوظيفة النحوية

أشار النحاة إلى أن التوابع ثوان لا يمسها إعراب إلا على سبيل التبعية لغيرها ، ويقصد بقولهم ثوان أى فروع فى استحقاق الإعراب ، لأنها لم تكن المقصودة ، وإنما من لوازم الأول كالتتمة له ، فالمتبوع أصل ومقصود فى الجملة ، والتابع فرع وتكملة للأول[2] .

ويستفاد من كلام النحاة السابق إدراكهم لموقع التابع فى الجملة ، كما يستفاد أن التابع أيا كان لا يشغل موقعًا وظيفيًا نحويًا فى الجملة ، وأنه بمثابة الشئ المتمم لمعنى شئ آخر ، زيادة فى الإيضاح ، ورغبة فى توثيق المعنى وتثبيته وتمكينه فى النفس .

(١) د. محمد على الخولى - الأصوات اللغوية ١٧٠ ، ١٧١ وللمزيد من التفاصيل راجع د. تمام حسان - مناهج البحث فى اللغة ١٦٤ - ١٧٠ .

(١) راجع ابن يعيش - شرح المفصل ٣/ ٨٣ .

والتأكيد باعتباره تابعًا من التوابع لا يشكل عنصراً وظيفيًا أساسيًا فى الجملة العربيـة ، إذ يكون تابعًا لغيره ، وألفـاظه ليست مستـقلة مستغنية عـما تقـدم عليها ، فهو لا ينزل منزلة المبتدأ أو الخبر فى التركيب الاسمى ، ولا ينزل منزلة الفعل والفاعل فى التركيب الفعلـى . ويبدو من خلال قول النحاة بتبعية المؤكَّد للمـؤكِّد أن « التوكيـد عندهم مـفهوم تركـيبى قبـل أن يكون مفـهومًا دلاليًا ، والمقصود به عندهم أنه عنصر ليست له وظيفة نحوية أساسية ، وإنما هو تابع . عندما نقول : « جاءوا هم بالغنيـمة » يكون من الممكن أن يؤول « هم » فاعلاً وتوكيدًا فى نفس الوقت ، لو كان المقصود بـالتوكيد ما يقصد عادة بالبؤرة[1] . ولكـن الأمر عندهـم خلاف ذلك . ومع هـذا ، نجد الذى يـفصل البـدل عن التوكـيد أمرًا دلاليًا لا تركـيبيًا ، وهذا هو الذى ادى بـبعضهم إلى خلـط البدل بالتوكيد أحيانًا »[2] .

إن تقارب الـتعريف لكل مـن التوكيد والبـدل أدى إلى الخلط بينـهما ، إذ صار يعـول فى تمييز أحدهـما من الآخر على الـدلالة لا على التركـيب . وقد أدرك ذلك نحـاة العرب القـدماء ، والنص التـالى للاستـراباذى يبين لـنا مدى الحيرة الـتى وقع فيـها هؤلاء النـحاة ، قال الاستـراباذى : « قال النـحاة : إن المنفـصـل فى نـحو : ضربتك أنـت تأكيد ، وفـى ضربتك إيـاك بدل ، وهذا عجـيب ، فإن المعـنيين واحـد ، وهو تكريـر الأول بمعنـاه ، فيجب أن يـكون كلاهما تأكـيدًا ؛ لاتحاد المعنيين ، والفرق بين الـبدل والتأكيد معنوى كـما يظهر فى حد كل منهما . وقال الزمخـشرى فى : مررت بك بك ، إن الثانى بدل ، وهـذا عجيب مـن الأول ، إذ هو صريح التكـرير لفظًا ومعنى ، فهـو تأكيد

---

(١) أى ينزل فى موضع متقدم من الجملة ، مثل المبتـدأ والخبر او الفعل والفاعل (راجع عبد القادر الفاسى الفهرى ١/١١٣ - ١١٤ .

(٢) د. عبد القادر الفاسى الفهرى - اللسانيات واللغة العربية ٢/١٦٩ .

لا بدل ، وهذا مثل قوله فى باب المنادى إن الثانى فى : يا زيد زيد بدل ، وجميع ذلك تأكيد لفظى »[1] .

ولم يذهب ابن مالك مذهبًا بعيدًا عما قال به الاسترابادى ، إذ يقول : «وجعل الزمخشرى من أمثلة البدل : مررت بك بك ، وهذا إنما هو توكيد لفظى ، ولو صح جعله بدلاً لم يكن للتوكيد اللفظى مثالاً يخص به »[2] .

ومع أن البدل يجرى مجرى التوكيد فى التحقيق والتشديد فإن العبرة فى البدل أن يصلح لحذف الأول ، وإقامة الثانى مقامه[3] . ولعل إمكانية حذف الأول فى البدل ، وإقامة الثانى مقامه هى التى دفعت عالما مثل الرمخشرى إلى اعتبار التكرار فى مثل : ضربتك إياك بدلاً ، واعتبار التكرار فى مثل : ضربتك أنت توكيدًا ، إذ يمكن القول : ضربت إياك ، ولا يقال : ضربت أنت ، لكون الضمير المنفصل « أنت » من ضمائر الرفع ، والضمير المنفصل «إياك» من ضمائر النصب ، كما ان استعمال الضمير المنفصل لا يكون فى المواضع التى يمكن أن يقع فيها المتصل ، لأنهم لا يعدلون إلى الأثقل (يقصد الضمير المنفصل) عن الأخف (يقصد الضمير المتصل) والمعنى واحد إلا لضرورة ، فلذلك « لا نقول : ضرب أنت ولا هو ، لأنه يجوز أن يقع هنا المتصل فتقول : ضربت وضرب ، فتكون التاء الفاعلة ، ولا حاجة إلى أنت ، وكذلك يكون الفاعل مستترًا ، ولا حاجة إلى « هو » ، لأن الأول أو جز . كما أن التوكيد يكون بضمير المرفوع المنفصل ، نحو : قمت أنا ، واسكن أنت ، ولذلك من المعنى وجب أن يكون المضمر هو الأول فى المعنى ، لأن

(١) الاسترابادى - الكافية ١/ ٣٣٢ .

(٢) ابن مالك - شرح التسهيل ٣/ ٣٣٣ .

(٣) ابن جنى - اللمع فى العربية ١٤٤ .

التأكيد هو المؤكد فى المعنى ، ولهذا المعنى يسميه سيبويه وصفا ، كما يسمى التأكيد المحض »[1] .

وربما التبس ضمير الفصل بالتأكيد والبدل فى مواضع ، والذى يفصل بينهما ما يلى : أما الفرق بين الفصل والتأكيد فإنه إذا كان التأكيد ضميراً فلا يؤكد به إلا مضمر ، نحو : قمت أنت ، ورأيتك أنت ، ومررت بك أنت ، والفصل ليس كذلك ، بل يقع بعد الظاهر والمضمر ، فإذا قلت : كان زيد هو القائم ، لم يكن هو ههنا إلا فصلاً ، لوقوعه بعد ظاهر ، ولو قلت : كنت أنت القائم ، جاز أن يكون فصلاً ههنا وتأكيداً . . . وأما الفصل بينه وبين البدل فإن البدل تابع للمبدل منه فى إعرابه كالتأكيد ، إلا أن الفرق بينهما أنك إذا أبدلت من منصوب أتيت بضمير المنصوب ، مثل : ظننتك إياك خيراً من زيد ، وإذا أكدت أو فصلت لا يكون إلا بضمير المرفوع . ومن الفرق بين الفصل والتأكيد والبدل أن لام التأكيد تدخل على الفصل ، ولا تدخل على التأكيد والبدل ، فتقول فى الفصل : إنَّ هذا لهو القصص الحق ، إن كنا لنحن الصالحين ، ولا يجوز ذلك فى التأكيد والبدل ، لأن اللام تفصل بين التأكيد والمؤكد ، والبدل والمبدل منه ، وهما من تمام الأول فى البيان »[2] .

ومما يجدر ذكره في إطار ما ساد أقوال النحاة من خلط أن إعادة اللفظ بعينه فمن قبيل التأكيد ، لأنك إذا اتبعت اسمًا باسم آخر وهما لعين واحدة ، كان الثانى مرادفًا للأول ، ليعلم السامع بمجموعهما ، كما أن الضمائر كلها لك أن تبدل منها ، إلا ضمير المتكلم والمخاطب ، فلا يحسن البدل من كل واحد منهما ، لأن الغرض من البدل البيان ، وضمير المخاطب والمتكلم فى غاية الوضوح ، فلم يحتج إلى بيان[3] .

---

(١) راجع : ابن يعيش - شرح المفصل ٣/ ١٠٢ ، ١١٠ .

(٢) المصدر السابق ٣/ ١١٣ .

(٣) المصدر السابق ٣/ ٧٠ .

وعند تأكيد الضمير بمثله من الضمائر فيكون تأكيد المرفوع والمنصوب والمجرور بلفظ واحد وهو ضمير المرفوع ، مثل : قمت أنت ، ورأيتك أنت ، ومررت بك أنت ، إنما كان كذلك من قبل أن أصل الضمير أن يكون على صيغة واحدة فى الرفع والنصب والجر ، كما كانت الأسماء الظاهرة على صيغة واحدة ، والإعراب فى آخرها يبين أحوالها ، وكما كانت الأسماء المبهمة المبنية على صيغة واحدة وعواملها تدل على إعرابها ومواضعها ، مثل : جاءنى هذا، ورأيت هذا ، ومررت بهذا »[1] .

خامسا : جدوى التوكيد

إذا كان لا يغيب عن البال أن استخدام الإنسان للغة ليس عشوائيًا ، فإن ذلك يعنى أن تناوله لمستوياتها فى إطار مقنن ، دون استغلال لأى مستوى على حساب غيره ، وليس فى مقدور الفرد أن يفصل مستوى عن الآخر ، كما أنه ليس فى مقدوره أيضًا أن يقف عند حدود فن بعينه من فنون العربية ، فنراه يحشد صوتًا وصرفًا ونحوًا ومعجمًا وبلاغة فى ثنايا التراكيب اللغوية التى يستخدمها أملاً فى الوصول إلى الهدف المنشود ، وهو التعبير عن أغراضه ، والإعراب عن مكنوناته .

وإذا كان الإنسان فى كل أحواله لا يتعدى القول أو الفعل ، فإنه ليحرص أشد الحرص على أن يؤكد قوله أو فعله بوسائل مختلفة للتعبير عن احتياجاته ، والإعراب عن كوامن نفسه ، وذلك يشير إلى أهمية التوكيد وفوائده التى لا تنكر ، ويمكن إيجاز جدواه فيمايلى :

أ - التوكيد ضرب من الإشباع فى الكلام لإزالة التوهم بعدم الجمع بين أمرين : النفى أو الإثبات ، السلب أو الإيجاب ، الإفراد أو الجمع ،

---

(١) ابن يعيش - شرح المفصل ٣/ ٤٣ .

وهو يدخل فى الكلام لإخراج الشك ، ويكون فى الأعداد لإحاطة الأجزاء .

ب- تمكين المعنى فى نفس المخاطب ، ودفع الغلط فى التأويل ، وذلك من قبل أن المجاز فى كلام العرب كثير شائع ، يعبرون بأكثر الشئ عن جميعه ، وبالمسبب عن السبب ، فُربَّ لفظ دال وضعًا على معنى حقيقة فيه ، ظن المتكلم بالسامع أنه لم يحمله على مدلوله ، إما لغفلته أو لظنه بالمتكلم الغلط ، أو لظنه به التجوز ، فإذا قلت : قام القوم ، جاز أن يكون القائم أكثرهم ونحوهم ممن ينطلق عليه اسم القوم ، فإذا ذكرت الاسم بتكريره أو باتباعه اسما من أسماء التوكيد المعنوى ، فقد أزلت الوهم ، وأذهبت الظن بالحقيقة ، إذ التوكيد يأتى ليدفع المتكلم ضرر غفلة السامع عنه ، وليدفع ظنه بالمتكلم الغلط ، ويدفع المتكلم عن نفسه ظن السامع به تجوزا ، وإجمالاً فإن التوكيد يأتى لتقرير المعنى فى النفس ، وتمكينه والاحتياط له ، لإزالة الاحتمال واللبس والشك والتبعيض[1] .

جـ- التوكيد يأتى لتعظيم قدر الواحد ، بأن تأتى بلفظه على اللفظ المعتاد للجماعة ، كما أنه يرفع المجاز من جهة وقوع الحدث ، ويصيره إلى الحقيقة ، ويأتى زيادة فى البيان للمبالغة ، أو تحسيناً للفظ ، ولم يكن هناك لبس .

د - التوكيد فى هذه اللغة أقوى دليل على شياع المجاز فيها ، واشتمالة عليه[1] ، حتى إن أهل العربية أفردوا له بابًا لعنايتهم به ، وكونه مما لا يضاع ولا

---

(١) انظر : ابن يعيش - شرح المفصل ٣/ ٤٠ ، الحيدرة - كشف المشكل ٤/ ٨ - الرضى - الكافية فى النحو ١/ ٣٢٨ .

(٢) هكذا وردت الكلمة فى الخصائص والظن أنها « واشتمالها عليه » .

يهمل مثله ، كما أفردوا لكل معنى أهمهم بابًا ، كالصفة والعطف والإضافة والنداء والندبة والقسم والجزاء ونحو ذلك[1] .

هـ- ويتفرع من هذه الفوائد الأساسية اغراض أخرى ، مثل : التنبيه أو التذكير ، أو التهديد ، أو استرعاء الانتباه إلى عاطفة معينة ، مثل : الحزن والفرح أو الخوف أو الرغبة فى فعل شئ ما .

سادساً : أنماط التوكيد فى الجملة العربية

الوسائل التى تملكها الطاقة اللغوية للتعبير غير قليلة ، ويحرص المرء منذ نعومة أظفاره على استغلال ما يكون ميسراً من هذه الوسائل ، فتتعدد الطرق ، وتتنوع السبل فى استخدام الجمل والتراكيب النحوية . وكلما ازداد إدراكه لذاته وللأشياء من حوله ، وما يطرأ عليها من تبدُّل وتحوُّل ، انعكس ذلك على الاستخدام اللغوى ، وما يلحق هذا الاستخدام من تغيير له أهميته وقيمته ، مثل : التقديم والتأخير ، أو الحذف والاختصار ، أو الزيادة فى حروف الكلمة للمبالغة ، أو العموم والخصوص ، أو الإثبات والنفى ، أو الاستفهام ، أو الشرط ، أو التوكيد ، أو الاستدراك ، أو التعجب ، أو المدح والذم ، أو الاختصاص ، ونحو ذلك .

ويعد التوكيد مظهراً من مظاهر الاستخدام اللغوى التى تعكس اهتمام المرء ، وحرصه على استيعاب التراكيب النحوية المختلفة لتأكيد وتوثيق المعنى الذى يريده ، إذ يمكِّن له ويحتاط من أجله بصور متعددة وأنماط متنوعة مما يعين على التحقيق والتسديد لأمر من الأمور لإزالة الشك عنه ، ورفع الاحتمال والتوهم .

---

(١) ابن جنى - الخصائص ٢/٤٥١ ، ٤٥٢ .

(٢) الزمخشرى - المفصل ١١١ - ١١٤ .

وينقسم التوكيد فى الجملة العربية إلى أقسام متنوعة ، وهذه الأقسام يمكن إدراجها - إن جاز لنا ذلك - فى نوعين هما : التوكيد النحوى ، والتوكيد اللغوى ، وسوف نتناول كل نوع على النحو التالى :

أ- التوكيد النحوى

لعلى أقصد بذلك ما أورده النحاة فى باب التوابع تحت عنوان « التوكيد » أو « التأكيد » ، وهو نوعان : لفظى ومعنوى . وقد عرف هذان النوعان عند الزمخشرى بـ « المكرر الصريح » و « غير الصريح »[1] ، وأشار ابن جنى إلى النوع الأول بما تكرر أوله فى اللفظ ، وإلى النوع الثانى بما تكرر أوله بمعناه ، فى قوله : « اعلم أن العرب إذا أرادت المعنى مكّنته واحتاطت له ، فمن ذلك التوكيد ، وهو على ضربين ، أحدهما: تكرير الأول بلفظه ، والثانى تكرير الأول بمعناه ، وهو على ضربين ، أحدهما: للإحاطة والعموم ، مثل: القوم كلهم ، والآخر للتثبيت والتمكين ، مثل : قام زيد نفسه[2] » . ويقصد بـ «المكرر الصريح» أو ما يتم فيه تكرير الأول بلفظه يقصد بهذا النوع من التوكيد ما يعرف بالتوكيد اللفظى ، كما يقصد بـ « غير الصريح » أو الذى يتم فيه تكرير أوله بمعناه « التوكيد المعنوى ، وسوف نتناول كلا منهما على النحو التالى :

١- التوكيد اللفظى

الأمر فى التوكيد اللفظى راجع إلى اللفظ وتمكينه من ذهن المخاطب وسمعه ، خوفًا من توهم المجاز ، أو توهم غفلته عن استماعه ، فاللفظ هو المقصود . ويعرف بأنه تابع يذكر بعد متبوعه ، أو هو إعادة اللفظ المؤكد بعينه[3] .

---

(١) الزمخشرى - المفصل ١١١ - ١١٤ .

(٢) ابن جنى - الخصائص ٣/١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٤ مع تصرف يسير .

(٣) راجع ابن يعيش - شرح المفصل ٣/ ٤٤ ، والحيدرة - كشف المشكل ٧ .

ويرى البعض من النحاة أن التوكيد اللفظى يقع بإعادة اللفظ المؤكد بعينه ، أو لفظ يوازنه ، أو بمرادفه ، ولا يضر فيه بعض تغيير نحو « فمهل الكافرين أمهلهم » كما قال السيوطى ، والمرادف مثل : « أنت بالخير حقيق قمن » ، ومنه توكيد الضمير المتصل بالمنفصل »[1] .

ويؤتى بالتوكيد اللفظى زيادة فى البيان ، أو تحسينًا للفظ ، ولم يكن هناك لبس ، أو يأتى ليثنيه ويلاقيه من جهة المعنى للمبالغة .

فيزعم بعضهم أن ما يأتى زيادة فى البيان ، قولهم : أصابنا مطر من السماء وطلع علينا نيل من الأرض ، وقوله تعالى : ﴿ فخر عليهم السقف من فوقهم﴾ ، وقوله : ﴿ ولا طائر يطير بجناحيه ﴾ وقد علم المخاطب أن المطر لا يكون إلا من السماء ، والنيل لا يكون إلا من الأرض ، وأن السقف لا يخر إلا من فوق ، والطائر لا يطير بغير جناحين ، ولكن أريد بذلك المبالغة . وما يأتى تحسينًا للفظ ، قولهم : أنت فى حلٍّ وبلٍّ ، وزيد جائع نائع ، وعطشان نطشان ، والثوب حَسَنٌ بَسَنٌ »[2] .

وإذا كان الأصل فى التوكيد اللفظى إعادة اللفظ وتكراره ، فهذا اللفظ هو الأول بعينه ، ولو كان فى الثانى زيادة فائدة لم يكن تأكيدًا ، لأن التأكيد تمكين المعنى المؤكد ، ولأن التأكيد بصريح التكرير يرجع إلى لفظ المؤكد كائنًا ما كان[3] » .

وفى ظنى أن ما قيل بخصوص التوكيد الذى يأتى بلفظ موازن أو مرادف للأول للتحسين أو المبالغة أو ليثنّى اللفظ ويلاقيه من جهة المعنى لا يكون لهذا الغرض ، أى للتوكيد اللفظى ، وإنما يخرج إلى اغراض أخرى غير التوكيد ،

(١) راجع : الحيدرة - كشف المشكل ٧ ، والخضرى - حاشيته ٢/ ٥٨ .

(٢) الحيدرة - كشف المشكل ٧ ، ٨ ، ٩ مع تصرف يسير .

(٣) ابن يعيش - شرح المفصل ٣/ ٤١ .

وما زعمه الآخرون ومنهم الأصمعى أن لكل واحد من هذه الألفاظ معنى ، ويختص به غير معنى الآخر صحيح ، ومن ثم يخرج هذه العبارات عن إطار التوكيد اللفظى أو النحوى الاصطلاحى ، إلى ما يمكن تسميته بالتوكيد اللغوى ، أو ما يعرف بالاتباع ، إذ لا معنى لها إلا بالتحسين ، وترصيع اللفظ بألفاظ متجانسة ومتوازنة .

والتوكيد اللفظى أعم وأشمل ، فهو جار فى كل شئ ، فى الاسم والفعل والحرف والجملة ، ولا يؤكد المظهر إلا بمثله ، ولا يؤكد المضمر إلا بمثله ، فلا يؤكد المظهر بمضمر ؛ « لأن التأكيد تكملة ، والأول هو المقصود ، ولا يليق أن تكون التكملة أقوى من المقصود ، فلذلك لم يؤكد المظهر بمضمر »[1] .

وهناك موطن لا يجوز فيه التوكيد اللفظى ، وذلك قولك : احذر الأسد، ولا يجوز لك فى هذا الكلام أن تكرر الاسم المحذر منه ، لئلا يجتمع البدل والمبدل منه ، لأنهم جعلوا التكرار نائبًا عن الفعل[2] .

ولا تختلف الأغراض التى يأتى لها التوكيد اللفظى عن الأغراض التى طرحت فى ثنايا حديثنا عن جدوى التوكيد . ويجب أن يلاحظ أن اللفظ الذى يقع توكيدًا لفظيًا ممنوع من التأثر والتأثير ، أى لا تؤثر فيه العوامل ، فلا يكون مبتدأ ولا خبراً ، ولا فاعلاً ، ولا مفعولاً به ، ولا غيره ، فليس له موضع من الاعراب مطلقًا ، وكذلك ليس له تأثير فى غيره ، وإنما يقال فى إعرابه : إنه توكيد لفظى لكذا[3] ، لكونه تابعًا له ، وهو ما عبر عنه سيبويه بقوله « مبنى عليه فى قوله : « قد جربتك فوجدتك أنتَ أنتَ ، فأنت الأولى مبتدأ والثانية مبنية عليها »[4] .

(١) ابن الحاجب - الإيضاح على شرح المفصل ١/٤٣٩ ، وانظر الأشباه والنظائر ٢/٢٢٩-٢٣٠ .

(٢) السيوطى - الأشباه والنظائر ٢/٢٢٩ .

(٣) عباس حسن - النحوالوافى ٣/٥٢٧ .

(٤) سيبويه - الكتاب ٢/٣٥٩ .

ويذهب الدكتور مهدى المخزومى إلى أن التوكيد اللفظى ليس من التوابع فى قوله : « فإذا أنعمت النظر فى قولهم : جاء زيد زيد ، رأيت أن « زيدٌ » الثانى تكرار لزيد الأول ، بجميع ماله من سمات لفظية ، ومنها الرفع ، فارتفاع زيد حكاية لا اتباع[1] » .

وأخيراً فى ختام حديثنا عن التوكيد اللفظى يجب أن نشير إلى أن كل تكرير للفظ لايعد توكيداً فإذا ادل التكرير على ترتيب أو تفصيل ، كان حالاً لا توكيداً ، مثل : مشى الطلاب اثنين اثنين ، قرأت الكتاب فصلاً فصلاً .

٢- التوكيد المعنوى

يعرف هذا الضرب من التوكيد عند الزمخشرى بـ « غير الصريح » كما أشرنا ، ويكون بتكرير المعنى دون لفظه[2] ، او هو تابع بألفاظ محصورة فلا يحتاج إلى حد ولا رسم[3] ، وجملة هذه الألفاظ تسعة ، وهى تتفاوت فى الدلالات التى تؤديها فلفظة « نفس » و « عين » يؤكد بهما ما تثبت حقيقته ، وما يراد منه إزالة الاحتمال عن الذات فى صميمها ، وإبعاد الشك المعنوى عنها[4] . وأما « كل » و « أجمع » و « عامة » فهى ألفاظ تفيد الإحاطة والعموم ، ولا يؤكد بهما إلا ما يتبعض ويتجزأ ، وهما عكس « نفس » و «عين» اللذين يؤكد بهما ما يتبعض وما لايتبعض ، لأنهما لإثبات حقيقة الشئ[5] . وأما « كلا » و « كلتا » فهما يأتيان لازالة الاحتمال والمجاز عن التثنية ، وإثبات أن المثنى هو المقصود حقيقة ، ومجيئهما يكاد يقطع فى أصاله

---

(١) د. مهدى المخزومى - فى النحو العربى - قواعد وتطبيق ١٩٤ .

(٢) ابن يعيش - شرح المفصل ٣/ ٤٠ .

(٣) ابو حيان - ارتشاف الضرب ٦٠٨/٢ .

(٤) ابن يعيش - شرح المفصل ٣/ ٤٠ ، عباس حسن - النحو الوافى ٣/ ٥٠٣ .

(٥) شرح المفصل ٣/ ٤٠ .

التثنية بفهم لاشك فيه ولا احتمال ، ويدل - فى الأغلب - على أن المراد هو الدلالة على التثنية الحقيقية التى تنصب على اثنين معًا ، أو اثنتين معًا . ولا فرق بين أن تكون التثنية على سبيل التفريق أو على غير سبيله ، نحو : فاز الأول والثانى كلاهما ، وفارت الأولى والثانية كلتاهما ، وفاز السابقان كلاهما ، وفازت السابقتان كلتاهما[1] .

ويلحق بالألفاظ : كل ، جميع ، عامة ، الفاظ أخرى ، هى : أجمع ، وجمعاء ، وأجمعون ، وجُمع ، وهى تدل على الإحاطة والشمول والعموم، وقد ألحقت بألفاظ التوكيد الثلاثة الأولى ، لكون الكثير الفصيح فى استعمالها أن تقع مسبوقة بلفظة « كل » التى للتوكيد أيضًا ، ومطابقة لها ، ومقوية لمعناها[2] .

وتتبع « أجمع » كلمات : اكتعون ابصعون ، كتعاء بصعاء ، كُتَع بُصَع ، إذ لا تستعمل إلا بعده ، ولا تستعمل منفردة ، فهى شبيهة بقولهم شيطان ليطان ، وقيل إن معناها كمعنى أجمعين ، وهو الإحاطة والعموم ، فأجمعون من معنى الجمع ولفظه ، واكتعون من قولهم : اتى عليه حول كتيع أى تام ، ومنه قولهم : ما بالدار كتيع ، اى أحد ، وابصعون من البصع ، وهو الجمع .... إلا أن أجمع اظهر فى التأكيد ؛ فلذلك كانت مقدمة .[3]

هذه الكلمات التى تتبع « أجمع » يرى ابن جنى أن استخدامها للتوكيد دليل على أن العرب إلى الإيجاز أميل ، وعن الإكثار أبعد ، وقد أشار إلى ذلك بقوله : « ووجه ما ذكرناه من ملالتها الإطالة - مع مجيئها بها للضرورة الداعية إليها - أنهم لما أكدوا فقالوا : أجمعون، أكتعون ، أبصعون ،

(١) عباس حسن - النحو الوافى ٣/٥٠٨ .

(٢) المرجع السابق ٣/٥١٧ .

(٣) ابن يعيش - شرح المفصل ٣/ ٤٠ ، ٤٤ مع تصرف يسير .

ابتعون ، لم يعيدوا أجمعون البتة ، فيكرروها فيقولوا : أجمعون، أجمعون ، اجمعون ، أجمعون ، فعدلوا عن إعادة جميع الحروف إلى البعض ،تحاميًا - مع الإطالة - لتكرير الحروف كلها . ومعنى هذه التوابع كلها ، شدة التوكيد : ولا يجوز تقديم بعضها على بعض »[1] .

ويلاحظ أن العرب اقتصروا فى هذه الكلمات على إعادة العين وحدها ، دون سائر الحروف ، وذلك «لأنها أقوى فى السجعة من الحرفين اللذين قبلها ، وذلك أنها لام ، فهى قافية ، لأنها آخر حروف الأصل ، فجئ بها لأنها مقطع الأول ، والعمل فى المبالغة ، والتكرير إنما هو على المقطع ، لا على المبدأ ، ولا المحشى . . . كما أن العين أشهر حروف أجمعين ، إذا كانت مقطعًا لها . فأما الواو والنون فزائدتان لا يعتدان لحذفهما فى أجمع وجُمع ، وايضًا فلأن الواو قد تترك فيه إلى الياء ، نحو : أجمعون واجمعين . وايضًا لثبوت النون تارة وحذفها أخرى ، فى غير هذا الموضع ، فلذلك لم يعتدا مقطعًا »[2] .

ولا تؤكد النكرات بالتأكيد المعنوى، وإنما تؤكد بالتأكيد اللفظى لا غير . . . ولم تؤكد النكرات بالتأكيد المعنوى ؛ لأن النكرة لم يثبت لها حقيقة ، والتأكيد المعنوى إنما هو لتمكين معنى الاسم ، وتقرير حقيقته ، وتمكين ما لم يثبت فى النفس . فأما التوكيد اللفظى فهو أمر راجع إلى اللفظ وتمكينه من ذهن المخاطب وسمعه، خوفًا من توهم المجاز ، أو توهم غفلته عن استماعه ، فاللفظ هو المقصود فى التأكيد اللفظي ، فأما المعنوى فإنما المراد منه الحقيقة ، ولذلك أعيد المعنى فى غير ذلك اللفظ ، يضاف إلى ذلك أن الألفاظ التى يؤكد بها فى المعنى معارف ، فلا تتبع النكرات توكيدًا لها ، لأن التوكيد كالصفة[3] .

---

(١) ابن جنى - الخصائص ١/ ٨٣ ، واللمع ١٤٢ .

(٢) المصدر السابق ١/ ٨٣ ، ٨٤ .

(٣) ابن يعيش - شرح المفصل ٣/ ٤٠ ، ٤٤ بتصرف يسير ، « وقد ذهب الكوفيون إلى جواز تأكيد النكرة بالتأكيد المعنوى ، إذا كانت النكرة محدودة أى معلومة المقدار ، مثل : يوم وشهر وفرسخ وميل وضربة وأكلة ونحو ذلك (شرح المفصل ٣/ ٤٤) .

وفى إطار الحديث عن التوكيد المعنوى يجب ان نشير إلى انَّ أكتع وابصع وما يتبعهما تحذف من الفاظ صارت مهملة فى الاستخدامات اللغوية المعاصرة ، ويفضل عدم استعمالها ، كما أن هناك ألفاظًا لا معنى لها فى ذاتها - فى أغلب الأحوال - بل تستمد معناها من المؤكَّد ، فتصبح مرادفة لها ، وقد وقع عليها النحاة فاعتبروها توكيدًا ، وهى كلمات مثل : عطشان نطشان ، وجائع نائع ، وحقير نقير ، وشيطان ليطان . . . الخ .

ففى رأينا أن مثل هذه الكلمات تعتمد على الموافقة الصوتية ، قبل الوضوح فى المعنى ، وتتخذ من المجانسة الصوتية بين أحرف الكلمتين وسيلة لما يظن أنه توكيد . ويعرف هذا الضرب من التركيب عند العرب بالإتباع ، ولا يشترط فيه وضوح معنى الكلمة الثانية ، وهى ألفاظ سماعية مهملة لا يحسن استخدامها ، إذ ليست توكيدًا ؛ لأن التوكيد يفيد مع التَّقَوِّى نفى احتمال المجاز ، كما أن التابع من شرطه أن يكون على زنة المتبوع ، والتأكيد لا يكون كذلك[1] .

ب- التوكيد اللغوى

لعل المقصود بقولنا التوكيد اللغوى - إن جاز لنا هذا التقسيم وهذه التسمية - ذلك الضرب من التوكيد الذى يشمل عددًا من الموضوعات التى وردت بمصطلحات متنوعة فى أبواب متفرقة من النحو العربى ، فلم يضمها باب معين ، ولا يجمعها تركيب موحَّد أو حتى متشابه ، ودلالة التوكيد فى مثلها تعتمد على أداة نحوية معينة ، أو حرف معين فى إطار هذا التركيب أو ذاك ، كما أن هذه الدلالة قد تأتى لترسيخ مفهوم آخر فى التركيب ، مثل : تأكيد القسم ، وتأكيد نسبة الخبر إلى المبتدأ ، وتأكيد الحدث فى الفعل للفاعل

(١) راجع بالتفصيل - السيوطى - المزهر ١/ ٤١٤ - ٤٢٥ .

وهكذا ، ومن ثم فليس ينظم الدلالة التوكيدية نوع واحد ، بل أنواع متعددة ، نحاول - ما وسعنا الجهد - أن نلم بأطرافها على النحو التالى :

١- التوكيد بـ « حَسْبُ »

حَسْبُ (بفتح الحاء وتسكين السين) اسم لا يدل على ظرفية ولا مكانية ، بمعنى الاكتفاء ، ويكون مضافًا لفظًا ومعنى ، مثل : أعرف كتابًا حسب القارئ ، بمعنى « كاف » كما قد يكون مضافًا معنى لا لفظًا ، وذلك بأن يحذف المضاف إليه ، وينوى معناه فقط ، ويتضمن النفى ، فيصير المراد منه « ليس غير ، أو « لا غير » ، مثل : إن لكل إقليم حاضره حسب ، بمعنى لا غير ، ومثل : قرأت ثلاثة كتب فحسب ، أى : ليس غير . ومع الاستخدام الأول تكون « حسب » من الأسماء الملازمة للإضافة ، ومع الاستخدام الثانى تدخل فى عداد الأسماء التى تشبه غير وقبل ، وتسبغ التأكيد على الجملة إذا دخلت عليها الفاء الزائدة لتزيين اللفظ »[١] .

٢- التوكيد بـ « غير »

أما كلمة « غير » فهى اسم ملازم للإضافة فى المعنى ، ويجوز أن تقطع عن الإضافة لفظًا إنْ فهم المعنى ، وتقدمت عليها كلمة ليس[٢] ، وعند سيبويه أنها ليس باسم متمكن ، لكونها لا تكون إلا نكرة ، ولا تجمع ، ولا تدخلها الألف واللام ، ولا تحقر[٣] ، أى لا تصغر . وتشبه « غير » لفظ « حسب » فى كونها اسمًا خالصًا فى اسميته ، ويدل على أن ما قبلها يخالف ما بعدها فى ذاته .

---

(١) انظر : عباس حسن - النحو الوافى ٣/ ١٥١ .

(٢) ابن هشام - مغنى اللبيب ١/ ١٥٧ .

(٣) سيبويه - الكتاب ٣/ ٤٧٩ .

وغير اسم دال على الغاية ، شأنه في ذلك شأن الظروف الدالة على الغايات ، إذ الأصل أن ينطق بـ: حسب، ولا غير ، وليس غير ، مضافات ، فلما اقتطع عنهن ما يضفن إليه وسكت عليهن ، صرن حدودًا ينتهى عندها ، فلذلك سمين غايات[1] .

وهذا الاسم يفيد المغايرة ، أى الدلالة على أن ما بعدها مغاير ومخالف لما قبلها فى المعنى الذى ثبت لها ، إيجابًا أو نفيًا ، وتستعمل غير فى الاستثناء قليلاً ، والأكثر أن تكون نعتًا لنكرة ، أو لشبه النكرة، وهو المعرفة المراد منها الجنس ، مثل : غير المغضوب » ولا يقع بعدها الجمل ، بل يقع بعدها المفرد[2]» .

وتأتى « غير » مسبوقة بنفى فعلى أو حرفى ، وكلاهما ناسخ ، وهما : ليس ، ولا ، التى قد تكون نافية للجنس ، فتعمل عمل إنَّ ، وقد تكون لنفى الوحدة ، فتعمل عمل ليس بشروط خاصة ، وقد تكون للنفى المطلق ، وهى التى تفيد دلالة النفى ولكنها لا تؤدى وظيفة نحوية فلا تعمل شيئًا ، وحينئذ تفيد مع النفى العطف ، فغير الواقعة بعد « لا » من هذا النوع تكون معطوفة على ما قبلها ، ويسرى عليها جميع الأحكام التى تسرى على المعطوف ، مثل : أنفقت عشرة لا غير .

فإذا لم تسبق غير بنفى ولم تتقدمها « ليس » أو « لا » النافيتين فأشهر وجوه استعمالها أن تكون للنعت أو الاستثناء ، وتصير من الأسماء الدالة على الغاية ، وتدخل فى عدادها فتشبه الظروف الخاصة بالغاية ، إذا تقدمتها «ليس» أو «لا» على نحو ما سبق بيانه منذ قليل .

---

(١) ابن يعيش - شرح المفصل ٤/ ٨٥ .

(٢) عباس حسن - النحو الوافى ٢/٣٤٦ - ٣٤٩ .

٣- التوكيد بـ « قط »

ومما يؤكد به أيضًا « قطُّ »[(١)] بفتح القاف وتشديد الطاء مضمومة فى أفصح اللغات ، وتأتى بمعنى الزمان الماضى ، ولا تستعمل إلا فى موضع النفى ، وقد اشتقت من قططته أى قطعته ، فمعنى ما فعلته قط : ما فعلته فيما انقطع من عمرى ، لكون الماضى منقطعًا عن الحال والاستقبال . وهى مبنية على الضم لتضمنها معنى «مذ» ، ولأنها ظرف ، وأصل الظروف أن تكون مضافة ، فلما قطعت عن الإضافة بنيت على الضم كقبل وبعد ، والعامة يقولون : لا أفعله قط ، وهو لحن . وتكون ظرف زمان غير متصرف ، وبمعنى «حسب» ، واسم فعل بمعنى يكفى ، فيقال : قطنى - بنون الوقاية - كما يقال : يكفينى .

ولا تضيف قط معنى التوكيد على الجملة إلا إذا كانت ظرفا .

٤- التوكيد بـ « لاسيما »

أشار صاحب شرح المفصل إلى أن « لاسيما » كلمة يستثنى بها ، ويقع بعدها المرفوع ، والمخفوض ، فمن خفض جعل « ما » زائدة مؤكدة ، وخفض ما بعدها بإضافة السى إليه .... ومن رفع جعل ما بمعنى الذى ، ورفع ما بعدها على أنه خبر مبتدأ محذوف ، والمعنى سى الذى هو .... وهو العائد إلى الذى وقد عدها ابن السراج اسما ، مثل : غير وسوى[(٢)] .

ومن النحاة من يرى أن لاسيما ليست من كلمات الاستثناء حقيقة ، بل المذكور بعدها منبه على أولويته بالحكم المتقدم ، وإنما عدها من كلماته لأن ما بعدها مخرج عما قبلها من حيث أولويته بالحكم[(٣)] .

---

(١) راجع : شرح المفصل ٤/١٠٧ - ١٠٨ ، مغنى اللبيب ١/ ١٧٥ - ١٧٦ ، همع الهوامع ٣/ ٢١٣ - ٢١٤ ، النحو الوافى ٢/ ١١٦ - ١١٧ .

(٢) راجع : ابن يعيش - شرح المفصل ٢/ ٨٥ ، ابن السراج - الموجز فى النحو ٤٠ .

(٣) الرضى - الكافية ١/ ٢٤٨ - ٢٤٩ .

وتلزم « الـواو » هذه الكلمة ، ولا تحـذف منها إلا نادراً ، وعدهـا بعض النحاة اعتراضية أو استئنافيـة ، وجملة « لاسيما » لا محل لها من الإعراب ، أو حاليـة . . . . وسيبويه يجـيز حذف « ما » منـها عندما تكـون حرفًا زائدًا ، ورأى آخـرون أنها لا تحذف ولـو كانت زائـدة . ومنهم مـن زعم أن « لا » زائدة ، والكثير لا يجيز حذفها ، ولم يسمع حذفها إلا فى أقوال المولدين[1] .

والرأى عندى أن « لا » أصيلة فى وجودها ، وانها مع « ما » تضيفان إلى هذه الكلمة معنى : التأكيد والتفصيل والتخصيص . كما أن « لاسيما » بكامل تركيبها ليست أداة خالصة للاستثناء ، وإنما هى شبيهه بأدوات الاستثناء ، وذلك لكونها تفـيد ترجيح ما بعدها على ما قـبلها ، بينما أداة الاستثناء الأصـيلة تفيد إخراج ما بـعدها مما قبلـها ، وتخليـصه من الدخول فى دائـرة حدوث الحدث الذى يدخل فـيه ما قبل الأداة ، نفيًا وإثبـاتًا ، وهذا عكس ما يفيـده استخدام لاسيمـا ، فما بعـدها يشارك ما قـبلها فـى المعنى ، مع زيـادة فى التخـصيص والتفضيل والتأكيد .

٥- التوكيد بالمصدر

ثمة جـدل غير قلـيل حول قضيـة المصدر وعلاقتـه بالفعـل ، وهذ الجدل مصحوب بتفاوت فى الآراء بين أئمة النحـو من البصريين والكوفيين ، ولا نريد الخوض فى هذه القضية ، لكثرة ما قيل عنها فى مظانها النحوية المختلفة[2] ، إذ الهدف الـذى تسعـى إلـيه هذه السطـور هو بيان الجانـب التوكيدى فـى كل ما نعرض له .

---

(١) راجـع : ابن جنى - الخـصائص ٢/ ٤٧٢ ، وابن فارس - الصـاحبى ١٥٥ ، والسيـوطى - همـع الهوامع ٣/ ٢٩٢ - ٢٩٥ .

(٢) راجع بالتفصيـل : ابن الأنبارى - الإنصاف فى مسائل الخلاف ١/ ٢٣٥ - ٢٤٥ ، وابن يعيش - شرح المفصل ١/ ١١٠ - ١١١ ، ٦/ ٤٣ - ٦٨ ، الرضى - الكافية ٢/ ١٩١ .

والمصدر اسم دال على حدث غير مقترن بزمن ، ويقصد بالحدث معنى قائمًا بغيره سواء صدر عنه كالضرب والمشى أو لم يصدر كالطول والقصر . وحين يطلق المصطلح دون تقيد بوصف أو إضافة ، فإنه يقصد به المصدر الأصلى أو العام دون المصدر الميمى والصناعى ، ومصدر المرة ، ومصدر الهيئة .

فإذا كان المصدر يدل على حدث مجرد من الزمان والمكان ، ففى ذلك دليل على أن دلالة المصدر عرفية ذاتية ، لا صرفية ، فليس لصيغته وشكله أية دلالة ، فالمصدر (ضَرْب) لا يدل على غير الحدث المعروف ، إذ لا يدل على زمن الضرب ومكانه ، ولا فاعله ، ولا عدد القائم به ، ولا على جنسه ، أمذكر هو أم مؤنث ، كما أن حدث المصدر ذهنى ، أى معنى مجرد . ويتميز المعنى العرفى للمصدر من المعنى النحوى المكتسب من التركيب ، فالمعنى النحوى لا يقع فى علم الصرف ، لكونه معنى سياقيًا من اختصاص علم النحو ، مثل : معانى التوكيد ، وبيان الأنواع ، وبيان العدد التى تدرس فى درس المفعول المطلق . ومثل نيابة المصدر عن ظرفى الزمان والمكان ، أو وقوعه صفة أو حالاً موقع المشتق ، أو تمييزًا مفسرًا بعد بعض المبهمات ، أو حلوله محل فعله فى الأمر أو النهى ، فهذه كله معان نحوية تركيبية يتم تناولها فى مباحث شتى فى علم النحو ، وليست ضمن المباحث الصرفية .

ويكون المصدر مؤكدًا إذا كان مفعولاً مطلقًا ، وهو ما أسماه الزمخشرى بالمبهم ، وفسره ابن يعيش بأن المعنى به أن المصدر يذكر لتأكيد الفعل ، نحو : قمت قيامًا ، وجلست جلوسًا ، فليس فى ذكر هذه المصادر زيادة على مادل عليه الفعل أكثر من أنك أكدت فعلك ، الا ترى أنك إذا قلت ضربت دل على جنس الضرب مبهمًا ، من غير دلالة على كميته أو كيفيته ، فإذا قلت : ضربت ضربًا كان كذلك .

ويربط ابن يعيش بين التوكيد بالمصدر والتوكيد المعنوى ، فى قوله : صار - أى المصدر (ضربًا) - بمنزلة : جاءنى القوم كلهم ، من حيث لم يكن فى كلهم زيادة على ما فى القوم . فالمصدر ضربًا هو المفعول الحقيقى ، لأن الفاعل يحدثه ويخرجه من العدم إلى الوجود ، وصيغة الفعل تدل عليه ، والأفعال كلها متعدية إليه ، سواء كان يتعدى الفاعل أو لم يتعده[1] .

فإذا اكتفى الفعل بمصدره كان للتوكيد ، ويقصد بالتأكيد ما تضمنه الفعل بلا زيادة عليه ولم يتضمن الفعل إلا الماهية من حيث هى هى ، . والقصد إلى الماهية من حيث هى هى يكون مع قطع النظر عن قلتها وكثرتها . وقد سموا المصدر تأكيدًا للفعل توسعا ، فقولك ضربت بمعنى أحدثت ضربًا ، فلما ذكرت بعده ضربًا ، صار بمنزلة قولك : أحدثت ضربًا ضربًا ، فظهر أنه تأكيد للمصدر المضمون وحده ، لا للإخبار والزمان اللذين تضمنهما الفعل[2] .

فالمصدر إذا ساوى معنى عامله من غير زيادة وُصِف بأنهم مبهم ، كقمت قيامًا ، وجلست جلوسًا ، وهو لمجرد التأكيد ، ومن ثم لا يثنى ولا يجمع ، لأنه بمنزلة تكرير الفعل ، فعومل معاملته فى عدم التثنية والجمع ، ولذا قال ابن جنى انه من قبيل التوكيد اللفظى[3] .

وربط البعض بين المصدر والتوكيد المعنوى ، فـ « قيل : إنه من التوكيد المعنوى ، لإزالة الشك عن الحدث ، ورفع توهم المجاز ، وعليه الآمدى وغيره »[4].

وقد يكون المصدر مؤكدًا لنفسه أو مؤكدًا لغيره ، « فالمصدر المؤكد لنفسه

---

(١) ابن يعيش - شرح المفصل ١/ ١١٠ ، ١١١ .

(٢) الرضى - الكافية ١/ ١١٥ .

(٣) السيوطى - همع الهوامع ٣/ ٩٦ ، وانظر ابن جنى - الخصائص ١/ ٢٨٨ .

(٤) السيوطى - همع الهوامع ٣/ ٩٦ .

هو الذى يؤكد جملة تدل على ذلك المصدر نصًا ، ومنه صبغة الله ، وصنع الله ، وكتاب الله ونحوها ، لأن ما تقدمها من الكلام نص على معانى هذه المصادر ، وجئ بالمصادر مضافة إلى الفاعل ، لأنه حصل اليأس من إظهار فعلها . . . والمصدر المؤكد لغيره فى الحقيقة مؤكد لنفسه ، وإلا فليس بمؤكد ، لأن معنى التأكيد تقوية الثابت بأن تكرره »[1] .

ويأتى المصدر لبيان نوع عامله ، أو توضيح كميته ، أو عدده ، وفى جميع هذه الحالات يتضمن معنى التوكيد ، سواء أكان لتأكيد معنى فعله أو عامله تأكيدًا لفظيًا ، أو مبينًا للنوع ، فالمبين يتضمن توكيدًا بالإضافة إلى بيان نوعه أو عدده أو بيانهما معًا ، ففائدة المصدر المعنوية قد تقتصر على التوكيد وحده ، ولكنها لا تقتصر على بيان النوع وحده ، أو بيان العدد وحده ، أو بيانهما معًا ، إذ لابد من إفادة التوكيد فى كل حالة من هذه الحالات[2] .

فإذا حذف عامل المصدر فهل يظل مؤكّدًا ؟ يرى ابن عقيل أن المصدر المؤكد لا يجوز حذف عامله ؛ لأنه مسوق لتقرير عامله وتقويته ، والحذف مناف لذلك . وأما غير المؤكد فيحذف عامله للدلالة عليه : جوازًا ، ووجوبًا[3] .

وللتأكيد بالمصدر أهميته لدى مستخدمه ، لارتباطه وتعلقه بالحدث دون الدلالة على الزمان ، وأهمية الحدث تأتى من ناحية أنه قائم بغيره ، سواء أكان صادرًا عن فاعله ، مثل : الضرب والقراءة والسير ، أو غير صادر عن فاعله ، مثل : الطول والقصر ونحو ذلك ، وربما يكون التركيز على الحدث ووقوعه سببًا فى شيوعه واستخدامه بكثرة .

---

(1) الرضى - الكافية ١/ ١٢٢ .

(2) عباس حسن - النحو الوافى ٢/ ١٧٠ .

(3) شرح ابن عقيل ١/ ٥١١ .

٦- التوكيد بالقسم

صنف النحاة القسم ضمن ما يسمى بالمشترك[1] ؛ إذ فيه يشترك الاسم والفعل ، وتركيبه يتنوع بين الجملة الاسمية والفعلية .

ويُؤتى بالقسم فى كثير من الأحيان للأغراض الآتية :

أ - تأكيد معنى الجملة التى تسبق أو تلى القسم نفيًا أو إثباتًا .

ب- إزالة الشك وتحقيق اليقين والتثبيت من هذا المعنى .

جـ- إثارة ما يعترى الإنسان من شعور ، مثل : التعجب ، والدهشة ، والاستعطاف ، والترحم ، والشفقة ، والألم ، والصدق ، والكذب ، ونحو ذلك من المعانى التى تلم بالإنسان أيا كان .

ويقسم بكل اسم من أسماء الله تعالى وصفاته ونحو ذلك ، كما يقسم بكل ما يعظم عند من يقسم ، وقد ورد القسم فى الكتاب الكريم بمخلوقات الله كثيراً تفخيمًا وتعظيمًا لأمر الخالق ، ففى تعظيم الصنعة تعظيم الصانع ، مثل : العصر ، والشمس ، والضحى ، والذاريات ، والعاديات ، ومواقع النجوم . . . الخ كما يقسم بأسماء الأنبياء والرسل والأماكن المقدسة والكتب المقدسة . وقد نهى النبى ﷺ عن القسم أو الحلف بغير الله .

ويتكون تركيب القسم من جملة مؤكِّدة وجملة مؤكَّدة ، واسم مقسم به ، فالجملة الأولى وتسمى بجملة القسم هى أقسم وأحلف ونحوهما من أشهد وأعلم ، وهى الجملة المؤكِّدة ، وكذلك لعمرك الله ، وأيمن الله . والجملة المؤكَّدة هى الثانية المقسم عليها ، فإن كانت فعلاً وقع القسم عليه ، مثل : أحلف بالله لتنطلقن ، وإن كان الذى تلقاه حرفًا بعده اسم وخبر فالذى يقع

(١) راجع : ابن يعيش - شرح المفصل ٩/ ٩٠ - ١٠٧ .

عليه القسم فى المعنى الخبر ، مثل : والله إن الحق لمنتصر ، فالقسم يؤكد الانتصار ، أى يؤكد الحدث .

وتنزل كل من جملة القسم وجملة الجواب ، أو الجملة المؤكَّدة والمؤكِّدة منزلة جملة واحدة جملتى الشرط والجزاء ، ذلك لأنه لما أكدت إحداهما بالأخرى صارت كالجملة الواحدة المركبة من جزئين كالمبتدأ أو الخبر ، لا يستغنى أحدهما عن الآخر ، فذكر المبتدأ وحده لا يفيد ، أو الخبر وحده لا يفيد كذلك ، فإذا ذكرت إحدى الجملتين دون الأخرى فلا تفيد ، وقد تحذف الجملة الثانية للدلالة عليها .

ولما كان كل واحد من القسم والمقسوم عليه جملة ، وكانت إحداهما لها تعلق بالأخرى لم يكن بد من روابط تربط إحداهما بالأخرى ، كربط حرف الشرط الشرط بالجزاء ، فجعل للإيجاب حرفين ، وهما : اللام وإنْ ، وجعل للنفى حرفين، وهما: ما ولا . وقد وجب لهذه الحروف أن تقع جوابًا للقسم ، لأنها يستأنف بها الكلام ، ولذلك لم تقع الفاء جوابًا للقسم ، لأنه لا يستأنف الكلام بها .

وتدخل اللام على الاسم والفعل ، فإذا دخلت على الاسم فما بعدها مبتدأ وخبر ، وإذا دخلت على الفعل المضارع لحق آخره النون الخفيفة والثقيلة . وتلزمه النون لأنها تخلصه للاستقبال ، لأنه يصلح لزمنين ، فلو لم تخلصه للاستقبال لوقع القسم على شئ غير معلوم ، ولأن القسم توكيد فلا يجوز أن تؤكد أمرًا مجهولاً . وقد اقترن إلحاق النون بالفعل مع اللام فى جواب القسم لأن اللام وحدها تدخل على الفعل المستقبل فى خبر إنَّ ، وليس دخول اللام على الفعل فى خبر إن للقسم ، فألزموها النون للفصل بين اللام الداخلة فى جواب القسم والداخلة لغير القسم ، لكون اللام التى معها النون لا تكون

إلا للمستقبل ، والتى ليس معها النون تكون للحال ، وقد يجوز أن يراد بها المستقبل[1] .

وثمة أفعال فى إطار الجملة الفعلية فى القسم ، فيها معنى اليمين فتجرى مجرى أحلف ، ويقع الفعل بعدها كما يقع بعد « والله » ، وذلك نحو : أشهد وأعلم وآليت ، وهذه الأفعال لا تتعدى بأنفسها ، بل يؤتى بحرف الجر الباء لإيصال معنى الحلف إلى المحلوف به .

وحرف الباء أحد حروف خمسة ، وهى : الباء والواو والتاء ومُنْ ، والباء أصل حروف القسم لكونها حرف جر ، ومعناها الإلصاق ، فأضفت معنى القسم إلى المقسم به وألصقته ، وغيرها من الحروف محمول عليها ، « لأنها حرف جر فى القسم وغيره ، ويجوز إظهار فعل القسم معها وحذفه ، ولا يجوز ذلك فى غيرها من حروفه ، فدل على أصالتها وفرعية غيرها فى هذا الباب[2] » .

وأما «مُنْ» المضمومة الميم فهى حرف جر تخفض المقسم به كالباء والواو ، إلا أنه اختص بالدخول على الربِّ ، كما اختصت التاء بالدخول على الله ويجوز فى نونها الإظهار والإدغام مع راء « رب » . . . وتستعمل مضمومة الميم ومكسورتها ، واستعمالها مكسورة أكثر شيوعًا ، ويرى الكوفيون أن المضمومة مقصورة من : أيْمُنْ ، والمكسورة الميم من : يمين »[3] .

وقد يحذف حرف القسم بدون أن يحل محله حرف آخر يقوم بعمله ، وقد يحل محله الواو دون غيرها كل من : هاء التنبيه

(١) راجع : ابن يعيش - شرح المفصل ٩/٩٦ مع تصرف يسير جدًا .

(٢) المالقى - رصف المبانى ٤٢٠ ، وانظر مغنى اللبيب ١/١٠٥ ، ١٠٦ .

(٣) المالقى - رصف المبانى ٣٢٦ ، الرضى - الكافية ٢/٣٣٣ ، وانظر سيبويه - الكتاب ٢/١٦٧ .

بإثبات الألف ، أو همزة الاستفهام ، أو قطع همزة الوصل فى مواضع خاصة[1] .

٧- التوكيد بالأحرف المشبهة بالفعل

لعل المقصود بالأحرف المشبهة بالفعل مجموعة الأدوات أو العوامل الحرفية الناسخة الداخلة على المبتدأ والخبر ، فتنصب ما كان مبتدأ وترفع ما كان خبراً ، وعددها ستة أحرف ، وهى : إنَّ ، أنَّ ، كأنَّ ، لكنَّ ، ليت ، لعلَّ .

وهذه الأحرف كما أسلفنا لا تعمل إلا فى الجملة الأسمية ، مع تنوع غرضها ، ولها صدر الكلام ، سوى « أنَّ » فهى بعكسها . . . وسميت الحروف المذكورة المشبهة بالفعل بخلاف (ما) لأنها تشبه ليس الذى هو فعل ناقص غير متصرف ، وهذه تشبه الأفعال المتعدية معنى ولفظاً[2] . ويعدد النحاة الأوجه التى من اجلها أشبهت الفعل واصطلح القدماء عليها بهذا المصطلح أو ما فى معناه .

وتختلف هذه الأحرف فى الدلالة أو المعنى الذى تأتى له ، وإنْ توحَّدت فى نصب ما كان مبتدأ ورفع ما كان خبراً ، فهى ليست كلها بدلالة واحدة ، فـ «إنَّ» تؤكد معنى الجملة، والتوكيد تقوية الثابت لا تغيير المعنى، وكذلك أنَّ المفتوحة الهمزة، فهى لأنها مع جزئيها فى تأويل المفرد لكونها مصدرية ، وجب وقوعها مواقع المفردات مثل : الفاعل والمفعول وخبر المبتدأ والمضاف إليه .

والمؤكِّد من هذه الأحرف إنما يأتى لتأكيد مضمون الجملة ، فإذا لحقت (ما) إنَّ زادتها تأكيداً على تأكيدها ، إذ صار فيها معنى الحصر ، وهو إثبات الحكم للشئ المذكور دون غيره ، والتوكيد بالحصر من أقوى أنواع التوكيد[3] .

---

(١) راجع : الكتاب ٢/١٦٧ ، وشرح المفصل ٩/١٠٦ ، الكافية ٢/٣٣٥ ، ٣٣٦ .

(٢) الرضى - الكافية ٢/٣٤٥ وشرح المفصل ١/١٠١ - ١٠٧ ، ٨/٥٤ - ٨٨ .

(٣) ابن يعيش - شرح المفصل ١/١٠٢ ، ٨/٥٦ .

٨- التوكيد باللام

جاءت اللام في كلام العرب لمعان كثيرة ومتشعبة[١] ، وتفاوتت أعدادها ومسمياتها ، ومواضع استخدامها ، والدلالات التى تأتى لها ، وحسبنا فى هذا المقام أن نركز على ما تأتى للتوكيد اى لتمكن المعنى فى النفس ، وتتمثل فى : لام الابتداء ، واللام الفارقة ، واللام الموطئة ، ولام الجواب ، وبيان كل لام كمايلى :

أ- لام الابتداء

حرف من حروف الصدارة ، غير عامل ، إذ لا يترتب على وجوده اى أثر إعرابى ، وحقها أن تقع أولاً من حيث كانت لام الابتداء . وإذا وجدت إنَّ فى صدر الجملة فلا يجتمعان معًا ، وإنما كرهوا الجمع بينهما لأنهما بمعنى واحد ، وهو التأكيد ، وهم يكرهون الجمع بين حرفين بمعنى واحد ، لأن هذه الحروف أتى بها نائبة عن الأفعال اختصاراً ، والجمع بين حرفين بمعنى واحد يناقض هذا الغرض ، ولذا أبقوا على « إنَّ » فى صدر الكلام ، وأخروا اللام إلى الخبر لكون « إنَّ » عاملة واللام مهملة غير عاملة ، والعامل أولى من المهمل[٢] . وبسبب تأخر اللام إلى الخبر سميت المزحلقة .

ولام الابتداء لا تعمل لكونها غير مختصة ، لدخولها على الاسم والفعل والحرف ، وهى جائز الدخول لا واجبة ، لما يراد من المبالغة فى التوكيد إذ هو حاصل[٣] . ولا تدخل اللام على غير خبر إنَّ المؤكدة ، إذ لا ترد فى خبر إنَّ

---

(١) الف بعض البغداديين هو أبو القاسم الزجاجى ، كتابًا سمّاه « كتاب اللامات » عدد فيها احدى وثلاثين لامًا .

(٢) انظر : ابن يعيش - شرح المفصل ٨/ ٦٣ ، ٦٤ ، ٩/ ٢٥ ، ٢٦ .

(٣) المالقى - رصف المبانى ٢٣٣ .

وكـانَّ وليـــت ولعل ولكن ، إذ دخولها علـى أخبار هـذه الحروف - باستثناء إنَّ - قد يغير معنـى الابتداء، وتخرج بهذه الأحرف عن المعانى التى جاءت لها.

ب- اللام الفارقة او لام الفصل

هى لام مـفتوحـة ، تقع فـى خبر « إنْ » المخفـفة من « إنَّ » الـثقيـلة ، اجتلبت لإبرار الـفرق بين « إنْ » المخففة و « إنْ » النافية العامـلة عمل ليس ، وإذا كانت اللام التى تأتى مع « إنَّ » المشددة أو المـثقلة جائزة لا واجبة ، فإنها حين تأتـى مع « إنْ » المخففـة تصير لازمة أو واجـبة إيذانًا بالـفرق بين « إنْ » المخففة من الثقيلة و « إنْ » النافية .

وهى تفيد التأكيد إضافة إلى ما جـاءت له ، وقد اختلف النحويون فى أمر تسميتها ، فمنهم من ذهب إلـى أنها اللام التى تدخل فى خبر إنَّ المشددة ، أى لام الابتداء ، ومنهـم من ذهب إلى أنها تختـلف عنها ، ومن ثم فلـيست هى المقصودة ، بل تعرف بأنها الفارقة[1] .

جـ- اللام الموطئة

هذه الـلام يسمـيها الـبعض لام الـشرط لدخـولها عـلى حرف الـشرط ، وبعضهم يـسميها اللام المؤذنـة ، للإيــذان بأن الجواب بعدها مبنـى على قسم قبلها، وبعضهم يسميها المـوطئة ، لأنها وطأت الجواب للقسم، أى مهدت له ، وليست جوابًا له[2] .

وتكون تـوطئة لجواب القســم وتوكيدًا نيـابة عنه فى ذلك إذا تـقدم حرف الشـــرط الذى هو « إنْ » الخفيـفة المكسورة ، مـثل : لئن خرجـتَ لأخرجنَّ

(١) راجع فى ذلك : شرح المفصل ٩/ ٢٦ ، ٢٧ ، ابن هشام - مغنى اللبيب ١/ ٢٣١ ، ٢٣٢ ، السيوطى - همع الهوامع ٢/ ١٨١ ، ١٨٢ ، شرح ابن عقيل ١/ ٣٧٨ ، ٣٧٩ . .

(٢) ابن يعيش - شرح المفصل ٩/ ٢٢ ، وابن هشام - مغنى اللبيب ١/ ٢٣٥ .

معك .... ولا تلزم هذه اللام بل يجوز إثباتها وحذفها[1] » .

د - لام الجواب

ذكر ابن هشام أن هذه اللام ثلاثة أقسام : لام جواب لو ، ولام جواب لولا ، ولام جواب القسم . فأما لام جواب « لو » و « لولا » فتأتى لتأكيد ارتباط إحدى الجملتين بالأخرى ، ويجوز حذفها ، كما يجوز حذف الجواب أصلاً ، كقولك : لو كان لى مال ، وسكتَّ ، أى لأنفقت . وينظر البعض من النحاة إليها على أنها قسم قائم بذاته ، والمحققون على أنها اللام التى تقع فى جواب القسم ، فإذا قلت : لو جئتنى لأكرمتك ، فتقديره ، والله لو جئتنى لأكرمتك ، وكذلك اللام فى جواب لولا[2] .

والرأى الذى أميل إليه أن اللام الواقعة فى جواب « لو » و « لولا » قسم قائم بذاته ، ولا تحمل على القسم ، إذ كل من « لو » و « لولا » أداة شرط تتعلق بفعل الشرط وجوابه ، « فالشرط لا يكون إلا بالأفعال ، لأنك تعلق وجودها على وجود غيرها ، والأسماء ثابتة موجودة لا يصح تعليق وجود شئ على وجودها ، والقسم يكون فى الجملة الفعلية والجملة الأسمية »[3] . ولذلك فاللام فى جواب « لو » و « لولا » تكون لتأكيد معنى الشرط معهما .

وأما لام جواب القسم فتدخل على الجملتين الاسمية والفعلية ، ولابد أن تكون موجبة ، وإنما دخلت اللام فى جواب القسم مبالغة فى التوكيد ، إذ القسم توكيد المقسم عليه ، ودخولها على المستقبل يوجب وجود النون الثقيلة أو الخفيفة ، وكل من اللام والنون يفيد التوكيد[4] .

---

(١) المالقى - رصف المبانى ٢٤٢ ، ٢٤٣ مع تصرف يسير .

(٢) ابن هشام - مغنى اللبيب ١/ ٢٣٤ ، وابن يعيش - شرح المفصل ٩/ ٢٢ .

(٣) شرح المفصل ٩/ ٩،٢١ .

(٤) رصف المبانى ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، وشرح المفصل ٩/ ٢١ .

٩- التوكيد بالنون

هذه النون المفردة تأتى على ضربين ، ثقيلة وخفيفة ، وهى للتأكيد وتدخل على الأفعال المستقبلة التى فيها معنى الطلب وذلك ما كان أمراً أو نهيًا أو استفهامًا أو عرضًا أو تمنيًا أو قسمًا . وتعلقها بالمستقبل دون غيره ، لكون المستقبل غير موجودة ، فإذا أريد حصوله أكد بالنون إيذانًا بقوة العناية بوجوده .

وتؤثر النون فى الفعل المضارع الداخلة عليه تأثيراً لفظيًا ومعنويًا فى الفعل ، إذ تخرج الفعل إلى البناء بعد أن كان معربًا ، وتجعله خالصًا للاستقبال بعد أنْ كان للمضارع والمستقبل ، والنون المشددة أبلغ فى التأكيد من المخففة ، لأن تكرير النون بمنزلة تكرير التأكيد . وكل موضع تدخل فيه الشديدة فإن الخفيفة تدخل فيه إلا مع فعل الاثنين وفعل جماعة النساء . ولا يؤكد من الأفعال الماضى والدال على الحال ولا ما ليس فيه معنى الطلب . وطرح النون سائغ فى كل موضع إلا فى القسم فإنه ضعيف[1] .

١٠- التوكيد بحروف المعانى

شكلت دراسة حروف المعانى جانبًا بارزًا من جوانب النحو العربى ، إذ أقبل عليها النحاة العرب إقبالاً يشهد لهم بمدى الاهتمام والعناية التى حظيت بها الحروف أو الأدوات النحوية . لقد شهدت مناقشات غير قليلة تكشف عن مسائل خلاف واسعة النطاق ، وهو أمر يوضح أن الحروف لها دور أساسى بمعاينها فى تركيب الكلام .

ولهذه الحروف دلالاتها المتعددة ومعانيها المختلفة وفق السياق الذى يرد فيه الحرف ، ولسنا بصدد ذكر هذه المعانى والإتيان عليها كاملة ، بل همنا فى هذه

---

(١) ابن يعيش - شرح المفصل ٣٧/٩ - ٤٥ ، وانظر : الرضى - الكافية ٤٠٢/٢ - ٤٠٨ .

السطور هو تتبع معنى التوكيد الذى يأتى له كل حرف من هذه الحروف على النحو التالى :

١ - التوكيد بـ (إذ)

أشار ابن هشام إلى أن لـ « إذْ » معنى آخر - غير المعنى التى تأتى لها - هو التوكيد ، وذلك إذا حملت على الزيادة ، وقد نقل هذا الرأى عن أبى عبيدة الذى تبعه ابن قتيبة فى القول به ، وحملا عليه آيات منها : ﴿ وإذا قال ربك للملائكة ﴾ [1] .

٢ - التوكيد بـ (إذن)

قد تستعمل « إذن » بعد « لو » و « إنْ » توكيداً لهما ، لأن إذنْ مع تنوينه الذى هو عوض من الفعل بمعنى حرفى الشرط المذكورين مع فعلى الشرط ، نحو : لوزرتنى إذن لأكرمتك ، وإنْ جئتنى إذن أزورك ، فكأنك كررت كلمتى الشرط مع الشرطين للتوكيد[2] .

٣ - التوكيد بـ (إلى)

تأتى « إلى » لمعان متعددة ، من بينها أن تكون للتوكيد ، وهى الزائدة ، أثبت ذلك الفراء ، مستدلاً بقراءة بعضهم ﴿ أفئدة من الناس تهوى اليهم ﴾ بفتح الواو ، وخرجت على تضمين تهوى معنى تميل[3] .

---

(١) ابن هشام - مغنى اللبيب ١/ ٨٣ والآية رقم ٣٠ من سورة البقرة .

(٢) الرضى - الكافية ٢/ ٢٣٦ .

(٣) ابن هشام - مغنى اللبيب ١/ ٧٦ وانظر : السيوطى - همع الهوامع ٢/ ٢٠ والآية رقم ٢٧ من سورة ابراهيم .

٤ - التوكيد بـ (أمّا)

بالفتح والتشديد ، وهى عند معظم النحاة ومنهم سيبويه حرف شرط وتفصيل ، وتفيد التوكيد ، لأن أصلها « أنَّ » ضُمَّت إليها « ما » ، قال سيبويه وهى « ما » التوكيد ، وذكر فى موضع آخر « أمَّا » معناها الجزاء ، مثل مهما[١] . وقلَّ من ذكر التوكيد ، ولم أر من أحكم شرحه غير الزمخشرى فإنه قال : فائدة أما فى الكلام أن تعطيه فضل توكيد ، تقول : زيد ذاهب فإذا قصدت توكيد ذلك ، وأنه لا محالة ذاهب ، وأنه بصدد الذهاب وأنه منه عزيمة ، قلت : أمَّا زيد فذاهب ، ولذلك قال سيبويه فى تفسيره : مهما يكن من شئ فزيد ذاهب ، وهذا التفسير مُدْلٍ بفائدتين : بيان كونه توكيدًا ، وأنه فى معنى الشرط[٢] .

٥ - التوكيد بـ (بل)

تكون « بل » للتوكيد ، على أن تزاد قبلها « لا » لتوكيد الإضراب بعد الإيجاب ، مثل : أنت صديق ، لا ، بل أخ فى وقت الشدائد ، ولتوكيد تقرير ما قبلها بعد النفى[٣] ، مثل : ما غضبت منك ، لا ، بل زادنى حبًا شيمتك وحسن سلوكك .

٦ - التوكيد بـ (رب)

أورد السيوطى أن « ربَّ » تزاد للتوكيد[٤] ، وهى حرف خافض مبنية على الفتح ، وتفيد تقليل الشئ وتكثيره ، ومن أحكامها : أن لها أبدًا صدر

(١) سيبويه - الكتاب ١/١٤٨ ، ٢/٣١٢ .

(٢) ابن هشام - مغنى اللبيب ١/٥٧ .

(٣) المصدر السابق ١/١١٣ .

(٤) السيوطى - همع الهوامع ٢/٢٧ .

الكلام بمنزلة ما النافية وإنَّ المؤكدة ، والهمزة وهل للاستفهام ونحو ذلك ، ومنها أيضًا أنها إذا دخلت على ظاهر فلا يكون بعدها إلا نكرة أبدًا ، إذ التقليل والتكثير لا يكونان إلا فى النكرات ، ومنها : أنه يجوز حذفها لدلالة معمولها اللازم للخفض والتنكير عليها ، كما أن تاء التأنيث تدخل عليها مفتوحة كـ «لات» ، والفعل الذى يعد معمولها إذا كان مضارعًا فهو فى معنى الماضى ، نحو : رب رجل يقوم ، بمعنى قام ، وتدخل عليها « ما »[1] .

٧ - التوكيد بـ (الكاف الزائدة)

أوضح المبرد والمالقى وابن هشام[2] أن الكاف تكون زائدة للتوكيد ، وهى التى دخولها كخروجها ، كما فى قوله تعالى : ﴿ ليس كمثله شئ ﴾ ، فمعناها معنى « مثل » وهى لا تتعلق بشئ . والتقدير « ليس شئ مثله ؛ إذ لو لم نقدر زائدة صار المعنى ليس شئ مثل مثله ، فيلزم المحال ، وهو إثبات المثل ، وإنما زيدت لتوكيد نفى المثل ؛ لأن زيادة الحرف بمنزلة إعادة الجملة ثانيًا[3] .

٨ - التوكيد بـ (كى)

تأتى كى فيما تأتى إما تعليلية مؤكد للام ، مثل : جئت لكيما تكرمنى ، فكى هنا جارة مؤكدة للام ، أو مصدرية مؤكدة بأنْ ، مثل : أردت لكيما أن تحقق رغبتى ، ولا تظهر أنّ بعد كى إلا فى الضرورة[4] . يقول السيوطى :

---

(١) المالقى - رصف المبانى ١٨٨ - ١٩٤ ، ابن هشام - مغنى اللبيب ١/ ١٣٤ - ١٣٨ .

(٢) المقتضب ٤/ ٤٨ ، رصف المبانى ٢٠١ - ٢٠٨ ، مغنى اللبيب ١/ ١٧٦ - ١٨٢ .

(٣) رصف المبانى ٢٠١ ، مغنى اللبيب ١/ ١٧٩ والآية الواردة رقم ١١ من سورة الشورى .

(٤) ابن هشام - مغنى اللبيب ١/ ١٨٣ ، والمالقى - رصف المبانى ٢١٥ - ٢١٧ .

«يترجح كونها جارة مؤكدة للام على كونها ناصبة مؤكدة بأن ، لأن « أن » هي التي وليت الفعل ، وهي أم الباب[1] .

٩ - التوكيد بـ (اللام المفردة)

تكون اللام المفردة توكيدًا للنفي ، وهي الداخلة في اللفظ على الفعل مسبوقة بـ « ما كان » أو بـ « لم يكن » ناقصتين مسندتين لما أسند إليه الفعل المقرون باللام ، نحو : وما كان الله ليطلعكم على الغيب » و « لم يكن الله ليغفر لهم » ، ويسميها أكثرهم لام الجحود لملازمتها للجحد أي النفي ، قال النحاس : والصواب تسميتها لام النفي ، لأن الجحد في اللغة إنكار ما تعرفه ، لا مطلق الإنكار ، والأصل : ما كان يفعل ، ثم أدخلت اللام زيادة لتقوية النفي[2] .

وتكون هذه اللام أيضًا توكيدية حين تكون زائدة[3] .

١٠ - التوكيد بـ (لا)

أشار كثير من النحاة إلى أن « لا » تزاد في الكلام لمجرد تقويته وتوكيده ، فبين ابن السراج أنها تشبه « ما » في التوكيد ، وأوضح ابن هشام أن « لا الزائدة الداخلة في الكلام لمجرد تقويته وتوكيده ، وذهب السيوطي إلى أن «لا» تفيد توكيد النفي[4] .

---

(١) السيوطي - همع الهوامع ٢/ ٥ .

(٢) ابن هشام - مغني اللبيب ١/ ٢١١ ، ٢١٥ .

(٣) ابن هشام - مغني اللبيب ١/ ٢١١ ، ٢١٥ .

(٤) ابن السراج - الأصول ٢/ ٢٢ ، ابن هشام - مغني اللبيب ١/ ٢٤٨ ، السيوطي - همع الهوامع ١/ ١٤٤ .

١١ - التوكيد بـ (يا)

ذكر ابن يعيش أن الحروف « يا وأيا وهيا » حروف تستعمل لنداء البعيد ؛ ذلك لأن أواخرهن ألفات ، والألف ملازمة للمد ، فاستعملت فى دعاء البعيد والغافل والمتراخى والنائم المستثقل والساهى ، لإمكان امتداد الصوت ورفعه بها . وقد يستعملون الحروف الموضوعة للمد موضع أى والهمزة ، أى تستخدم لنداء القريب ولمن كان مقبلاً عليك توكيداً[١] . وإلى هذا المعنى أشار ابن هشام بقوله : « يا : حرف موضوع لنداء البعيد حقيقة أو حكمًا ، وقد ينادى بها القريب توكيدًا »[٢] .

١٢ - التوكيد بـ (من الزائدة)

تأتى مِنْ المكسورة الميم لتوكيد العموم ، وهى الزائدة ، مثل : ما جاءنى من أحد ، وشرط زيادتها أن تكون مسبوقة بنفى أو نهى أو استفهام ، وأن يكون مجرورها نكرة ، وأن يكون فاعلاً أو مفعولاً به أو مبتدأ . ومن النحويين من خصص زيادتها للتوكيد ، فذهب الأخفش من البصريين والكسائى وهشام من الكوفيين إلى أن الزيادة تكون فى النفى والإيجاب والنكرة والمعرفة[٣] .

١٣ - التوكيد بـ (التاء)

تدخل التاء لتوكيد الصفة التى على وزن فعَّال أو فاعل أو مفعال أو فعول، كنسابة وراوية ومطرابة وفروقة للكثير الفرق وهو الخوف ، فهذه تفيد المبالغة فى الوصف[٤] .

---

(١) ابن يعيش - شرح المفصل ٨/١١٨ .

(٢) ابن هشام - مغنى اللبيب ٢/ ٣٧٣ .

(٣) راجع : ابن هشام - مغنى اللبيب ١/ ٢٢٣ ، والسيوطى - همع الهوامع ٢/ ٣٥ .

(٤) الرضى - الكافية ٢/ ١٦٣ .

وأشار ابن يعيش إلى أنها تأتى لتأكيد التأنيث ، وهو قليل ، نحو : ناقة ونعجة ، وذلك أن الناقة مؤنثة من جهة المعنى لأنها فى مقابلة جمل ، وكذلك نعجة فى مقابلة كبش . . . فلم يكن محتاجًا إلى علم التأنيث ، وصار دخول العلم على سبيل التأكيد ، لأنه كان حاصلاً قبل دخوله . كما تأتى لتأكيد تأنيث الجمع ، لأن التكسير يحدث فى الاسم تأنيثًا ، ولذلك تلحق فعله تاء التأنيث ، نحو : قالت الأعراب ، وقد دخلت لتأكيده نحو : حجارة[1] . وأشار السيوطى إلى أنها تأتى لتأكيد الوحدة ، كظلمة وغرفة[2] .

١٤ - التوكيد بـ (الباء الزائدة)

تزاد الباء للتوكيد فى ستة مواضع[3] ، ومعنى قولنا تزاد أى أنها تدخل لمجرد التأكيد من غير إحداث معنى ، كما كانت « ما » و « إن » ونحوهما . والباء من أكثر الحروف زيادة ، وتكون زيادتها لتأكيد النفى والإثبات[4] .

١٥ - التوكيد بـ (ما الزائدة)

تستخدم (ما) فى الكلام زائدة على ضربين كافة وغير كافة ، وغير الكافة تستعمل زائدة مؤكدة ، على ضربين : أحدهما : أن تكون عوضًا من محذوف ، والآخر : أن تزاد لمجرد التأكيد غير لازمة للكلمة ، وهو كثير فى التنزيل والشعر وسائر الكلام ، وهى تزاد بعد حروف الجر ، وبعد إنْ ، وبعد أداة الشرط جازمة وغير جازمة[5] .

---

(١) ابن يعيش - شرح المفصل ٨/ ٩٨ .

(٢) السيوطى - همع الهوامع ٢/ ١٧٠ .

(٣) ابن هشام - مغنى اللبيب ١/ ١٠٦ - ١١١ .

(٤) ابن يعيش - شرح المفصل ٨/ ١٣٨ بتصرف يسير .

(٥) شرح المفصل ٨/ ١٣١ - ١٣٣ ، ومغنى اللبيب ١/ ٣٠٦ - ٣١٤ .

١٦ - التوكيد بـ (لن)

ذكر الزمخشرى أن لن لتأكيد ما تعطيه « لا » من نفى المستقبل ، تقول : لا أبرح اليوم مكانى ، فإذا وكّدت وشددت قلت لن ابرح اليوم مكانى . واختلف فى أصلها فذهب الخليل إلى أنها مكونة من : لا + أنْ فخففت بالحذف ، وذهب الفراء إلى أن نونها مبدلة من ألف لا ، وعند سيبويه حرف برأسه وهو الصحيح[١] .

ويرى ابن هشام أن « لن » لا تفيد توكيد النفى ولا تأبيده خلافًا للزمخشرى ، وكلاهما دعوى بلا دليل ، قيل : ولو كانت للتأبيد لم يقيد منفيها باليوم فى ﴿ لن أكلم اليوم إنْسيا ﴾ ولكان ذكر الأبد فى ﴿ ولن يتمنوه أبدًا ﴾ تكرارًا والأصل عدمه[٢] .

وذهب الاسترابادى إلى أن معناها نفى المستقبل نفيًا مؤكدًا وليس للدوام والتأبيد[٣] ، فهى أبلغ فى النفى من لا .

١٧ - التوكيد بـ (قد ولقد)

قد حرف من الحروف المختصة بالأفعال ولا يحسن إيلاء الاسم إياه ، وهو من الحروف التى اتسع العرب فيها ، ويفيد التحقيق والتوكيد والقسم ، فإذا دخلت على الماضى أفادت التوكيد والتحقيق ، ودخول اللام عليها يؤكد المعنى أكثر ويزيده إثباتًا وتحقيقًا . وتستعمل كذلك لإفادة التقليل والتكثير مع المضارع والتقريب مع الماضى للمسافة

---

(١) ابن يعيش - شرح المفصل ٨/ ١١١ .

(٢) ابن هشام - مغنى اللبيب ١/ ٢٨٤ ، والآيتان على الترتيب : الآية ٢٦ من سورة مريم ، والآية ٩٥ من سورة البقرة .

(٣) الرضى - ٢/ ١٦٥ .

الزمانية والمكانية ، ولا تدخل على ليس وعسى ونعم وبئس لأنهن للحال[1] .

وأخيرًا يتبين لنا من خلال استخدام حروف المعانى أنها لا تضيف معنى جديدًا إلى الجملة ، ولكن يؤتى بها لزيادة المعنى الأصلى قوة وتأكيدًا ، أو لجعل الكلام أسهل فى التلفظ به وأكثر قبولاً فى الاستماع إليه ، فالحرف الزائد يتجرد من معناه الأصلى ليكتسب معنى جديدًا ينسجم مع المعنى العام للجملة ، أو مع المعنى الأساسى للكلمة التى يتركب معها . فقد يكون لتأكيد النفى أو الإثبات ، أو لتأكيد تقرير أمر من الأمور وهكذا . وعموما فالحرف الزائد لا يقع فى أول الكلام إلا إذا كان حرف جر ، ولا فرق بين أن يكون الحرف الزائد فى أول الجملة ، أو فى وسطها ، أو فى آخرها ، ففى جميع هذه الحالات يدل الحرف على التوكيد .

وفى ختام هذا الجزء من الدراسة تقول هذا ما كان من أمر التوكيد فى التراث النحوى ، وهو كما يبدو موزعًا على أبواب متفرقة ، بمسميات مختلفة ، وتراكيب متنوعة ، ولا يربط هذا المتفرق سوى توحّد الغرض والهدف من الاستخدام ، وهو إسباغ معنى التوكيد على هذا التركيب أو ذاك . نقول هذا ما كان من أمر التوكيد فى استخدام النحاة ، فماذا عنه فى الاستخدام اللغوى فى النصوص اللغوية المعاصرة بعد أن جمعنا شتاته ، ووقفنا على متناثرة ؟ إن هذا ما تسعى إليه السطور القادمة من خلال متابعته عند طه حسين فى كتابى الأيام ومستقبل الثقافة .

---

(١) ابن هشام - مغنى اللبيب ١/ ٢٨٢ .

سابعًا : أنماط التوكيد ووسائله عند طه حسين

يعد طه حسين (١٨٨٩ - ١٩٧٣) أحد مفكرى النهضة العربية الحديثة فى مراحلها المبكرة . لقد كانت مشاركته فى الحياة الفكرية والثقافية والتعليمية فعّالة ومؤثرة . كان شخصية واحدة تحوى شخصيات متعددة ومتنوعة فى فكرها وثقافتها ، إذ كان أستاذ أدب ، وناقدًا ، وأكاديميًا محققًا ، ومبدعًا ، وكاتبًا موسوعيًا ، ومفكرًا تربويًا واجتماعيًا وسياسيًا .

شخصية جمعت فى نفسها كل هذه التخصصات واستوعبت كل هذه المعارف ، لا عجب أن تترك وراءها تراثًا فكريًا يشهد بتاريخ حافل بالعطاء الفكرى ، والثراء الثقافى ، وهو تاريخ يحكى سيرة رجل ورحلته مع القلم .

لقد تنوعت مؤلفاته ، وتعددت كتاباته تعددًا ملحوظًا يدركه كل مثقف ، فالأعمال الكاملة (عنوان واحد) تضم (١٥) مجلدًا ، ومؤلفاته الفردية تبلغ (٥٥) عنوانًا ، ويبلغ التأليف المشترك (٢١) عنوانًا ، والمترجمات (١٢) عنوانًا ، والإشراف والمراجعة والتحقيق (١٥) عنوانًا ، والمقدمات (٤٥) عنوانًا [١] .

وكما تنوعت مؤلفاته وتعددت ، فقد تعددت مؤلفات من كتبوا عنه إذ تربوا على (٤٧) عنوانا[٢] . لقد انقسم الناس حيال شخصية طه حسين إلى فريقين : فريق مؤيد له ، يعجبه ما كتب ، ويروقه ما قال ، ينظر إليه على أنه علم من أعلام التجديد والتقدم العصرى والبحث العلمى . وفريق كاره له ، ساخط عليه ، يتأفف مما كتب ، وينظر إليه على أنه خلاف ذلك[٣] .

---

(١) راجع فى العدد (١٤) من سلسلة « كتاب الفكر » وهو كتاب خاص بعنوان طه حسين : مائة عام من النهوض الفكرى (فى الذكرى المئوية لمولده) البيليوجرافيا التى أعدها قسم المكتبات بآداب القاهرة ٣٦٣ - ٣٨٣ .

(٢) المراجع السابق ٣٦٤ ، ٣٧٩ - ٣٨٣ .

(٣) راجع فى ذلك : المرجع السابق ، عبد العليم القبانى - طه حسين فى الضحى من شبابه ، ثروت أباظة ذكريات ، أنور الجندى - طه حسين حياته وفكره فى ميزان الإسلام ، محمود مهدى - طه حسين فى ميزان العلماء والأدباء ، أحمد علبى - طه حسين رجل فكر وعصر ، طه حسين كما يعرفه كتاب عصره ، عبد المجيد عبد السلام المحتسب - طه حسين مفكرًا .

لقد أتى المادحون والناقدون على كل شئ فى ذلك الرجل ، والبحث اللغوى حيال ذلك كله موضوعى ، فالصدق والكذب ، والقبح والجمال ، والمدح والذم ، والحب والكره ، أمور لا يهتم بها الباحث اللغوى ، لكونه يتعامل مع النص اللغوى من خلال البنية الصرفية والتركيب النحوى تعاملاً لا يقع فى إطار الأمور السابقة ، فالبنية لا تختلف إن فى حالة الصدق ، وإنْ فى حالة الكذب ، والوظائف النحوية لا تتغير من حالة إلى حالة ، فالفعل ، والفاعل ، والمفعول ، والمبتدأ والخبر ، ونحو ذلك وظائف أو معان نحوية ثابتة فى الصدق والكذب ، والمدح والذم ، وغيرها من الدلالات .

ولما كان هذا البحث معنيًا بدراسة التوكيد من حيث النمط والوسيلة ، فإن هذه الدراسة لن تؤتى ثمارها إلا من خلال ما يقره الواقع اللغوى فى الاستخدام من خلال النصوص اللغوية شعرية ونثرية ، فالدرس اللغوى لا يوقن بدراسة الظاهرة أيا كانت خارج النصوص ، أو بعيداً عن الاستخدام فى السياق ، ومن ثم رأيت دراسة التوكيد فى كتابات المعاصرين ، فاخترت لذلك طه حسين باعتباره واحدًا من أعلام النهضة العربية المعاصرة .

وتأتى أهمية دراسة التوكيد عند طه حسين من ناحية أنها تمثل جانبًا من جوانب الاستخدام اللغوى ، ومعرفة خواص التركيب والجمل فى اللغة معرفة تقرب ما بين التركيب فى صورته لدى القدماء واستخدامه فى السياق اللغوى لدى المعاصرين ، والأغراض التى يستخدم لها . لقد « تعددت جوانب الفكر اللغوى عند طه حسين ، فاهتمامه باللغة لم يصدر عن تصور نظرى منطقى لبنية اللغة بل صدر عن نظرة وظيفية اجتماعية أضاف إليها آراء واضحة فى التاريخ اللغوى ، وفى التنمية اللغوية ، وفى تعليم اللغة العربية ، وفى النهوض بالدراسات اللغوية [1] » .

---

(١) د. محمود حجازى - فكره اللغوى ٥٦ (بحث منشور بكتاب الفكر رقم ١٤) .

كما أن التوكيد بـكل صـوره وأحواله يشكل موضـوعًا بارزًا فى كتابات طه حسين ، إذ كان يتخـذ التوكيد وسيله تعبيريه عـن الأحداث التى وقعت فى حياتـه ، شكا أو يقينًا ، سـلبًا أو إيجابًا ، نفـيًا أو إثباتًا ، وتزداد أهميـة تلك الوسيـلة إذا علمـنا أنه كان يـعيش صراعًا متعددًا ومتنـوعًا فى مراحل حـياته المختلفة على كافة الأصعدة، النفسية ، والجسمية ، والاجتماعية ، والفكرية ، والسياسية ، ونحو ذلك .

وقد رأينا الاكتفاء بكتابى الأيام ومستقـبل الثقافة ليكونا نموذجين يدرس من خلالهما التوكيد[1] ، وذلك لكون الأيام » تزخر بمواقف تثير الوجدان ، وترسم بأمانـة وبإبداع فنى حيـاة القرية ، كما تـرسم حياة مؤلـفها ، لأنه اندمج فـيما حولـه ، رغم عاهتـه اندماجًا كلـيًا ، وعاش بيئـته بكل حـواسه رغم فقـدانه البصر[2] » . كما أنَّ سـيرة طه حـسين مبثوثه فـى كثير من مـؤلفاته غـير الأيام بشكل واضح ، مثلـما نراها فى « أديب » وبشكل غير بارز كمـا نراها فى كتبه التى يدون فيها تجاربه ورحلاته « فى الصيف » و « رحلة الربيع »[3] .

وأما الكتاب الثانى فـهو يمثل نمطًا من التأليف يخالف فـن السيرة الذاتية ، وهو كتاب يؤصل فيه مـؤلفه لنظرية ثقافية ذات جذور متعمقـة فى علوم التربية الحديثة ، كما أن هـذا الكتاب مع كتاب « الأيام » بأجزائه الثـلاثة قد ظهرا فى فترات متـعاقبـة من الزمـن ، إذ ظهر الجزء الأول مـن الأيام ١٩٢٦ ، وظـهر

(١) لم نكتف بكتابى الأيام ومستقبل الثقافة إلا بـعد متابعة الظاهرة فى كتب ، مثل : حديث الأربعاء - دار الكتاب اللبـنانى ط٢ / ١٩٧٤ ، على هـامش السيرة - دار المعـارف بمصر ١٩٨٠ ، أديـب - شركة التوزيع المصرية بالقاهرة (د.ت) إذ بعد المتابعة لظـاهرة التوكيد فى هذه المؤلفات وجد أنها لا تختلف من كتاب إلى آخر ، وخوفًا مـن الحشو والتكرار رأينا الاكتفاء بـ (الأيـام ٣ أجزاء) لأنه بالإضافة إلى السبب الآنف الذكر يعد أكثـر المؤلفات تمثيلاً للدراسة ، كما أن مستقبل الثقـافة يمثل مرحلة هامة فى تاريخ حياته .

(٢) د. سهير القلماوى - السيرة الذاتية (الأيام) ٣٠٣ بحث منشور بكتاب الفكر رقم (١٤) .

(٣) المرجع السابق ٣٠٣ .

«مستقبل الثقافة» ١٩٣٧ ، وظهر الجزء الثانى من الأيام ١٩٣٩ ، والجزء الثالث ١٩٧٢ . وهذا الظهور يتيح لنا متابعة دراسة ما نحن بصدده فى فترات متفاوتة من مراحل حياة صاحب الأيام ، مما يساعد على الخروج بنتائج - لعلَّها - تكون ممثلة تمثيلاً دقيقًا لما ندرسه ونهتم به .

إنَّ التوكيد عند طه حسين لم يتخذ شكلاً واحدًا ، ولا نمطًا ثابتًا ، ولم يقتصر على ما أورده النحاة فى باب التوابع ، بل تعدى الشكل الواحد إلى أشكال متعددة ، فكان هناك التوكيد النحوى ، وما أسميناه باللغوى . لقد استفاد من كل الوسائل اللغوية التى يسرتها اللغة ، وسوف يبدو لنا هذا بوضوح من خلال السطور التالية .

- التوكيد اللفظى

التوكيد اللفظى أعم ضروب التوكيد وأشملها ، فهو جار فى كل شئ ، فى الاسم والفعل والحرف ، والجملة والمظهر والمضمر ، فليس عليه باب يحصره، لدخوله فى كل كلام تريد توكيده . ولا يؤكد المظهر إلا بمثله ، ولا يؤكد المضمر إلا بمثله ، فلا يؤكد المظهر بمضمر ؛ « لأن التأكيد تكملة ، والأول هو المقصود ، ولا يليق أن تكون التكملة أقوى من المقصود ، فلذلك لايؤكد المظهر بمضمر[1] » .

وبمتابعة التوكيد اللفظى فى « الأيام » وجد أن هذا الضرب من التوكيد لا يشيع فى الاستخدام اللغوى لديه ، إذا استعمله على نحو محدود ، فلم تؤكد الأسماء الظاهرة ولا الأفعال ولا الحروف ، كما لم تؤكد الجملة بنوعيها ، ولا شبه الجملة كذلك .

لقد ظهر التوكيد اللفظى عند صاحب الأيام فى توكيد الضمير بنوعيه ،

---

(١) ابن الحاجب - الإيضاح فى شرح المفصل ١/ ٤٣٩ .

منفصلاً ومتصلاً ، فأما توكيد الضمير المنفصل فقد انحصر فى توكيد المفرد الغائب المذكر والمؤنث ، قال طه حسين : « فأمّا الخطبة فهى ما كان تعود أن يسمع فى المدينة ، وأما الحديث فهو هو ، وأما النعت فهو هو ، وأما الصلاة فهى هى ، ليست أطول من صلاة المدينة ولا أقصر »[1] .

وأما توكيد الضمير المتصل فيتمثل فى توكيد المفردة الغائبة المؤنثة ، والمفرد المخاطب المذكر ، وضمير جمع المتكلمين ، فى قوله : « ومضت السفينة فى طريقها هادئة مستأنية ، كأن رشدها قد ثاب إليها ، وكأنها هى قد ثابت إليه » وقوله : « تعلم أنى كنت رئيس الجامعة حين كنت أنت طالبًا فيها » وقوله : «سنصحبك نحن إلى الجامعة»[2] .

وثمة ألفاظ تتكرر بين الحين والآخر ، وهى ألفاظ دالة على الترتيب العددى أو التدريجى ، فأما ما يدل على الترتيب العددى ففى مثل قوله : «يغمز من حوله من إخوته وأخواته حتى يوقظهم واحدًا واحدًا » وأما ما يدل على الترتيب التدريجى ففى قوله : « ثم أخذ لونك يتغير قليلاً قليلاً ، وأخذت جبهتك السمحة تربدُّ شيئًا فشيئًا » ، وقوله: « كان الأزهر يستيقظ شيئًا فشيئًا »[3] . وهذا التركيب الأخير تكرر فى أكثر من موضع . « وضابط هذا النوع : أن يذكر المجموع أولاً مجملاً ، مشتملاً - ضمنًا - على جزأيه المكررين ، ثم يأتى بعده تفصيله مشتملاً - صراحة - على بيان الجزأين المكررين . ومن أمثلته : يمشى الجنود ثلاثة ثلاثة .... ومن مجموع الكلمتين المكررتين تنشأ الحالة المؤولة ، الدالة على الترتيب ، ولا يحدث الترتيب من واحدة فقط . لكن الأمر عند الإعراب يختلف ، إذ يجب إعراب الكلمة

---

(١) الأيام ١/ ١٣٧ .

(٢) الأيام ٣/ ٥٢٦ ، ٣/ ٦٦٩ ، ٤٤١ .

(٣) الأيام ١/ ١٣ ، ١٤٣ ، ٢/ ١٧٥ .

الأولى وحدها هي الحال . . . والكلمة الثانية المكررة فيجوز إعرابها توكيدًا لفظيًا للأولى ، كما يجوز - وهذا أحسن - أن تكون معطوفة على الأولى بحرف العطف المحذوف « الفاء » أو « ثم » دون غيرهما من حروف العطف ، لكونهمَا يدلان على الترتيب ، دون باقي الحروف العطف »[1] .

فالأصل فيما رواه صاحب الأيام « حتى يوقظهم واحدًا فواحدًا ، أو واحدًا ثم واحدًا وهكذا .

وهناك تركيب قائم على العطف ، ويمكن حمله على التوكيد اللفظي للتكرار الواقع في كل تركيب ، مثل قوله : « وفتحهما مرة ومرة ومرات » وقوله : « لقد احتمل من أهل القرية ما كانت يحتمل قديمًا يومًا ويومًا وأياما » وقوله : « استحال نقد الصبي لأبيه في قراءته للدلائل والأوراد موضوعًا للهو الأسرة وعبثها أعواما وأعواما »[2] . فهذا التركيب وما يشبهه ، فيه من التوكيد اللفظي التكرار وعدم زيادته على ثلاث مرات ، « فجميع صور التوكيد اللفظي وحالاته لا يصح تكرار اللفظ السابق (وهو : المؤكَّد) أكثر من ثلاث مرات[3] » .

وآخر ما يمكن أن ندخله في إطار التوكيد اللفظي ، توكيد اللفظ المضاف إلى « إذ » في قوله : « ويومئذ ويومئذ فحسب يتحقق ما يريده هيكل باشا ، وما نريده نحن معه من إيمان المعلمين والمشرفين على التعليم بمهمتهم الخطيرة . . . . ويومئذ ويومئذ فحسب ، يقبل رجال التعليم على التعليم عن

---

(١) عباس حسن - النحو الوافي ٢/ ٣٧١ .

(٢) الأيام ٢/ ٣٠٨ .

(٣) النحو الوافي ٣/ ٥٢٦ . إذا كان التوكيد اللفظي جملة مكررة جاز أن تكون مسبوقة بحرف العطف «ثم» أو «الفاء» وعندئذ لا يكونان حرفي عطف ، والأكثر ان يكونا عطفًا صوريًا ، وأن يكون العاطف المهمل هو الحرف « ثم » غالبًا ، فهو لا يعطف ، لكونه صوريًا ، اى : في صورة العاطف وشكله الظاهر ، دون حقيقة (راجع النحو الوافي ٣/ ٥٢٦ ، ٥٣٦) .

يقين وثقة[1] » . ومثل هذا ورد أكثر من مرة ، وهو مؤكد تأكيدا لفظيًا ، ثم بالاسم «حَسْب» ، وهو لا يفيد معنى التوكيد إلا إذا دخلت عليها الفاء ، وسوف نعرض لها مفصلاً فيما بعد . وهذا الظرف المضاف إلى « إذ » منون تنوين عوض عن جملة محذوفة ، والتنوين فيه دلالة على التوكيد .

- التوكيد المعنوى

من خلال تتبعنا لهذه الظاهرة عند صاحب الأيام نجد أن التوكيد المعنوى قد شاع فى الاستخدام اللغوى . وقد انحصر فى ألفاظ ثلاثة ، هى نفس ، وعين ، وكل ، والأولان يأتيان للمفرد والمثنى والجمع ، ويكون مع المثنى والجمع على وزن « أفعل » مع اشتمالهما على الضمير المناسب فى النوع والعدد الذى يعود على المؤكد ، وأما الثالث فيأتى للدلالة على الجمع لما كان قابلاً للتقسيم والتجزئة .

فأما « نفس » فقد وردت مفردة فى قوله : « ثم يعيد الكلمة نفسها على هذا النحو نفسه »[2] وجاءت توكيداً للجمع فى قوله : « والذين يمثلون سلطان الدولة أنفسهم يشترط فيهم أن يكونوا قد مارسوا التعليم العالى مراسًا فعليًا[3] » . وهذا اللفظ أشيع من اللفظ الآخر « عين » فى الاستعمال ، إذ ورد فى أكثر من موضع .

وأما عين فيقل فى استخدامه عن سابقه ، وقد أورده متصلاً بحرف الجر فى كل استخداماته ، ودخول حرف الجر الزائد على « نفس » و «عين» جائز ، وهو أمر ينفرد فيه اللفظان دون بقية ألفاظ التوكيد المعنوى ، وإعرابهما يكون

(١) مستقبل الثقافة ٢٣٨ .

(٢) الأيام ٢/٣٢٧ .

(٣) مستقبل الثقافة ٤٢٥ .

توكيداً مجروراً بحرف الجر الزائد فى محل رفع ، أو نصب ، أو جر ، على حسب حالة المتبوع[1] . وما ورد عند طه حسين جاء متصلاً بحرف الجر الزائد ، فى مثل قوله : « فلم يكن يلتزم جملة بعينها ، أو لفظًا بعينه ، أو صوتًا بعينه»[2] .

وأما « كل » فأكثر شيوعًا من اللفظ الأول والثانى ، وقد وردت مستبوعة فى أكثر المواضع لتأكيد المفرد الغائب المذكر والمؤنث ، وجاء على قلة لتأكيد جمع الذكور الغائبين ، فى قوله : « وقد أرق ليلته كلها » وقوله : « ثم لا يلبث أن تستأثر الجامعة بعقله كله ، وجهد كله »[3] .

ويشترط فى توكيد « كل » أن تضاف إلى ضمير المؤكد ، فإذا أضيف إلى اسم ظاهر خرج من إطار التوكيد إلى النعت ، ويكون تركيبه كمايلى :

اسم معرفة + كل + اسم معرفة هو نفسه ما قبل « كل »

ومثل هذا التركيب ورد كثيرًا عند صاحب الأيام ، من ذلك قوله : « حقًا إن العلم بحر لا ساحل له ، والخير كل الخير للرجل الذكى أن يغرق فيه »[4] . وقد تردد نمط هذا التركيب فى أكثر من موضع ، فكلمة « كل ليست توكيداً ، بل نعت للكلمة التى قبلها يبين كمال المنعوت »[5] .

وتتميز لفظة « كل » أنها فى خروجها عن التوكيد ، قد تأتى بدلاً ، مثل « إنا كلاً فيها » فكلاً هنا بدل من الضمير المتصل (نا) ، وقد تأتى : نائب مفعول مطلق ، أ نائب ظرف ، نحو : أخلصت لك كل الإخلاص ، مشيت كل

(١) عباس حسن - النحو الوافى ٣/ ٥٠٧ .

(٢) الأيام ٢/ ٣٢٠ .

(٣) الأيام ٢/ ٢٨٥ ، ٣/ ٤٤٦ .

(٤) الأيام ٢/ ١٧٢ .

(٥) أبو حيان - ارتشاف الضرب ٢/ ٦١٠ .

النهار ، وقد تأتى نعتًا إذ دلت على بلـوغ الغاية فى الكمال أو النقص ، مثل : أنت الأمين كل الأمين ، وهو الخائن كل الخائن »[1] .

وأخيراً إذا كان التـوكيد المعنوى هو المعتد بـه فى التوابع[2] ، فإن دراسـته عند طه حسين أثار عدداً من الملاحظات التى نوجزها فيمايلى :

١- اكتـفـى صاحــب الأيـام بألفاظ الـتوكيد الأسـاسية ، واقـتصر فى أكـثر الأحـوال على توكيد المفـرد ، وقـلَّ توكيد الجمع ، ولم يأت موكدا إلا المعرفة .

٢- لم يقع لـنا خلال استقصاء هـذا الجانب أى لفظ ، مثل : أكـتع وابصع ، وما ثماثلهما من الألفاظ التى أهمـلت ، ولم يعد لها استخدام فى كتابات المعاصرين .

٣- لا يشكل ما يسمى بالتوكيد النحوى الاصطلاحى ظاهرة ذات شيوع ملحوظ أو لافت للنظر مثلما يوجد في وسائل التوكيد الأخرى .

- التوكيد اللغوى عند طه حسين

إذا تتبعنا ما أسميناه بالتوكيد اللغوى لدى صاحب الأيام ، وجدناه قد اتخذ وسائل متعددة لترسيخ دلالة معينة ، كتوكيد القسم ، أو تأكـيد نسبة الخبر إلى المبتـدأ ، أو تأكيد الـفعل ونحو ذلـك - إن دلالة هذا النوع مـن التوكيـد تأتى لتثبيت مفـهوم آخر فى التـركيب اللـغوى المستخـدم ، ومن ثم فلا يمـثل هذا الضرب من التوكيد نمط واحد ، بل أنماط متعددة ، نحاول إيضاحها على النحو الآتى :

(١) ابن هشام - أوضح المسالك ٣/ ٣٢٨ ، مغنى اللبيب ١/ ١٠٥ .

(٢) ابن مالك - شرح التسهيل ٣/ ٢٨٩ .

١- التوكيد ببعض الأسماء (حسب - غير)

شاع استخدام اللفظ « حسب » فى الاستخدام عند طه حسين ، إذ ورد (٥٤) مرة ، وقد تنوع استعماله بين الاقتران بالفاء وعدم اقترانه بها ، وذلك كمايلى :

اللفظ / المرجع	حَسْب	فَحَسْب
الأيام	٨ مرات	٦ مرات
مستقبل الثقافة	٥ مرات	٣٥ مرة

تسبغ « حسب » التأكيد على الجملة إذا دخلت عليها الفاء الزائدة لتزيين اللفظ . ومن الجدول السابق يظهر أن استخدام اللفظ جاء فى أكثر أحواله مفيداً للتوكيد ، وزاد من أمر توكيده اتصاله بالفاء ، ثم تقدم النفى على اللفظ ، إذ لوحظ أن اللفظ « فحسب » تقدمه نفى فى (٤١) موضعًا . وقد تنوع هذا النفى بين النفى الفعلى ، والنفى الحرفى . فالنفى الفعلى يتمثل فى الفعل الناسخ « ليس » ، والحرفى يتنوع بين « لم » التى تدل على النفى وقلب دلالة الفعل المضارع إلى الماضى ، « ولا » التى تدل على النفى للحاضر أو الحال ، سواء أكان النفى فعليًا أم حرفيًا ، فإن دلالة التوكيد فى التركيب هى المرجوة فى نهاية الأمر .

كما لوحظ أنّ النفى بـ «لا» يزيد كثيراً عن النفى بغيرها ، إذ بلغ النفى بـ «لا» (٢٧) مرة ، وبـ «ليس» (٩) مرات ، وبـ «لم» (٥) مرات . كما تبين أن التعقيب بعد « فحسب » يتنوع بين « لكن » أو « بل » أو «إنما» ، ويتنوع بعد النفى بـ « لم » بين « لكن » و « بل » فى مثل قوله : « ولم يكن الشيخ

أستاذًا فحسب ، لكنه كان أديبًا أيضاً »[1] ومثل : « الجامعة يجب أن تكون مستقر الثقافة العميقة العامة لا بالقياس إلى نفسها فحسب ، بل بالقياس إلى غيرها من البيئات أيضًا »[2] . وقد لوحظ أنه بعد النفى بـ « ليس » تنوع التعقيب بين إنما و « بل » و « لكن » فى مثل قوله : « وليس سبيل ذلك أن يكون المنهاج جيدًا ، والبرنامج متقنًا فحسب ، وإنما سبيل ذلك أن ينفذ المنهاج جيدًا والبرنامج المتقن تنفيذًا صالحًا »[3] . وقوله « وليست الدولة مسؤولة عن تكوين عقل الصبى وقلبه فحسب ، بل هى مسؤولة أيضًا ، ومسؤولة فى مصر بنوع خاص عن حماية جسمه من الآفات والعلل »[4] . ويلاحظ أن استخدام « لكن » قليل فى مثل قوله : « معاهد التعليم ليست مدارس فحسب ، ولكنها قبل كل شئ وبعد كل شئ بيئات للثقافة بأوسع معانيها [5] » . وهكذا نجد أن « حسب » المقترنة بالفاء جاءت منفية فى كل هذه الاستخدامات وغيرها مما لم يذكر ، ولايعنى هذا أنها لاتأتى إلا مسبوقة بنفى ، لقد جاءت غير مسبوقة بنفى ، مثل قوله : « فالذين يزعمون لنا أننا نتعلم اللغة العربية ونعلمها لأنها لغة الدين فحسب ، ثم يرتبون على ذلك ما يرتبون »[6] . إن « فحسب » هنا بمعنى «ليس غير» ، وقد وقعت بعد تعليل توضحه الجملة المنسوخة بـ « إنّ » ، ومن ثم فإفادتها للتوكيد قائمة وحادثة .

أما « حَسْبُ » غير المقترنة بالفاء فاستخدامها يقل عن الأخرى ، وهى تعرب مبتدأ وخبرًا ، واسمًا للناسخ ، ومجرورًا بالباء الزائدة ، وصفة للنكرة ، وحالاً من المعرفة ، أى تشغل موقعًا وظيفيًا فى الجملة ، فهى مبتدأ فى مثل

---

(١) الأيام ٢/ ٣٥٥ .

(٢) مستقبل الثقافة ٤١٣ .

(٣) مستقبل الثقافة ١٠٩ .

(٤) مستقبل الثقافة ١٠٨ .

(٥) المرجع السابق ٤٤١ .

(٦) المرجع السابق ٢٩٠ .

قوله : « وحسبك أن سعدنا لا يحفظ منها حرفا ، وحسبك أن العريف لا يحسن أن يقرأ الأبيات الأولى منها »[1] . وتحمل على الإضافة لفظًا ومعنى .

وأما « غير » فقد جاءت بصورتين ، إحداهما نكرة متبوعة بنكرة أخرى ، وهى هنا تفيد الوصف لا الاستثناء ، وقد لوحظ أن ما أتى بعدها توزع بين الدلالة على ظرف الزمان ، مثل : غير ليلة ، غير يوم ، والدلالة على الوصف ، إما بالمصدر ، مثل : غير انقطاع ، أو الدلالة على الصفة المشبهة ، مثل : غير بعيد ، غير قليل ، غير قصير ، أو مشتق ، مثل : غير حاسب ، وهكذا .

وكان استخدامه « لغير » خالية من النفى الفعلى أو الحرفى يفوق استخدامه لها مسبوقة بالنفى ، إذ بلغ مجموع استخدام الحالة الأولى (٢٦) مرة ، وكان ورودها فى الأيام يفوق ورودها فى مستقبل الثقافة ، فقد وردت فى الأيام (١٨) مرة ، وفى الثانى (٨) مرات ، أما استخدامه لها مسبوقة بالنفى فقد انحصر فى النفى الفعلى (٦) مرات ، موزعة بالتساوى بين الأيام والمستقبل ، ولم نجد الكلمة مسبوقة بالنفى الحرفى ، وقد عدَّ ابن هشام أن قولهم ؛ لا غير لحن[2] .

والتأكيد باستخدام « غير » حادث للدلالة على إفادة الوصف للموصوف فى الدلالة على الكثرة ، أو القلة ، أو النفى ، أو الإيجاب ، أو الدوام ، أو الانقطاع ، ونحو ذلك ، ولاشك أن التوكيد يكون أكثر حدوثًا وثباتًا حين يتقدمها نفى ، خصوصًا إذا كان الدال على النفى فعلاً ، مثل ليس ، لا حرفًا مثل «لا» التى قد تكون عاملة عمل ليس أو عامله عمل إنَّ ، قال طه حسين : «وظل الصبى فى مكانه حتى يعود أخوه فيجذبه فى غير كلام ، وفى غير رفق»

(١) الأيام ١/ ٧١ .

(٢) ابن هشام - مغنى اللبيب ١/ ١٥٧ .

وقال : « فجلس مع أصحابه غير بعيد من الدار »[1] وقال : « وقد طالب المعهد بذلك غير مرة » وقال : « إنما النحو فلسفة ، والكثير منه ترف للمثقفين ليس غير »[1] . وحكم غير في الإعراب بعد ليس له أكثر من وجه ، يرجع إليها من يبغى معرفتها فى مظانها النحوية .

- قطّ

لا تضيف قَطُّ معنى التوكيد على الجملة إلا إذا كانت ظرفًا . وقد أكثر صاحب الأيام من استخدام هذه الكلمة لإفادة التيقن والتثبت من القول أو الفعل ، وكان ورودها فى الأيام يزيد كثيرًا عن ورودها فى مستقبل الثقافة ، إذ وردت فى الكتاب الأول (٦٢) مرة ، وفى الثانى (٤ مرات) . ويلاحظ أن استخدامها جاء فى إطار الدلالة على الماضى ، إما فى اللفظ والمعنى ، وإما فى المعنى دون اللفظ . وكانت دلالتها على الماضى فى اللفظ والمعنى أقل من دلالتها على الماضى فى المعنى ، إذ وردت فى (٣) مواضع للدلالة على المعنى الأول ، على حين وردت فى (٥٩) موضعًا للدلالة على المعنى الثانى .

ويلاحظ أن « قط » فى الحالتين جاءت مسبوقة بنفى حرفى ، وكانت «ما» حرف النفى الوارد فى الدلالة على المعنى الأول ، و « ما » فى كلام العرب لفظ مشترك يقع تارة اسمًا ، وتارة حرفًا . والحرفية قد تدخل على الاسم ، وقد تدخل على الفعل ، ودخولها على الاسم هو دخول على المبتدأ والخبر شبيهه بالفعل الناسخ ليس .

وأما دخولها على الفعل فقد يكون الفعل ماضيًا أو مضارعًا ، « فإذا دخلت على الماضى تركته على معناه من المضى ، وإذا دخلت على المضارع

---

(١) الأيام ٢/ ١٨٨ .

(٢) مستقبل الثقافة ٣٣٩ ، ٣١٢ .

خلّصته للحال »[1] . وقد جاءت « ما » نافية تتقدم قط المسبوقة بالفعل الماضى على النحو التالى :

ما + فعل ماضى + فاعل بارز أو مستتر + قط

قال طاه حسين : « فما راع الصبى إلا شئ فى يده غريب ، ما أحس مثله قط ، عريض يترجرج ، ملؤه تغور فيه الأصابع » وقال : قال سيدنا « امرأتى طالق ثلاثًا ، ما كذبتك قط »[2] .

كما جاءت « ما » على النحو التالى :

ما + فعل مضارع + فعل ماضى + قط

وذلك فى قوله : قال الفتى : وماذا يريد من رئيس الديون السلطانى ، وأنا لم أعرفه ، وما أظنه رآنى قط ؟ »[3] والاستخدام على هذه الصورة فيه إيحاء بعدم النفى المطلق ، فربما يكون قد رآه ولم يعلم بذلك .

هذان هما الموضعان اللذان وردا فى « الأيام » وما عداهما فقد جاءت يتقدمها نفى متبوع بالفعل المضارع ، على النحو التالى :

لم + فعل مضارع + فاعل بارز أو مستتر + قط

هذا التركيب تتحقق فيه دلالة الماضى معنى من خلال وجود لم متبوعة بفعل مضارع ، فـ « لم حرف يجزم الأفعال المضارعة على اختلاف أنواع الجزم وينفيها ، إلا أنها تخلص معنى الفعل المضارع إلى الماضى ، لأنها جواب مَن قال : فَعَل ، إذ هى نظيرها ، فكأنك قلت مجاوبًا ، فلم يفعل ما فعل ، فهى من القرائن الصارفة الأفعال المضارعة إلى معنى الماضى ، وإنْ كان لفظها يصلح

---

(١) المالقى - رصف المبانى ٣١٣ .

(٢) الأيام ١/ ٤٦ ، ٦١ .

(٣) الأيام ٣/ ٦٦٥ .

للحال والاستقبال، فالأظهر مع «لم» المتبوعة بالمضارع نقل المعنى إلى الماضي ، لأن الغالب في الحروف تغيير المعاني لا الألفاظ نفسها ، ولا يقلب معنى المضارع المسبوق بلم إلى الاستقبال إلا إذا سبقت لم بأن الشرطية فتقلبه قلبًا ثانيًا ، لأنها ترد المضارع إلى أصل وضعه من صلاحيته الاستقبال .

والنفي بـ « لم » يفارق غيرها من الحروف النافية ، إذ النفي بها آكد من غيرها ، لكون « ما » إذا نفت الماضي كان المراد ما قرب من الحال ، ولكون النفي بـ « لما » يفيد الدلالة في أقرب الأزمنة الماضية إلى زمن الوجود ، ولذلك صلح أن يكون « حالاً » ، فهي تأتي للحال ولما فيه تطاول وامتداد ، وأما « لم » فتفيد النفي للماضي مطلقًا[1] .

والمتأمل في استخدام صاحب الأيام للظرف « قط » المسبوق بالمضارع المنفي بـ « لم » يجد أنه حرص على تأكيد النفي لدلالة الحدث في الماضي ؛ فإستخدام « لم » زيادة في تأكيد الحدث ونفيه نفيًا مطلقًا ، ولعل هذا يفسر علة شيوع الفعل المضارع المنفي بـ « لم » دون غيرها من الأدوات لاسيما أن ما يريد نفيه وتأكيده يرتبط بأمور تتعلق بشخصه وذاته ، إثباتًا ونفيًا ، سلبًا وإيجابًا ، حزنًا وفرحًا ، سعادة وشقاء ، قال طه حسين : « لم يُصَدِّق - يقصد والده - قط أن التوسل بالأولياء والأنبياء حرام ، ولم يطمئن قط إلى عجز الأولياء عن إحداث الكرامات ، ولم يساير قط ابنه فيما كان يقول من تلك المقالات » وقال : «ولم ينس صاحبنا قط أنه أجلس في مكانه في القطار حين بلغ روما ، وقد انتصف الليل »[2] . وما أكثر استخدام الكاتب للفعل « ينسى » قبل الظرف قط !! لكونه يحكي سيرة حياته وما فيها من قضايا وأمور قد تكون عامة ، وقد تكون خاصة ، فما يتعلق بشخصه تعلقًا مباشرًا يستخدم له الفعل

---

(١) راجع فيما سبق : المالقي - رصف المباني ٢٨٠ ، وابن يعش - شرح المفصل ١٠٩/٨ ، ١١٠ .

(٢) الأيام ٢/ ٣١٠ ، ٥٦٨/٣ .

ينسى ، وقد ورد (١٤) مرة ، وقريب منه الفعل « يذكر » مسبوقًا بأداة النفى « لم » أيضًا (٨) مرات .

- **أبدًا**

وقريب من « قط » فى الظرفية « أبـدًا » ، فهى ظرف زمان للمستقبل ، يستعمل مع الإثبات والنفى ، ويدل على الاستمرار[1] . ويرد هذا الظرف للتوكيد فيما يستقبل من الزمان ، يقال : لا أفعل هذا أبدًا ، وأفعله أبدًا ، ولا يجوز أن يقال : ما فعلت هذا أبدًا ، بل يقال : ما فعلته قط ، لكون «أبدًا» تدل على المستقبل ، وقط تدل على الماضى .

وقد ورد استخدام هذا الظرف قليلاً ، فلم يرد إلا مرة واحدة ، قال طه حسين : « وتهيأ لاستقبال شخص طالما نازعته نفسه إلى لقائه منذ شهور ، وطالما أشفق من الا يلقاه أبدًا »[2] . وهذا لتأكيد النفى فى المستقبل .

- **لاسيما**

يمثل تركيب « لاسيما » استخدامًا قليلاً فى كتابى الأيام ومستقبل الثقافة ، إذ بلغ مجموع ما ورد فى الكتابين (١١) مرة ، منها (٧) مرات فى الأيام ، و (٤) مرات فى الكتاب الثانى . وقد لوحظ أنها جاءت فى (٩) مواضع مسبوقة بالواو ، موزعة بين (٥) مواضع فى الأيام ، و (٤) فى الثانى ، وفى (٢) موضعين متبوعة بالواو فى الأيام .

ومن حيث ما ورد بعدها فقد تنوع بين الجملة الأسمية والفعلية ، والشرطية ، وشبه الجملة . وقد جاءت الجملة الأسمية فى (٢) موضعين ، منها

---

(١) الوسيط ١/ ٢ .

(٢) الأيام ٣/ ٥٧٢ .

قوله : « وثناء الاساتذة غائبهم وحاضرهم على كل ذلك ، يقوم مقام الشهادة الثانوية ، ويزيد عليها من غير شك ولا ريب ، ولاسيما وأنا شارع في تعلم الفرنسيية »[1] . وجاءت الجملة الفعلية في موضع واحد ، في قوله : « ما كان أسعد ذينك الزوجين بهذا الكتاب ، وبما حمل إليهما من معونة كانا في أشد الحاجة إليها ، ولاسيما وقد قرب مَقْدَم الطفل المنتظر »[2] . وجاءت الشرطية في موضع واحد ، في قوله : « وكان أيسر شيء وأهونه أن يذهب الطلاب مذهب شيخهم ، ولاسيما إذا أحبوه وأكبروه »[3] .

ويلاحظ اذ استخدام كل من الأسمية والفعلية والشرطية قليل غير شائع ، وفيما يخص جواب الشرط فيستدل عليه بالفعل المقدَّر الذى يحدده سياق الاستخدام في الجملة ، كما يلاحظ أيضًا أن لاسيما هنا بمعنى : خصوصًا .

كما يقع بعد « لاسيما » أيضًا ظرف زمان أو مكان أو مجرور بحرف الجر ، وقد وردت متبوعة بظرف زمان صريح في موضعين ، ومتبوعة بظرف زمان يؤول بحسب ما يليه من الكلام . فأما الصريح فهو « حين » ، وأما الآخر فهو « بعد » . وقد جاء الأول موزعًا بين موضع في الأيام وموضع في مستقبل الثقافة ، في قوله : « لم يستجب فيما قال أو فَعَل إلا لما كان يدعوه إليه ضميره من الإقدام في غير تهيب ولا دجل ، ولاسيما حين يبلغ الشر أقصاه »[4] . وقوله : « ومن الحق أن مشكلة البطالة عظيمة الخطر ، وأنها أعظم خطرًا مما نظن إلى الآن ، ولاسيما حين يضطر إليها الشباب »[4] . وجاء الثاني في موضعين منها قوله : « يتصلون بالتعليم العالى على اختلاف فروعه

---

(١) الأيام ٣/ ٤٧٥ وانظر ٢/ ٣٥٤ .

(٢) الأيام ٣/ ٦٣٥ .

(٣) الأيام ٢/ ٣٥٥ .

(٤) الأيام ٣/ ٦٨٩ ومستقبل الثقافة ١٤٩ وانظر الأيام أيضًا ٢/ ٣٥٣ .

وألوانه ولاسيما بعد أن انتشر التعليم »[1] ولم ترد متبوعة بظرف مكان فيما استقصيناه من مؤلفات . وأما المجرور بالحرف فقد ورد فى موضعين موزعين بين موضع فى الأيام وموضع فى الكتاب الآخر ، من ذلك قوله : « وكان يُعَرِضُهم للعلة أحيانًا وللزكام فى كثير من الوقت ، ولاسيما فى الشتاء »[2] .

وفى كل هذه الأحوال تكون « ما » اسمًا موصولاً ، والظرف أو الجار والمجرور فعل بمعنى حصل أوقع . كما أنه فى كل هذه الأحوال يلاحظ أن «لاسيما» تفيد التوكيد والتخصيص والتفضيل لما وقع بعدها ، وليس بصحيح أنها تفيد الاستثناء كما ذهب البعض . فالاستثناء إخراج شئ لاحق من حكم شئ سابق ، فلا يصير خاضعًا له ، بينما الواقع بعد لاسيما لا يخرج من حكم ما قبلها ، ولكن يزيد تفضيلاً وتحديدًا وتأكيدًا ، سلبًا أو إيجابًا ، نفيًا أو إثباتًا ، حبًا أو كراهية .... وهكذا .

التوكيد بالمصدر

يشكل التوكيد بالمصدر عنصرًا فاعلاً فى التركيب لدى صاحب الأيام ، إذ يعد وحدة أساسية من الوحدات المكونة للجملة فى كثير من استخداماته ، لاتساقه مع العامل اللفظى فى إطار هذا التركيب أو ذاك .

لقد كان استخدامه للمصدر وسيلة توكيدية أمرًا لافتًا لانتباه من يتتبعه ، إذ استعمله فى (٢٧٧) موضعًا من كتاب الأيام ، و (٢٢٠) موضعًا من كتاب مستقبل الثقافة . ولم يكن استخدامه لهذا العدد ذا نمط واحد ، فقد تنوع فى دلالته وغرضه وبنيته الصرفية ، كما تنوع فى العامل الذى يعمل فى المصدر ، ولسوف نوضح ذلك على النحو التالى :

جاء استخدام طه حسين للمصدر من حيث العامل موزعًا بين عاملين

---

(١) مستقبل الثقافة ٢٧١ وانظر ٣٤٢ من المرجع نفسه .

(٢) الأيام ٢/٢٦٨ .

بارزين ، هما : الفعل ، والوصف أو الصفة التى تجرى مجرى الفعل ، مثل اسم الفاعل والمفعول والصفة المشبهة ، وكان شيوع الفعل كعامل لفظى مؤثر فى المصدر يفوق استخدام الوصف ، إذ ورد الأول فى (٤٢٠) موضعًا من الكتابين ، إذ ورد (٢٣٩) موضعًا فى الأيام ، و (١٨١) موضعًا فى مستقبل الثقافة ، وورد الثانى فى (٧٧) موضعًا ، إذ ورد (٣٨) موضعًا فى الكتاب الأول ، و (٣٩) موضعًا فى الثانى .

وكان المصدر الذى جاء عامله الفعل موزعًا بين المصدر المؤكد والمصدر المبين للنوع . ولم يقع خلال متابعتى المصدر المبين للعدد ، وربما يكون ذلك راجعًا إلى أن تأكيد الحدث فى وقوعه ، وبيان نوعه يمثل محورًا أساسيًا لدى مستخدمه ، ولا عبرة بتكراره أو عدد مرات حدوثه ، فالقليل من الحدث يدل على الكثير منه نوعًا وكيفًا . كما تتنوع بنية المصدر الصرفية بين الثلاثية الأصل ، وغير الثلاثية ، وما سبق قوله ينطبق على المصدر الذى كان عامله وصفًا يعمل عمل الفعل ، والجدول الآتى يوضح ذلك :

المرجع	العامل الفعلى				العامل الوصفى					
	المصدر المؤكد		المصدر المبين للنوع		اسم فاعل		اسم مفعول		صفة مشبه	
	ثلاثى	غير ثلاثى	ثلاثى	غير ثلاثى	ثلاثى	غير ثلاثى	ثلاثى	غير ثلاثى	ثلاثى	غير ثلاثى
الأيام	٣٤	٣٦	١١٩	٥٠	٥	٤	٣	٣	٣	--
مستقبل الثقافة	٢٣	١٤	٤٣	١٠٢	٨	١٩	--	٣	٨	--

تمثل الأعداد السالفة الذكر مجموع المصادر التى يعمل فيها الفعل وغير الفعل ، وهى تبدو متفاوتة حينًا ، ومتقاربة حينا آخر ، فهى تتقارب فى النوع الأول وتتفاوت فى النوع الثانى ، وإن كان مجموع المصادر المبينة للنوع تفوق النوع الأول ولعل ذلك راجع إلى أنها مع إبقائها للتوكيد تبين هيئة وكيفية

حدوث الحدث لصاحبه لكونه موصوفًا بصفة تابعة للمصدر فى تعريفه وتنكيره ، وإعرابه ، وعدده وجنسه ، وفى هذا كله فوائد لا تتوافر فى النوع الأول ، وإن كان النوعان معا يفيدان التوكيد .

لقد كان حرصه شديدًا على أن يثبت أركان الحدث فى نفس قارئه ومستمعه بكل ما أوتى من الوسائل اللغوية ، فتارة يكتفى بالمصدر فقط ، مثل قوله : « يرسل الطلاق والإيمان إرسالاً » وقوله : « فرغ منها وأتقنها إتقانًا »[1] وقوله : « وأنا من أجل هذا مؤمن بأن مصر الجديدة لن تبتكر ابتكارًا ، ولن تخترع اختراعًا »[2] ، وتارة يسوق عددًا من المشتقات الدالة على الوصف والمبالغة ، والاستقرار للحدث فى النفس ، مثل قوله : « وصبيًّا منزوٍ فى ناحية من هذه الحجرة ، واجم كئيب ، دَهِش يمزق الحزن قلبه تمزيقًا »[3] . وأحيانًا يستخدم المصدر متبوعًا بلفظ من ألفاظ التوكيد المعنوى ، فى مثل قوله : « إنما كان يخاف الخوف كله » وقوله : « لكن ثق بأنهم يرفضون الرفض كله »[4] . وأحيانًا كان يعدل عن استخدام المصدر إلى اسم المصدر ، ومن العامل الفعلى إلى الوصف الذى يجرى مجرى الفعل ، مثل : « لكنه كان صوتًا منكرا أشد النكر »[5] .

أما المصدر المبين للنوع ، فإنه يستخدمه بصورتين ، إحداهما : تتكون من المصدر + الصفة ، وهذه الصفة قد تكون مفردة ، مثل قوله : « كان أبوه وطائفة من أصحابه يحب القصص حبًا جمًا » وقوله : « تعلم تعليما صالحًا »[6] وقد تكون جملة فى مثل قوله : « وهو على قلة حظه من إحسان اللغة الفرنسية لم يكن يجد كثيرًا من المشقة ، ولا يبذل كثيرًا من الجهد ليفهم

---

(1) الأيام ١/ ٦٥ ، ٦٨ .
(2) مستقبل الثقافة ١٦ .
(3) الأيام ١/ ١٣٠ .
(4) الأيام ١/ ١٢ ، ومستقبل الثقافة ٧٧ .
(5) الأيام ٢/ ٢٩٤ .
(6) الأيام ١/ ٢٧ ، ومستقبل الثقافة ١٦٢ .

ما كان الأساتذة يلقون من الدرس فهمًا يـغنيه ويرضيه » ، وقوله : « يعرضون عنه إعراضًا لا تكلف فيه »[1] .

والصورة الثانية للمصدر المـبين للنوع هي الـصفة التي تنوب عـن المفعول المطلق ، حـين تضاف إلى مصدر الفعـل نفسه ، أو إلى مصدر مـقارب له في اللفظ والمعنى ، أو إذا حذف المصدر ، وحلَّت الصفة التي تنعته محله ، ويمثل لذلك عنده قوله : « وكان يخاف أشد الخوف أشخاصًا لم يكن يتبينها إلا بمشقة وجهد » وقوله : « وينكرها أشد الإنكار ، بل يبغضها أشد البغض »[2] . فهذا التركيب يـتكون من : **فعل + صـفة + مصدر الـفعل** ، وقد تـكرر فـى مواضع مـتعددة شأنه شـأن سابقة إذ ورد فـى (١١٠) مواضع من الكـتابين ، ولوحظ من خلال متابـعتنا لذلك أن الصفة جاءت بصيغـة (أفعل) الدالة على التفضـيل فى (٩٢) موضـعًا من الكتابين ، ولـوحظ كذلك أن كلـمة « أشد » أكثـر الكلمات الدالة علـى الوصف ورودًا ، إذ وردت فى (٧٠) موضعًا ، ثم كلمـة أعظم (١٠) مرات ، ثـم أحسن (٦) مـرات ، وأشنع (٧) مرات ، ثم أبلغ وأعـمق كل منـهما (٣) مرات ، وكلـمة حق (٤) مرات .. وفـى كل هذه المواضع أضيفت هذه الصفات إلى مصدر الفعل نفسه .

ومما جـاء مضافًا إلى مصدر الفعل الـوارد فى الجملة التى يؤكدها ، لفظه « كل » و « بعض » على هذه الصورة .

الفعل + كل أو بعض + مصدر الفعل

وقد ترددت « كـل » فى أكثر من مـوضع مع الفـعل ، إذ وردت فى (٨) مواضع منها قوله : « أعرض عن الشعر كل الإعراض » و « رضى الأستاذ كل الرضى » و « استبعد كل الاستبعاد »[3] .

---

(١) الأيام ٣/ ٢٣٥ ، ٦٠١ .
(٢) الأيام ١/ ١٣ ، ٣/ ٦٨٩ .
(٣) الأيام ٣/ ٤٢٧ ، ٤٦١ .

وأما « بعض » فلم تتردد كثيراً مثل « كل» إذ وردت مرة واحدة فى قوله: « وارتاح إليه بعض الارتياح[1] » ومثل « كـل » و « بعض » لفـظة « أى » فى قولـه : « وإذا هو يجد عـسراً اى عسـر » ونشيـر هنا إلى أن كـلاً من الصـفة المضـافة ولفظـة « كل » و « بعض » ممـا ينوب عـن المفعول المـطلق ، وكلـها حالات تفيد التوكيد .

ومما تجدر الإشارة إليه أن العامل فيما مضى من المصادر كان الفعل ، ويعد العامل الـفعلي أكثر العـوامل اللفظية شيـوعًا ، فهو يفوق العامـل الوصفى . وكان حال العامل الوصفى (المشتق) فـى المصدر كحال الفعل فى تنوع أحوال المصدر مـعه ، وذلك كقـوله : « هو مكره عـلى احتمـالها إكراهـا » وقوله : «وكان الفتى محـبًا لأستاذه ، وبه معجبًا إعجابًا يوشك أن يـبلغ الفتون »[2] . كما كان شانه شـأن الفعل حين تضاف الصفة إلى المصـدر مثل : « وسعى إلى مكان الامتـحان فى زاوية العميان خـائفًا أشد الخوف ، مضطرب الـنفس أشد الاضطراب » ومثل : « ثم يـندفع فى طريق ضيقة أشد الضيـق ، ملتوية أشد الالتواء ، قذرة أشـد القذارة » ومثل « وهى خاضعـة للرقابة البرلمانـية خضوع غيرها من مصالح الحكومة »[3] .

كما كـان شأن المشتق كـان شأن الفعل حين يـأتى مع « كل » مضـافة إلى المصـدر، مـثل قـوله : « ولكـنه عاجز كل العجـز أن يتذكر كيف استحالت الحال » ، وقوله : « قد استقر فيها هواء فـاسد كل الفساد » وقوله : « ولكنى مخلص كل الإخلاص ، صادق كل الصدق »[4] .

ومما كان يؤكد به أيضًا استخدامه للمصدر على النحو التالى :

---

(١) مستقبل الثقافة ٣٤٣ ، الأيام ٣/ ٥٣٥ .

(٢) الأيام ٣/ ٥٧٧ ، ٦٢١ .

(٣) الأيام ٢/ ٢٧٧ ، ١٦٣ ، ومستقبل الثقافة ٣٣٩ .

(٤) الأيام ١/ ١٩ ، ٢/ ١٦٣ ، مستقبل الثقافة ٣٥١ .

فعل + حرف عطف + فعل يدل على الوصف + مصدر الفعل الأول

وقد ورد هذا النمط فى (٥) مواضع من الأيام ، منها قوله : « يغطون فيسرفون فى الغطيط » وقوله : « يسخر فيسرف فى السخرية ، ويعبث بهم فيغلو فى العبث » وقوله : « رضى المجددون وأغرقوا فى الرضى ، وسخط المحافظون وأسرفوا فى السخط »(١) . فالفعل الثانى يدل على المبالغة والزيادة فى حدث الفعل الأول المتمثل فى المصدر .

وهكذا نجد أن المصدر فى جميع الحالات التى استعرضناها يتضمن معنى التأكيد ، سواء أكان المصدر مؤكِّدا أم مبينًا للنوع ، إذ المبين للنوع يشتمل على توكيد عامله ، ويوضح نوعه أو عدده أو هما معًا . فجدوى المصدر المعنوية ربما نتوقف على التوكيد وحده ، ولكنها لا تتوقف على بيان النوع بمفرده ، أو بيان العدد بمفرده ، أو بيان العدد بمفرده ، أو بيانهما معا ، إذ لا مفر من إفادة التوكيد فى كل حال من حالاته المختلفة .

- التوكيد بالقسم

كان القسم إحدى الوسائل التى استخدامها صاحب الأيام لدفع الشك ودرء التوهم من نفس قائله أو مستمعه ، وإدخال اليقين إلى عقله ، وإثبات الحدث المراد التحقق منه .

ولم يكن القسم شائعًا شيوع المصدر ، إذا ورد فى (١٥) موضعًا من الأيام، و (٢) موضعين من مستقبل الثقافة ، بأنماط متنوعة لإفادة دلالة القسم والتأكيد والتوثيق للمعنى المقصود فى تركيب الجملة . لقد جاء القسم صريحًا مصدرًا بالفعل المضارع الأصلى « أقسم » فى (٨) مواضع من الأيام ، وموضع واحد من مستقبل الثقافة ، ولم يكن متبوعًا فى كل حالة بالمُقْسَم به ، ولا بأداة

---

(١) الأيام ١٠١/١ ، ٢/ ٣٥٠ ، ٤٠٢/٣ .

القسم ، فمن المواضع التى صرح فيها بالفعل الدال على القسم صراحة ، قوله : « واقسمت لك أنه لم ينس ، وإنما خجل ، فكذبتنى وعبثت بلحيتى هذه ، وقد جئت اليوم لتمتحن ابنك امامى ، وانا أقسم لئن ظهر أنه لا يحفظ القرآن لأحلقن لحيتى هذه ، ولأصبحن مَعرَّة الفقهاء فى هذا البلد » ، وقوله على لسان والده : « وإنى أقسم لئن فعلت لامسكنَّك فى القرية ، ولأقطعتَّك عن الأزهر ، ولأجعلنَّك فقيهًا تقرأ القرآن فى المآتم والبيوت »[1] . من خلال هذه النصوص يتضح أن التوكيد قد وقع بما يأتى :

أ - استخدام الفعل الصريح الدال على القسم .

ب- استخدام الحرف الدال على التوكيد « أنَّ » مع ضمير المتكلم تارة ، وبدونها تارة أخرى .

جـ- استخدام اللفظ «« لئن » المركب من اللام التى تكون موطئة لجواب القسم وتوكيداً نيابة عنه فى ذلك ، حين تتقدم حرف الشرط الذى هو « إنْ » الخفيفة المكسورة ، وهذه اللام لا تلزم بل يجوز إثباتها وحذفها .

د - استخدام اللام فى جواب القسم سواء كان جملة اسمية أو فعلية تكون موجبة ، وإنما دخلت اللام فى جواب القسم ليتلقى بها مبالغة فى التوكيد ، إذ القسم توكيد المقسم عليه[2] .

هـ- استخدام الفعل الواقع فى جواب القسم فى المضارع مقرونًا باللام فى أوله والنون المشددة فى آخره ، وهذا المضارع إذا كان باللام والنون لزم أن يكون جوابًا للقسم ، لأن النون مخلصة لذلك ، وهى لأزمة لجواب القسم ، وتدخل اللام فى أول الفعل لتحقيق المحلوف عليه ، ولزمت

---

(١) الايام ١/ ٤٣ ، ٢/ ٣٠٦ .

(٢) المالقى - رصف المبانى ٢٣٩ .

النون فى آخر الفعل ليفصل بها بين فعل الحال والاستقبال ، فهى دليل الاستقبال »[1] .

كما استخدم الفعل الدال على القسم صراحة + أداة القسم الباء + المقسم به وهو لفظ الجلالة فى موضعين ، كقوله : « أقسم بالله ثلاثًا ما نسيه ولا أقرأنه ، وإنما استمعت له القرآن ، فتلا علىَّ كالماء الجارى ، لم يقف ولم يتردد »[2] وقوله : « أقسم بالله العظيم ثلاثًا ما أهملته يومًا »[2] . من خلال هذا الاستخدام يلاحظ ما يأتى :

أ - استخدامه لحرف القسم الأصلى الباء ، ومعها أى الباء يجوز حذف فعل القسم ، ويجوز اثباته ، كما يجوز أن يكون المحلوف به اسمًا ظاهرًا ، أو ضميرًا بارزًا ، وما ورد كان اسمًا ظاهرًا .

ب- استخدام الوصف للمقسم به من جانب ، ولفظ « ثلاثًا » النائب عن المفعول المطلق .

جـ- استخدام الروابط الدالة على النفى التى تربط جملة الجواب بجملة القسم ، وقيمة جملة الجواب كونها تتضمن المعنى الأساسى الذى لولاه ما كان القسم .

ومما استخدمه أيضًا للدلالة على القسم مع حذف الفعل الدال عليه وأداته والمقسم به ، واللام + أداة الشرط ، وهذه اللام هى الموطئة ، وقد سبقت الإشارة إليها ، وجاءت فى موضع واحد فى قوله : « لئن خلَّيتَ بينه وبين المنبر والصلاة لأنصرفنَّ »[3] . وهذه اللام توحى بأن الجواب بعدها مبنى على قسم قبلها لا على الشرط .

---

(١) الزجاجى - اللامات ١١٤ .

(٢) الايام ١/ ٤٤ ، ٦٦ .

(٣) الايام ١/ ٨١ .

وشبيه بهذا استخدامه للفعل المضارع المبدوء باللام المفتوحة والمختوم بنون التوكيد ، وهذا التركيب واحد من الدلائل المرشدة إلى جملة قسمية ، ولم ترد إلا مرة واحدة فى قوله : « قال سيدنا : فَتُقْسِم لتتلونَّ على العريف ستة أجزاء من القرآن »[1] . فنون التوكيد إذا اقترنت بالجواب قد تغنى عن القسم .

ومثله كذلك حذف الفعل الدال على القسم واستخدام أداة القسم والمُقْسَم به فى موضعين ، منهما قوله : « وتصايح الطلاب من جوانب المسجد الحسينى بالشيخ أن حسبك ، فقد نفد القول ، فأجابهم الشيخ فى غنائه الظريف : لا والله لا نقوم حتى يقتنع هذا المجنون »[2] والرابط هنا أداة النفى « لا » .

وثمة ألفاظ أخرى تسمى ألفاظ القسم غير الصريح لا يعرف السامع أن الناطق ، بها حالف بدون قرينة[3] ، وهذه الألفاظ منها ما هو فى مجال الفعل ، ومنها ما هو فى مجال الاسم ، فمن ألفاظ القسم غير الصريح فى مجال الفعل ما استخدمه طه حسين الفعل « شهد » فى موضعين بصيغة الفعل الماضى ، فى قوله : «وشهد الله ما عرض له النسيان قط »[4] وقوله : « وشهد الله لقد عرض هذا الوصف فملك قلوب الذين استمعوا له ، وملأ نفوسهم رضا عنه ، وإعجابًا به »[4] .

وهذه الأفعال تعرب إعراب سائر الأفعال ، فلا تشذ عنها ، قال سيبويه : « مثل ذلك : يعلم الله لأفعلنَّ ، فإعرابه بمنزلة ، يرحمك الله ، وفيه معنى الدعاء ، وبمنزلة : اتقى الله امرؤ وعمل خيراً ، إعرابه إعراب : فَعَل ومعناه معنى : لِيَفْعَل وليَعْمَل »[5] .

---

(١) الأيام ١/ ٤٦ .

(٢) الأيام ٢/ ٣٣٨ .

(٣) راجع : عباس حسن - النحو الوافى ٢/ ٣٨٢ .

(٤) الأيام ٣/ ٥٥١ ، ٦٦٤ .

(٥) سيبويه - الكتاب ٢/ ١٧ .

ومن ألفاظ القسم غير الصريح فى مجال الاسم ما استخدمه طه حسين ، فى قوله : «ولعمرى إنى لا أتخيل داعيًا يدعونا .... »[1] وقوله : « ولعمرى لئن فَعَلَتْ ذلك - يقصد الجامعة - فليس بضائر لها »[1] . وهذا اللفظ يعرب مبتدأ إذا اقترن بلام الابتداء ، وخبره محذوف وجوبًا ، تقديره : قسمى أو ما أقسم به ، وتنصب إذا جردت منها باعتبارها مفعولاً مطلقًا ، ومفعولاً به لفعل محذوف، أو بنزع الخافض انسجامًا مع الرأى الذى يقضى بانتصاب المقسم به ، بنزع الخافض إذا حذفت أداة القسم . «وقد لزمت اللام فى «العمر الله » دلالة على القسم ولزم الابتداء فيه ، إذ لا يخرج عنها ، فإن أزيل عنها حذفت اللام وفتحت عينه، وضمت ،ولشدة اتصالها بها ، جعلها بعضهم كجزء منها .... فكما تدل فى الجواب على القسم كذلك تدل فى القسم على الجواب ، وإذا تأملت هذه اللام فهى لام الابتداء حينًا ، ولام التوطئة حينا آخر »[2] .

وهكذا لعب القسم بجميع صوره دورًا فى تركيب الجملة لدى صاحب الأيام ، وقد لوحظ أنه أجرى معظمه على لسان شيوخه وأساتذته فى مراحل حياته المختلفة ، ولا يعنى هذا أنه أعفى نفسه من إجراء القسم على لسانه ، فقد أورده فى موضعين مصدرًا بكلمة « لعمرى » . وهو قسم غير صريح فى مجال الاسم ، كما أشرنا إلى ذلك منذ قليل .

- التوكيد بحروف المعانى

لاشك أن حروف المعانى تؤدى وظائف هامة فى إطار البناء اللغوى ، فلا يستطيع المرء استخدام اللغة أو إقامة تركيب لغوى - باستثناء بعض الحالات فى الجملة الاسمية أو الفعلية - دون الاستعانة بحرف من حروف المعانى - التى

(١) مستقبل الثقافة ٤٧ ، الأيام ٣/ ٥١ وانظر ٦٦٤ من الجزء نفسه .

(٢) المالقى - رصف المبانى ٢٤٠ .

تتعدد دلالتها بتغير موقعها فى السياق . وليست هذه الحروف نوعًا واحدًا ، فمنها ما يختص بالاسم ، ومنها ما يختص بالفعل ، ومنها ما يدخل على الاسم والفعل والحرف ، أى غير مختص بنوع معين .

لقد أكثر صاحب الأيام من استخدام حروف المعانى بشكل ملحوظ ، لإضفاء دلالة التوكيد على معنى الجملة ، فالجملة عنده مؤكدة فى دلالتها بأكثر من وسيلة لغوية ، وأبرز هذه الوسائل حروف المعانى ، فربما يجتمع فى الجملة الواحدة أداتان أو ثلاث أو أكثر على نحو ما سنرى .

فمن الحروف المختصة بالاسم ، ما عرفت عند النحاة بالأحرف المشبهة بالفعل ، وهى التى تعرف بـ « إنَّ » وأخواتها . وهذه الأحرف تختلف فى دلالتها والمعانى التى تأتى، وإن كانت موحَّدة فى الوظيفة النحوية التى تؤديها ، فـ « إنَّ » تؤكد معنى الجملة ، والتوكيد تقوية الثابت لا تغيير المعنى ، وكذلك أنَّ المفتوحة ، ولكونها مع جزئيها فى تأويل المفرد لكونها مصدرية وجب وقوعها مواقع المفردات كالفاعل والمفعول وخبر المبتدأ والمضاف إليه .

لقد كثر استخدام « إنَّ » و « أنَّ » فيما تتبعناه من مؤلفات صاحب الأيام كثرة لا نستطيع معها تتبع أو رصد كل جملة ورد فيها ، هذان الحرفان أو غيرهما من الحروف التى تشيع شيوعًا ملحوظًا يكاد أن يكون فى كل جملة . ومما تجدر الإشارة إليه أن استخدام هذين الحرفين للتوكيد لم يكن كافيًا ، بل كان يدخل مع « إنَّ » حرفًا آخر للمزيد من التوكيد ، وهو « لام الابتداء » التى تدخل على خبر « إنَّ » ، ولا تجتمع معها على المبتدأ ، لكون «إنَّ» للتوكيد ، واللام تفيد التوكيد ، وقد كره أن يجتمع مؤكدان على مؤكَّد واحد ، فأخرت اللام للخبر ، وقد وردت لام الابتداء مقترنة بخبر إنَّ (٥٥) مرة ، جاءت (٣٠) مرة فى الأيام ، (٢٥) مرة فى مستقبل الثقافة ، ولوحظ أنها اقترنت بالخبر المفرد ، مثل قوله : « إن ابنك لشديد الحاجة إلى

تجويد القرآن »[1] . واقترنت بالخبر الجملة التى فعلها مضارع ، مثل : « وإنه ليمد سمعه مدا يكاد يخترق به الحائط »[2] ومثل : وانى لأعرف هذا الرجل الصالح الكريم ، وإنى لأعرف قومًا كرامًا صالحين »[3] . ويلاحظ أن اقتران الفعل المضارع بلام الابتداء مع خبر إنَّ أكثر الأحوال ورودًا (٢٩) مرة (١٧) فى الأيام ، (١٢) فى مستقبل الثقافة . وربما يرجع ذلك إلى دلالة الفعل على الحال التى يصفها ، فهى لا تدخل على الماضى إلا إذا اقترن بـ « قد » التى تقرب دلالة الماضى من الحال . ومما اقترنت به اللام أيضًا خبر إنَّ شبه الجملة المكون من الجار والمجرور مثل قوله : « وإنه لمن المحرج أن نضطر إلى تقرير الأوليات »[4] وقوله : « وإنه لفى ذلك ، وإذا بابه يُطرق ، وقد كان الليل يبلغ ثلثيه »[4] . كما اقترنت اللام أيضًا باسم « إنَّ » الذى تقدم عليه الخبر شبه الجملة ، مثل قوله : «وإن فى نفسه لحسرات»[5] ، وهذه الحالة قليلة الشيوع فى الاستخدام .

- لام التوطئه

ومن أنواع اللام التى استخدامها صاحب الأيام « اللام الموطئه » وقد سبقت الإشارة إليها خلال الحديث عن القسم .

- لام الجواب

أما لام الجواب فقد وردت فى مواضع متعددة ، مثل التى جاءت فى جواب القسم غير الصريح ، إذ لم يستخدم اللام فى جواب قسم صريح ، وإنما استخدم «ما » أو « لا » النافيتين . وما ورد فى جواب القسم غير الصريح قوله : « لئن خلَّيتَ بينه وبين المنبر والصلاة لأنصرفنَّ »[6] .

---

(١) الأيام ١/١١١ .

(٢) الأيام ١/ ١٠ .

(٣) مستقبل الثقافة ٦٨ .

(٤) مستقبل الثقافة ٢٨٠ ، الأيام ٣/ ٥٣٩ .

(٤) الأيام ١/ ١٠ .

(٦) الأيام ١/ ٨١ وانظر ٢/ ٣٠٦ ، ٣/ ٤٧٧ من المرجع نفسه .

ومن لام الجواب أيضًا ما ورد في جواب «لو» الشرطية ، وقد ورد في (١٧) موضعًا ، جاءت في (٩) مواضع من الأيام و(٨) مواضع من مستقبل الثقافة ، من ذلك قوله : « ولو قد أرسل نفسه مع طبيعتها لبكى ولأبكى من حوله ، اباه واخويه »[١] وقوله « لو قال قائل هذا الكلام للقيه المصريون جميعًا بالضحك والسخرية والاستهزاء ، ولكان المحافظون وأنصار القديم أشد الناس التواء »[١] .

ومنها أيضًا ما جاءت في جواب « لولا » التي وردت في (٣) مواضع من مستقبل الثقافة ، و (٤) مواضع من الأيام ، من ذلك قوله : « ولولا أني خرجت اليوم من الكتاب قبل انصراف الصبيان لما رجع حافيًا » وقوله « ولولا أن رفيقه كان ماهرًا لبقًا لتعرض لشر كثير »[٢] . وجاءت اللام في جواب «لولا» مقرونًا بـ « قد » المتبوعة بالفعل الماضي للدلالة على التثبت والتيقن من حدوث الشئ ، في قوله : « ولولا أني أكره تأثيم المسلمين ، ولا استحل لنفسي ما يستحله قوم لأنفسهم من الحكم على المسلم بالكفر والفسوق ، لقد كنت أستطيع ان اخذهم بحجتهم وأورطهم فيما يورطون الناس فيه »[٣] فالجملة كما نرى مؤكدة بأكثر من حرف من حروف المعاني .

- قد

ومن حروف المعاني التي أكد بها طه حسين « قد » ، إذ استخدمها مقرونة بالفعل الماضي في (٧٧) موضعًا من الأيام ، و (٣٧) موضعًا من مستقبل الثقافة . ولوحظ في كتاب الأيام أن الفعل الناسخ « كان » أكثر الأفعال الماضية اقترانًا بهذا الحرف ، على حين تنوعت الأفعال الأخرى التي تقترن به فيما بقي

(١) الأيام ١/ ١٣٩ ومستقبل الثقافة ٥٦ .
(٢) الأيام ١/ ٦١ .
(٣) مستقبل الثقافة ٣٠٢ .

من أفعال فى الأيام والكتاب الثانى ، من ذلك قوله : « فقد كانت حاجته اليه شديدة »[1] وقوله : « كان قد ألفها »[1] وقوله : « قد صحت عزيمته عليه ، وقد تهيأت له أسبابه »[1] وقوله : « قد عرضنا للأزهر أثناء هذا الحديث غير مرة »[1] ، وقوله : « وقد وقع هذا الحديث من المؤتمرين موقعًا حسنًا »[1] .

- نون التوكيد

لهذه النون صورتان ، ثقيلة أو مشددة وخفيفة ، وهما من حروف المعانى ، يؤتى بهما لتأكيد الفعل المضارع، والثقيلة أقوى دلالة على التوكيد من الخفيفة . وهذه النون بحالتها تخلص الفعل للمستقبل وتجعله مبنيًا بعد أن كان معربا ، وقد سبقت الإشارة إليها فى موضع سابق من البحث .

وقد جاءت نون التوكيد عند طه حسين فى (١٢) موضعًا من الأيام ، ولم نجد لها صورة فى الكتاب الثانى . والنون التى جاءت فى الأيام ثقيلة متصلة بالفعل المضارع الذى دخلت عليه اللام التى تنوعت بين لام القسم واللام الدالة على الطلب ، أى تنوع الفعل المضارع بين وجوب التوكيد مع القسم ، وجواز التوكيد مع الطلب ، وتمثل للأولى بقوله : « قال سيدنا : فتقسم لتتلونَّ على العريف ستة أجزاء من القرآن فى كل يوم من أيام العمل ، ولتكوننَّ هذه التلاوة أول ما تأتى به حين تصل إلى الكتَّاب . وقوله « ودعا سيدنا العريف فأخذ عليه عهدًا مثله ، لَيَسْمَعَنَّ للصبى فى كل يوم ستة أجزاء من القرآن »[2] . ويدخل هذا فى إطار القسم غير الصريح .

ونمثل للثانية بقوله : « قدَّر الصبى فى نفسه أن أخاه مدين لله بالصوم والصلاة ثلاثة أعوام كاملة ، وفرض الصبى على نفسه لَيُصَلِّيَنَّ الخمس فى كل يوم مرتين : مرة لنفسه ومرة لأخيه ، ولَيَصُومَنَّ مِنْ السنة شهرين : شهرًا

(١) الأيام ١/١٦ ، ٢٥ ، ٣/٤٧٣ ومستقبل ٤٣٦ ، ٤٨٨ .

(٢) الأيام ١/٤٦ .

لنفسه وشهرًا لأخيه ، وليكتُمنً ذلك عن أهله ، ولَيَجْعَلَنً ذلك عهدًا بينه وبين الله خاصة ، ولَيُطْعَنمِنً فقيـرًا أو يتيمًا مما تصل إليه يده من طعـام أو فاكهة قبل أن يأخذ : بحـظه منه »[1] . ويلاحظ مـن خلال ما أوردناه وما لـم نورده من المواضع أن توكـيد الأفعال المضارعة بـالنون يتعلـق الحدث فيها بذاته هـو تعلقًا مباشـرًا ، مما يوحى بحـرصه الشديد علـى تثبيت دلالـة الفعل الصـادر منه أو الواقع عليه .

- التوكيد بالأحرف الخفيفة

يقصد بالأحرف الخفيفة مجموعة الأحرف المكونة من : إنْ ، أنْ ، كأنْ ، لكنْ ، وهى مخففة من : إنَّ ، أنَّ ، كأنَّ ، لكنَّ ، وقد انحصر التخفيف فى النون ، إذ صارت ساكنة بعد أن كانت مشددة ، وقد ترتبت على هذا التخفيف أمور نوجزها فيمايلى :

أ - من حيث اللفظ فقد صارت النون ساكنة بعد أن كانت مشددة .

ب- من حيث الدلالة فقد ظل كل حرف على دلالته التى كان لها قبل التخفيف .

جـ- من حـيث العمل الـنحوى فكل هـذه الأحرف إلا « أنْ » فقدت الوظـيفة النحوية التى كـانت تؤديها ، فلم تعد تنصب ما كـان اسمًا لها أو ترفع ما كان خبرًا . وقد ظلت « أنْ » على حالهـا من نصب ما كان مبتدأ ، ورفع ما كان خبرًا .

د - من حيث التركيـب فقد طرأ تغيير على الجملة الـواقعة بعد هذه الأحرف ، فكلها باستثناء «أنْ» صار الواقع بعـدها مبتدأ وخبرًا ، كما كان قبل دخول الأحرف التـى لم تخفف . أمـا « أنْ» فقد صار اسمـها ضميرًا ، يـسمى بضمير الشأن وهو دائمًا محذوف ، وخـبرها لا يكون إلا جملة اسمية أو فعلية، والفعلية قد يكون فعلها جامدًا غير متصرف، وقد يكون متصرفًا ،

(1) الأيام ١/ ١٣٢ .

وحين يكون جملة اسمية أو فعلية فعلها جامد غير متصرف لا تحتاج إلى فاصل . مثل : السين ، سوف ، قد ، لو ، لن ، لا ، وهو ما تحتاجه أن إذا أعقبتها جملة فعليه فعلها متصرف على نحو ما سنرى .

جاءت الأحرف المخففة في (٢٨) موضعًا ، ممثلة في «إنْ» ، وأنْ ، كأنْ ولم تكن هذه الأحرف بدرجة واحدة من حيث ورودها واستخدامها ، فأكثرها ورودًا في الاستخدام الحرف « أنْ» ، إذ ورد في (٢٨) موضعًا ، جاء في (٢٦) موضعًا من الأيام ، وفي (٢) موضعين من مستقبل الثقافة ، وجاء كل من « إنْ » و « كأنْ » مخففًا في موضعين من الأيام .

جاءت « أنْ » المخففة من أنَّ في المواضع التي سبق ذكرها متبوعة بخبر جملة فعلية ، فلم ترد متبوعة بخبر جملة اسمية . وقد تنوعت الأفعال بين التصرف والجمود ، وكانت الأفعال المتصرفة أكثر من الجامدة ، إذ بلغ مجموعها (١٩) موضعًا ، وكان مجموع الجامدة (٨) مواضع ، ولم تخرج عن الفعل ليس في كل المواضع التي وردت فيها . واسم « أنْ » في كل ما وردت - مع الجامد والمتصرف من الأفعال - ضمير الشأن محذوف . ولم يفصل بين « أنْ » و « ليس » فاصل لكونه جامدًا ، قال طه حسين : « وكان يظن أنْ ليس فوق علم الأستاذ علم »[1] وقال : « وحدثته نفسه بأن ليس من الزواج بُدٌّ »[1] ، وقال : « واستيقنا أن ليس بيننا وبين الأوربيين فرق في الجوهر ولا في الطبع ولا في المزاج »[1] .

وقد تنوع الفاصل الواقع بعد « أنْ » لكون الخبر جملة فعلية فعلها متصرف ، تنوع بين : قد، السين ، لو، وكان أكثر الفواصل ورودًا هو «قد» ، إذ جاء في (١٠) مواضع ، منها (٨) مواضع في الأيام ، و (٢) موضعان في

---

(١) الأيام ٣/ ٤٥٧ ، ٤٩١ ومستقبل الثقافة ٧٢ .

مستقبل الثقافة ، من ذلك قوله : « عرف أنْ قد بزغ الفجر ، وأنْ قد هبطت العفاريت إلى مستقر من الأرض السفلى »[1] ، وقوله : « وإذا هو ينبئهما بأنْ قد آن لهما أن يسافرا »[1] ، وقوله : « أزعم أنْ قد آن الوقت الذى يجب فيه أن نؤمن بأن العلوم اللسانية كغيرها من العلوم »[1] .

وتلى « قد » من الفواصل « السين » ، إذ وردت فى (٤) مواضع من الأيام ، من ذلك قوله : « فلم لا يبتهج الصبى حين يرى أنْ سيقرأ من العلم ما قرأ أخوه ، وأنْ سيمتاز من رفاقه وأترابه »[2] وقوله : « ولم يكن يُقَدِّر أنْ سيشارك فى السياسة من قرب أو بعد »[2] .

وآخر هذه الفواصل « لو » ، وقد جاءت فى موضع واحد من الأيام فى قوله : « ويقدر أنْ لو كان معه فى الغرفة بعض المبصرين لأضيئ المصباح ليطرد هذه الظلمة المتكائفة »[3] ولم نجد فواصل مثل « لا » و « لن » و «سوف» .

ومن الحروف المخففة « إنْ » المخففة من « إنَّ » ، وهذه لا يليها - إذا خففت - من الأفعال إلا الأفعال الناسخة للابتداء ، مثل كان وأخواتها ، وظن وأخواتها ، ولزمتها لام تفرق بينها وبين « إنْ » العاملة عمل ليس ، وقد جاءت فى موضعين من الأيام فى قوله : « إنْ كان فى ذلك الوقت لصبى جدٍّ وعمل »[3] وقوله : « وويل للأزهريين من خبز الأزهر ، إنْ كانوا ليجدون فيه ضروبًا من القش وألوانًا من الحصى وفنونًا من الحشرات »[4] . فما أعقبها سوى الناسخ « كان » واقترن خبر الناسخ باللام الفارقة تمييزًا لـ « إنْ » المخففة من « إنْ » النافية العاملة عمل ليس التى لا يقترن خبرها بشئ .

---

(١) الأيام ١/ ١٠ ، ٣/ ٣٥٥ ومستقبل الثقافة ٣٦٢ .
(٢) الأيام ١/ ٧١ ، ٣/ ٦٧٩ .
(٣) الأيام ٢/ ١٩٧ .
(٤) الأيام ١/ ١٤٤ ، ١٤٦ .

وآخر الحروف المخـففة « كأنْ » المخفـفة من « كأنَّ » ، وهذه إذا خـففت نوى اسمها ، وأخبر عنها بجملة اسمية ، أو فعلية مصدرة بـ « لم » أو مصدرة بـ « قد » . وجاءت « كأنْ » المخففة فى موضعين من الأيام ، فى قوله : « إن ذاكرة الإنسان غريبة حين تحاول استعراض حوادث الطفولة ، فهى تتمثل بعض هذه الحوادث واضحًا جليًا كأنْ لم يمض بينهـا وبينه من الوقت شئ ، ثم يمحى منها بعضـها الآخر كأن لم يكن بينهـا وبينه عهد »[1] فهى تماثـل أنْ فى إضمار اسمها ، وكون خبرها جملة اسمية أو فعلية ، والفاصل الذى يفصل بينها وبين الجملة الفعلية . ومن المعروف أن « كأنْ » قبـل تخفيفها قد تفيد القرب ، وقد تفيد التشبيـه ، وقد تفيد الشك والظن ، والتوكيد يتـعلق بالحرفين إنْ وأنْ فى خفتهما وثقلهما .

ومما تجدر الإشارة إليها فى ختام هذه الدراسة وجود عدد من الأحرف التى تضيف دلالة التوكيد إلى ما ترد فـيه من تراكيب ، وهذه المجموعة من الأحرف تعرف بالأحرف الزائدة التى يعد ورودهـا زائدة أمرًا عارضًا لا أصليا ، وسميت زائدة لكونها لا تضيـف معنى جديدًا إلى المعنى العام للتـركيب الذى ترد فيه ، ولكنها تعمل على تأكيد المعنى وتقويته .

وأحـرف الزيـادة هـى : الباء ، من ، إنْ وأنْ ، مـا ، ولا عن ، على ، فى ، الكـاف ، اللام ، وهذه الأحرف لـها وظائفهـا النحويـة بجانب المـعانى الدلالية التى ترد فيها والحديث عنها مفصل فى كتب الحروف . ولكونها لا تزاد دائمًا بل فى أحوال خـاصة واستخدامات تكاد تكـون معينة ، فلم نعـول عليها كثيرًا فى هذه الدراسة .

---

(1) ١٨/١ .

الخاتمة

من خلال متابعة دلالة التوكيد فى مؤلفين من مؤلفات طه حسين يمكن أن نسجل النتائج الآتية :

- التوكيد معنى من المعانى الكامنة فى النفس ، إذ يقع فى الإثبات والنفى ، والحقيقة والمجاز ، وهو يمثل ظاهرة شائعة لدى البشر ، فالكل حريص على تثبيت القول أو الفعل وتوكيده .

- علاقة التوكيد بأفعال الشخص وسلوكه قائمة ودائمة ، واستخدام وسيلة أو أكثر استجابة لمعان نفسية واجتماعية ، وهذه المعانى قد تدفع إلى تغليب وسيلة على أخرى ، أو إعادتها إعادة تلفت النظر ، وتثير الانتباه . فوسائل التوكيد رسائل ثقة وتطمين يبثها صاحبها فى ثنايا حديثه إلى الآخرين ليكونوا على يقين مما يقع من أقوال وأفعال .

- إذا كانت وسائل التوكيد تختلف باختلاف مستخدمها ، فإنها تتنوع حسب المتلقى ، فالتوكيد أولاً وأخيراً يعتمد على وحدات لغوية ، وليس مجرد ثرثرة تافهه لإضاعة الوقت ، بل هو نوع من اتخاذ المواقف الرسمية إزاء المشكلات التى لا تنتهى .

- التوكيد يعكس السمات والخصائص الاجتماعية للمتحدث أو المخاطب والعلاقة بينهما . وهو يمثل وجهًا من وجوه الاحتياط والتمكين للمعنى . ووقوعه فى اللغة العربية دليل قوى على شياع المجاز فيها ، ودليل قوى على اهتمام العرب به ، لكونه مما لا يضاع ولا يهمل مثله ، مما جعلهم يفردون له بابًا خاصًا لعنايتهم به .

- ثمة عدد من العناصر الصوتية تؤدى عددًا من المعانى من بينها التوكيد ، من هذه العناصر الطول فى الصوت الذى يستعمل كوسيلة

من وسائل التعبير التوكيدية أو الانفعالية لتأكيد مقطع من المقاطع ، ويعد الطول فى الصوت عنصراً فعالاً ، له دور وظيفى فى العربية ، وقد أشار ابن جنى إلى أنَّ إطالة الصوت لتمكين الحرف ، وتطاولاً إلى إطالته ، وأن مطل الصوت ، ومده وتراخيه والإبعاد فيه لمعنى الحادث .

- من العناصر الصوتية التى يستدل بها على التوكيد أيضًا النبر الذى يعرف بالنبر التوكيدى ، وهو يعتمد على تنوعات شدة الصوت ، أو بمعنى آخر أدق علو الصوت ، فالقضية قضية إدراك وحس .

- ومنها أيضًا التنغيم ، وهو وثيق الصلة بالنبر ، فلا يحدث تنغيم دون نبر للمقطع ، والتنغيم ظاهرة فسيولوجية لا يمكن كبتها فى كلام طبيعى ، يتسرب إلى نظام التسمية ، حيث أصبح مطية وضعيات مختلفة منها : التأكيد والاستفهام والنداء ، وأخذ يحل محل حروف المعانى الأصلية المفيدة لها . فصرنا نقول : فلان ! بدل أن نقول يا فلان ، وفهمت ؟ بدل أفهمت ؟

- لا يشكل المؤكَّد عنصراً وظيفيًا نحويًا أساسيًا فى الجملة العربية ؛ لكونه من الثوانى ، أى تابعًا لغيره ، وألفاظه ليست مستقلة مستغنية عما تقدم عليها ، فهو لا ينزل منزلة المبتدأ والخبر فى التركيب الأسمى ، ولا ينزل منزلة الفعل والفاعل فى التركيب الفعلى .

- تبين أن دلالة التوكيد لا تقف عند حدود ما أورده النحاة فى باب التوابع ، أو ما يعرف بالتوكيد النحوى أو الاصطلاحى ، بل تتعدى هذا الباب إلى أبواب متعددة وموضوعات مختلفة ، لها دلالتها المتنوعة ، وإنما يقع التوكيد فيها لتثبيت المعنى الذى جاء له .

- كما لا تتوقف دلالة التوكيد عند حد التركيب أو الجملة كاملة ، بل إن هناك من الألفاظ وحروف المعانى ما يؤدى دلالة التوكيد أيضًا .

- تأتى أهمية دراسة التوكيد عند طه حسين من ناحية أنها تمثل جانبًا من جوانب الاستخدام اللغوى لديه .

- التوكيد بكل صوره وأحواله يشكل موضوعًا بارزًا فى كتابات طه حسين ، إذ يعد عنصرًا فاعلاً شائعًا فى استخداماته اللغوية ، فالجملة عنده مؤكدة - فى أكثر أحوالها - بأكثر من وسيلة تأكيدية . ويلاحظ أن وسائل التوكيد لديه لم تتخذ شكلاً واحدًا ، ولا نمطًا ثابتًا ، ولم تقتصر على ما أورده النحاة فى باب التوابع ، بل تعدى الشكل الواحد إلى أشكال متعددة ، فهناك ما أسميناه بالتوكيد النحوى ، وما أسميناه بالتوكيد اللغوى ، فقد استفاد من كل الوسائل التى يسرتها اللغة .

- لا يشيع التوكيد اللفظى عند طه حسين فى الاستخدام اللغوى ، إذا استعمله على نحو محدود ، فلم تؤكد الأسماء الظاهرة ولا الأفعال ولا الحروف ،كما لم تؤكد الجملة بنوعيها ، ولا شبه الجملة بنوعيها ، ولا الحروف ، وما وجدنا مؤكدًا انحصر فى ضمير الغائب المفرد المنفصل المذكر والمؤنث ، والضمير المتصل الدال على المخاطب . وما ورد من ألفاظ مكررة دالة على الترتيب العددى أو التدريجى كان قليلاً فى شيوعه .

- أما التوكيد المعنوى فقد شاع فى استخدامه ، وانحصر فى ثلاثة ألفاظ ، وهى : نفس ، عين ، كل . ولوحظ أنه اكتفى بألفاظ التوكيد المعنوى الأساسية التى أشرنا إليها ، وكثر توكيد المفرد ، وقل توكيد الجمع ، ولم يأت مؤكدًا إلا المعرفة ، ولم يقع لنا خلال استقصاء هذا الجانب أى

لفظ ، مثل : أكتع وابصع وما يماثلهما من الألفاظ التى أهملت ، ولم يعد لها استخدام فى كتابات المعاصرين . وعموما لا يشكل ما يسمى بالتوكيد النحوى الاصطلاحى ظاهرة ذات شيوع ملحوظ أو لافت للنظر ، مثلما يوجد فى غيره .

- من وسائل التوكيد التى شاعت فى الاستخدام « حسب » إذ ورد هذا الاسم (٥٤) مرة ، وقد تنوع استعماله بين الاقتران بالفاء وعدم الاقتران بها ، وكان اقترانه بها أكثر (٤١) مرة ، من عدم الاقتران (١٣) مرة ، وتسبغ « حسب » التأكيد على الجملة إذا دخلت عليها الفاء الزائدة لتزيين اللفظ .

- أما « غير » فقد جاءت بصورتين ، إحداهما : نكرة متبوعة بنكرة أخرى ، وهى هنا تفيد الوصف لا الاستثناء ، وما وقع بعدها توزع بين الظرف والوصف كالمصدر والمشتق . وكان استخدامه لغير خاليًا من النفى الفعلى أو الحرفى ، يفوق استخدامه لها مسبوقة بالنفى ، إذ بلغ مجموع الأولى (٢٦) مرة ، والثانية (٦) مرات ، وكان النفى بالفعل الناسخ « ليس » .

- وأما « قط » فقد بلغ مجموع استخدامها (٦٦) مرة ، وقد جاء استخدامها للدلالة على الماضى فى اللفظ والمعنى (٣) مرات ، وللدلالة على الماضى فى المعنى دون اللفظ (٥٩) مرة وفى الحالتين جاءت مسبوقة بنفى حرفى ، وكانت (ما) نافية فى الماضى لفظًا ومعنى ، و(لم) نافية للمعنى فقط .

- وكان اللفظ « أبدًا » اقل الألفاظ المستخدمة غنده ، إذ لم ترد إلا مرة واحدة ، وهى لتأكيد النفى فى المستقبل .

- يمثل تركيب لاسيما استخدامًا قليلاً ، إذ ورد (١١) مرة ، وكانت فى كل

أحوالها للتوكيد والتخصيص والتفضيل لما وقع بعدها ، وليس بصحيح أنها تفيد الاستثناء كما ذهب البعض .

- ويمثل التوكيد بالمصدر أكثر الوسائل شيوعًا (٤٩٧) مرة ، وربما يعود ذلك إلى دلالته على الحدث ، وحياة المرء كلها أحداث . وقد جاء من حيث العامل موزعًا بين الفعل والوصف أو الصفة التى تجرى مجرى الفعل ، ورد الأول فى (٤٢٠) موضعًا من الكتابين ، وورد الثانى فى (٧٧) موضعًا ، وفى جميع الأحوال يتضمن معنى التوكيد .

- كان القسم وسيلة للتأكيد كذلك ، ولم يكن شائعًا شيوع المصدر (١٧) مرة فى الكتابين ، وكان وروده موزعًا بين استخدام الفعل الصريح الدال على القسم ، والحرف الدال على التوكيد (إنَّ) ، واللفظ « لئن » واللام فى جواب القسم ، واستخدام الفعل الواقع فى جواب القسم فى المضارع مقرونًا باللام فى أوله والنون المشددة فى آخره . كما كان أحيانًا يحذف الفعل الدال على القسم ويستخدم أداة القسم والمُقْسَم به . كما تنوعت ألفاظ القسم بين الألفاظ المباشرة وغير المباشرة . وقد أجرى القسم فى أغلب مواضعه على لسان شيوخه وأساتذته ، ولا يعنى هذا أنه أعفى نفسه من إجراء القسم على لسانه ، إذ أورده فى موضعين مصدرًا بكلمة « العمرى » وهو قسم غير صريح فى مجال الاسم .

- وأخيرًا تنوع التوكيد بحروف المعانى بين استخدام « إنَّ » و « أنَّ » ، وهما أكثر الحروف استخدامًا ، واللام الموطئة ، ولام الجواب بأحوالها الثلاثة لام جواب القسم الصريح ، لام جواب « لو » الشرطية ، وجواب لولا) كما استخدم « قد » باللام وغيرها ، ونون التوكيد الثقيلة ، كما استخدم الأحرف الخفيفة ، مثل : « إنْ » المخففة من « إنَّ » و « أنْ » المخففة من أنَّ ، وكأنْ ، ولكنْ .

المصادر والمراجع

أولاً: من مؤلفات الدكتور طه حسين

- الأيام - دار الكتاب اللبنانى - بيروت - ط١ / ١٩٧٣ .
- مستقبل الثقافة - دار الكتاب اللبنانى - بيروت - ط١ / ١٩٧٣

ثانياً: المصادر والمراجع العامة[1]

- أندرى رومان
  - فى تطور اللغة العربية - بحث منشور بمجلة اللسانيات الصادرة عن مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية بالجامعة التونسية بمناسبة الملتقى الدولى الثالث فى اللسانيات - عدد رقم ٦/١٩٨٦ - من ص ١٠٧ - ١٢٣
- ابن الأنبارى (كمال الدين أبى البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبى سعيد)
  - الإنصاف فى مسائل الخلاف - بعناية محمد محيى الدين عبد الحميد - المكتبة العصرية بيروت - لبنان - ١٩٨٧
- د. تمام حسان
  - مناهج البحث فى اللغة - الأنجلو المصرية - القاهرة - ١٩٥٥)
- ابن جنى (أبو الفتح عثمان ٣٩٢ هـ)
  - الخصائص - تحقيق محمد على النجار - عالم الكتب - بيروت - لبنان - ط٣ / ١٩٨٣ .

(١) أثبتنا هنا ما اعتمد عليه البحث بصفة أساسية فى نقل النصوص ، وتركنا الباقى اكتفاء بما أوردناه فى الهوامش كل فى موضعه من صفحات البحث .

- اللمع فى العربية - تحقيق حامد المؤمن - عالم الكتب - بيروت - لبنان - ط٢ / ١٩٨٥ .

- ابن الحاجب (جمال الدين أبو عمرو عثمان عمر ٥٧٠ - ٦٤٦ هـ)

- الإيضاح على شرح المفصل - تحقيق : موسى بناى العليلى - مطبعة العانى - بغداد ١٩٨٢ .

- الحيدرة (على بن سليمان الحيدرة اليمنى ت ٥٩٩ هـ)

- كشف المشكل - تحقيق د. هادى عطية مطر ط ١/ ١٩٨٤ - الكتاب ٥٧ - مطبوعات وزارة الأوقاف - بغداد .

- أبو حيان (محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان الغرناطى ٦٥٤ - ٧٤٥هـ)

- ارتشاف الضَّرَب - الخانجى بمصر - تحقيق : مصطفى أحمد النماس جـ١/ ط١/ ١٩٨٤ ، جـ٢ / ط١/ ١٩٨٧ ، جـ٣/ ط١/ ١٩٨٩ .

- الرضى (رضى الدين محمد بن الحسن الاستراباذى نت ٦٨٦ هـ)

- شرح الكافية - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ١٩٨٥ .

- الزبيدى (محمد مرتضى الزبيدى - ١٢٠٥ هـ)

- تاج العروس - دار ليبيا للنشر والتوزيع - بنغازى (د.ت)

- الزجاجى (أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق ٣٣٧هـ)

- اللامات - تحقيق د. مازن المبارك - مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق - ١٩٦٩ .

- الزمخشرى (جار الله محمود بن عمر الزمخشرى ٥٣٨هـ)

- المفصل - دار الجيل - بيروت - لبنان - ط٢ (د. ت)

- ابن السراج (أبو بكر محمد بن سهل بن السراج ٣١٦هـ)

- الأصول فى النحو - تحقيق د. عبد الحسين الفتلى - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ط٢/١٩٨٧ .

- الموجز فى النحو - تحقيق: مصطفى الشويمى وآخر - بيروت - ١٩٦٥

- د. سهير القلماوى

- السيرة الذاتية (الأيام) - بحث منشور بكتاب الفكر عدد رقم (١٤) من ٢٩٩ - ٣٠٣ - مارس ١٩٨٩ .

- سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان ت ١٨٠هـ)

- الكتاب - تحقيق أ. عبد السلام هارون - الهيئة المصرية - القاهرة - ١٩٧٩ .

- السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر ت ٩١١ هـ)

- الأشباه والنظائر - تحقيق غازى طليمات وآخرين - مجمع اللغة العربية بدمشق - ١٩٨٥ - ١٩٨٧ .

- المزهر - شرح وتعليق محمد جاد المولى ، محمد أبو الفضل ، على محمد البجاوى - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - ١٩٨٦

- همع الهوامع - تحقيق أ. عبد السلام هارون، د. عبد العال سالم مكرم - جـ١ - ط٧ - دار البحوث العلمية بالكويت ١٩٧٥-١٩٨٠ .

- عباس حسن

- النحو الوافى - ١- ٤ - دار المعارف بمصر - الطبعة السابعة (د.ت)

- د. عبد القادر الفاسى الفهرى

- اللسانيات واللغة العربية - دار توبقال للنشر - الدار البيضاء - المغرب - ط١/ ١٩٨٥ .

- عبد القاهر الجرجانى (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجانى ٤٧١ أو ٤٧٤هـ)

- دلائل الإعجاز - قراه وعلق عليه محمود محمد شاكر - الخانجى بمصر - ط٢/ ١٩٨٩

- د. عبد الكريم مجاهد

- الدلالة اللغوية عند العرب - دار الضياء - عمّان - الأردن - ١٩٨٥

- ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله بن عقيل ٦٩٨ - ٧٦٩هـ)

- شرح ابن عقيل - بعناية محمد محيى الدين عبد الحميد - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - ١٩٩٣ .

- ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن زكريا ٣٠٦ - ٣٩٥هـ)

- الصاحبى فى فقه اللغة - تحقيق : السيد أحمد صقر - عيسى البابى الحلبى بمصر ١٩٧٧ .

- المالقى (أحمد بن عبد النور ت ٧٠٢هـ)

- رصف المبانى - تحقيق أحمد محمد الخراط - مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٥ .

- ابن مالك (جمال الدين محمد بن مالك ٦٧٢ هـ)

- شرح التسهيل - تحقيق د. عبد الرحمن السيد وآخر - دار هجر - القاهرة - ط١/ ١٩٩٠ .

- المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ت ٢٨٥ هـ)

- المقتضب - ١-٤ تحقيق محمد عبد الخالق عضيمه - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ١٣٨٦ هـ .

- محمد عبد الخالق عضيمة

- دراسات فى أسلوب القرآن - مطبعة السعادة بمصر ١٩٧٢ .

- د. محمد فتحى عبد الهادى وآخرون من قسم المكتبات بآداب القاهرة

- طه حسين وتاريخه مع القلم قائمة ببليوجرافية بما كتبه وكتب عنه من كتب ، وهى منشورة بكتاب الفكر للدراسات والأبحاث عدد رقم (١٤) بمناسبة مرور مائة عام على مولده من ص ٣٦١ إلى ص ٣٩٥ - دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع بمدينة نصر - القاهرة - مارس ١٩٨٩ .

- د. محمد على الخولى

- الأصوات اللغوية - دار الفلاح - صويلح - عمّان - الأردن ١٩٩٠

- د. محمود حجازى

- فكره اللغوى - بحث منشور بكتاب الفكر رقم ١٤ الصادر بمناسبة مرور مائة عام على مولده - من ص ٥٥ إلى ص٧٦ - دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع بمدينة نصر - القاهرة - مارس ١٩٨٩ .

- د. محمود السعران

- علم اللغة - دار الفكر العربى - مصر (د. ت)

- ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم بن على ٧١١هـ)

- لسان العرب - دار المعارف بمصر (د . ت)

- د. مهدى المخزومى

- فى النحو العربى - قواعد وتطبيق - مكتبة مصطفى البابى الحلبى بمصر - ط١/١٩٦٦

- ابن هشام (أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ٧٦١هـ)

- أوضح المسالك - بعناية محمد محيى الدين - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت (د . ت)

- شرح شذور الذهب - بعناية محمد محيى الدين - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت (د . ت) .

- ابن يعيش (موفق الدين ٦٤٣ هـ)

- شرح المفصل - عالم الكتب - بيروت (د . ت)

ثالثا: المترجم

- هدسون

- علم اللغة الاجتماعى - ترجمة د. محمود عياد - عالم الكتب بمصر - ١٩٩٠

- هنرى فليش

- العربية الفحصى - ترجمة د. عبد الصبور شاهين - المطبعة الكاثوليكية - بيروت - لبنان - ١٩٦٦ .

- مالمبرج (برتيل)

- الصوتيات - ترجمة د. محمد حلمى هليّل - عين للدراسات والبحوث بالهرم - مصر - ١٩٩٤

واو الربط وظائفها ودلالاتها
دراسة نصية فى الفصحى المعاصرة من خلال
رواية « ضوضاء الذاكرة الخرساء » لحمدى البطران

بقلم الدكتور
محمد عبد الرحمن محمد الريحانى

أولاً: الإطار العام:

١- موضوع البحث:

يعالج هذا البحث موضوع الواو الرابطة ؛ وظائفها ودلالاتها دراسة نصية فى الفصحى المعاصرة من خلال رواية «ضوضاء الذاكرة الخرساء» للأديب حمدى البطران (*).

(*) الأديب حمدى محمد عبد الله البطران ؛ ولد فى ١٠/٢/١٩٥١ بمركز ديروط « أبو جبل قبلى » محافظة أسيوط ، وأتم دراسته حتى الثانوية بمركز ديروط ، ثم التحق بكلية الهندسة قسم ميكانيكا وحصل على البكالوريوس سنة ١٩٧٣ ثم التحق بكلية الشرطة فحصل منها على دبلوم علوم الشرطة سنة ١٩٧٦ ، ثم التحق بكلية الحقوق بأسيوط وحصل منها على الليسانس سنة ١٩٩٣ . قرأ لكثير من الكتاب ، حيث قرأ كل مؤلفات توفيق الحكيم ، وتأثر به فى السرد الروائى وقرأ للمنفلوطى وعباس محمود العقاد وطه حسين، وصنع الله إبراهيم وعبد الرحمن ضيف، وقرأ لبعض الكتاب السوريين مثل يوسف الصائغ وحنا مينا، كما قرأ للكاتب الروسى ديستوفسكى والبريطانى لورنس داريل والفرنسى مارسيل بروست، وقرأ معظم النتاج الأدبى للكتاب المعاصرين مثل نجيب محفوظ، يوسف إدريس ، جمال الغيطانى . . .إلخ . ألف حمدى البطران عدداً من الروايات والقصص المنشور وغير المنشور ، من ذلك : المصفقون ، (مجموعة قصصية) سنة ١٩٨٨ ، احتضار ذاكرة (رواية) سنة ١٩٨٨ ، الرقص على حافة الجرح (رواية) سنة ١٩٨٩) ، اغتيال مدينة صامتة (رواية) سنة =

أقصد بواو الربط ذلك المورفيم الصرفى Morphem . المنفصل الذى يأتى سابقًا Perfix لقصد ربط الجمل ومعانيها فى السياق ببعضها ، أو إدخال المفردات المتعاطفة فى أحكام بعضها ، أو إبراز أحكام جديدة للمفردات التالية له ، كالقطع فى المدح والذم والمعية والمصاحبة فى الأسماء والصرف فى الأفعال ، والقسم فى الأسماء أو الجر على التقليل عوضًا عن حرف مقدر فى الأسماء مثلما يؤول بالتعويض عن «رب» . . . . إلخ .

قد تأتى الواو بجعل الجملة التالية لها على علاقة معنى بشكل ما مع بعض عناصر الجملة السابقة لها ؛ فيما يطلق عليه الجملة الحاضنة والجميلة المحضونة كعلاقة جُميلة الحال - التى يعتبرها النحاة جملة تامة الأركان ولها محل إعرابى فى موقع المفردة - بصاحب الحال فى الجملة السابقة سواء أكان فاعلاً أم مفعولاً .

قد تأتى الواو لاستئناف الفقر والجمل الجديدة فى إطار الموضوع العام ، حتى تتضافر العناصر الجزئية فى إبراز الفكرة الكلية التى يراد رسم أبعادها من خلال اللغة .

أقصد بالوظيفة والدلالة ؛ تلك الأنماط المختلفة التى تتشكل فيها الواو الرابطة بين الجمل والمفردات أو فى بدايات الفقر والجمل ، لتدل على معنى خاص ، قد يتعلق بعضه بالأحكام أو يقصد من خلف الوظيفة دلالة محددة يقتضيها النمط ، ويقصدها المعبر فتكتسب الواو معناها من خلال النمط

= ١٩٩١ ، ضوضاء الذاكرة الخرساء سنة ١٩٩٢ ، يوميات ضابط فى الأرياف (رواية).سنة ١٩٩٤ . حصل على جائزة اتحاد الكتاب سنة ١٩٨٩ وحصل على جائزة إحسان عبد القدوس لأكثر من مرة سنة ١٩٩١، ١٩٩٢ وما بعدها، وهو يشغل الآن منصب رئيس نادى الأدب بأسيوط، وعضو أمانة مؤتمرات أدباء أقاليم مصر ، وعضو اتحاد الكتاب ، وشارك فى جميع مؤتمرات أدباء أقاليم مصر ، وله حضور واضح على الساحة الأدبية ، وقد نالت روايته ضوضاء الذاكرة الخرساء جائزة إحسان عبد القدوس سنة ١٩٩٢ .

ويتفاعل المعنى مع المبنى الخاص لإكساب الفكرة الوضوح المقصود من خلف بناء التركيب أو التنسيق اللغوى بشكله السطحى المقصود.

٢- هدف البحث:

يهدف هذا البحث إلى :

أ - رصد الوظائف المتعددة التى تلعبها الواو الرابطة فى الفصحى المعاصرة من خلال النص المختار عينة لهذا الرصد .

ب- بيان العلاقة بين الواو الرابطة والدلالة التى تكتسبها من خلال التركيب أو الدلالة التى تُكسبها للتركيب .

جـ- رصد الأنماط الشائعة للواو الرابطة فى الفصحى المعاصرة من خلال الدرس النصى لدى الكاتب ، الأمر الذى يتيح الدرس التاريخى للظاهرة ، أو الإفادة فى الدرس التطبيقى .

٣- المادة عينة الدراسة ومنهج التحليل:

لما كانت الدراسة - فى إطار المنهج الوصفى - تقتضى تحديد نص لغوى واضح المستوى والزمان والمكان والكم والكيف ؛ فقد وقع اختيارى على مستوى الفصحى المعاصرة فى مجال النثر الأدبى ؛ نظرًا لأنه المستوى الواسع الانتشار بين الكتاب فى هذا المجال ؛ الأمر الذى يترتب عليه سعة انتشاره بين القراء ومن ثم تجد أساليب ذلك المستوى صدى عند القراء أو لنقل إنها تساهم فى تكوين المعجم الفردى الذى يشترك به الفرد مع الجماعة اللغوية فيشيع نمط من التركيب ؛ قد يكون متوارثًا فى ثوب جديد أو يكون مبتكرًا ، أو تختفى بعض الأنماط لتركيب ما ويبقى بعضها الآخر ، الأمر الذى يفيد فى الدرس التاريخى لمن أراد تتبع التغير الدلالى أو التركيبى ..... إلخ . ما يمكن أن يُعالج فى إطار المنهج التاريخى[1] .

ثم حددت الرواية من بين الأنواع الأدبية المختلفة المندرجة تحت جنس النثر لما تختص بـه من سمات فنية ككـثرة الشخوص وتعدد الأبطـال وامتداد الزمان ... إلخ السمات الفنـية الخاصة بها ، الأمر الذى يتيح للكاتـب مساحة لغوية واسعة لعرض الفكرة ، وبالتالى تكثر الأمثلة التى تتيح للدرس اللغوى الفرصة لاستنتاج القوانين من خلال شواهد كثيرة للظاهرة المقصودة بالدرس .

ولهذا الأمر قـصدت أن تكون العينـة من خلال تيار الوعى فـى الرواية لما يمتاز به كُتّاب هـذا التيار من واقعية واعـية بمعنى رسم صورة الـواقع من خلال رؤية الكاتب الخاصة بالتالى فإن استحضـار المواقف والشخصيات موظفة لفكرة مقصودة أمر يتيح اختبار العلاقة بين النـمط اللغوى والوظيفة الدلالية المقصودة من خلفه ، وكذلـك محاولة الوقوف أمام الأنماط المختارة لخـدمة الفكرة ، وما إذا كانت الأفكار تسببت فى خلق أنمـاط جديدة ، أو إلباس معانٍ دلالية للأنماط المتوارثة .

وإذا كان الاختيـار قد وقع على النثـر وعلى الرواية من بين أنـواع النثر ، فإنـــه يجب أن يحـدد الزمان والكاتـب ثم العينـة المختارة للدرس مـن أعمال الكاتب .

ومن ثم استهدفت أن يكـون الزمان مـتعلقًا بالمعاصر من أجل رصد شيوع الظاهرة فى مستـوى الفصحى المعاصرة من خلال عينة واقعـية ، للوقوف على الأنماط الشائعة وغير الشائعة للربط بـالواو فى هذا الوقت ، وأعنى بالمعاصـرة تلك الفترة التى نعيشها فى العقد الأخير من هذا القرن ، إذ هـى لا تمثل فـترة قائمة بـذاتها بل هى امتـداد للماضى ومـــن ثم تعبر الـلغة فيها عـن تراكيب مخصوصة بهذه الفترة قد تكون امتدادًا فى الشكل للقديم الموروث أو تغيرًا عنه وكذلك الأمر بالنسبة للدلالة، الأمر الذى يتيح بعد ذلك إمكانية النظر إلى هذه التراكيـب فى ضوء الدرس التاريخـى أو الإفادة من الدرس الوصفـى فى مجال

علم اللغة التطبيقى بالنظر إلى معرفة التراكيب الأكثر شيوعًا ، للظاهرة محل الدراسة .

وإذا كان أسلوب الكاتب يُمثل معجمه الخاص الذى تمثله من اللغة المخزونة لديه وقراءاته المتعددة ، فإنه - فى ضوء ذلك المعيار - قد اخترتَ الأديب حمدى البطران ليمثل التطبيق ؛ بالنسبة للدراسة أو النص الذى ستقوم عليه الدراسة ، ذلك أن حمدى البطران يتميز بنمط الفصحى المعاصرة فى إبداعه - وإن وردت بعض العبارات الممثلة للهجة عند الكاتب لكنها لا تمثل نسبة شيوع عند الكاتب يمكن الاعتداد بها - وهى المستوى المقصود تتبّع خصائص الواو الرابطة فيه بالإضافة إلى أن حمدى البطران يمثل أحد الأدباء المعاصرين الذين جاءت كتابا تهم ممثلة لجيل الرواد من المبدعين .

زد على ذلك فإن الكاتب تتنوع كتاباته النثرية بين القصة القصيرة والرواية الطويلة ولم يكتب فى مجال الشعر قط ، الأمر الذى جعل لغته خالية من الحرص على السجع أو مراعاة الفاصلة ، الأمر الذى قد يؤدى بالكاتب فى النهاية إلى الوقوع فى ضرورة يقتضيها النظم الخاص بالوزن .

وتلك الأعمال الأدبية فى جنس النثر المختار تتيح لنا تتبع الظاهرة فى جنس أدبى لا يتقيد بالضرورة الملزمة التى تحول التركيب من شكل إلى آخر .

وإذا كانت الدراسة قد اختارت حمدى البطران ، فإنها بالتالى كان عليها أن تبحث عن معطىً لغوىٍّ محدد عنده يُمثل عينة الدراسة المختارة للتحليل ، فكانت الرواية نظرًا لتمتعها بالأسلوب السردى أكثر من القصة ، وهو الأمر الذى يتيح لنا تعقب الأنماط المختلفة أو الوظائف للرابط فى فقر تطول فتحتاج إلى الربط ، وبذلك تظهر قيمة الربط وأنماط التركيب الذى يأتى فيه .

من هنا اخترتُ عملاً يمثل أعمال الكاتب الروائية وهو « ضوضاء الذاكرة الخرساء » ذلك لأن الكاتب فيها يعيد ذكرياته عن مواقف محددة وموظفة ليعبر عن لحظة الحال بالتطابق مع لحظة الماضى أو لنقل ليفسر الحالى خلال الماضى أو العكس ، الأمر الذى جعله يستنطق شخصيات مثقفة ، لأنها فى النهاية تعبير عن موقفه الخاص وذلك يجعله فى تقمص شخصيات العمل يرصف عبارته بالفصحى المعاصرة عند المثقفين على قدر تصوره لذلك ، وفى ضوء تمثله لمستوى الفصحى المعاصرة من خلال قراءاته للمبدعين السابقين - كما ذكرنا - فى هذا المجال ، فيكون المعطى النهائى لغة الكاتب المصورة له لقربه من مستوى الشخصية التى يتقمصها ، ولنسقه بالفصحى من خلال حديث المتحدث المثقف فى المجال الأدبى .

وإذا كان الدرس اللغوى يقوم فى مجال البحث النصى على الوصف والحصر والتنميط ثم التحليل ، فإن ذلك استدعى تحديد العينة المختارة من المادة المقصودة بحيث تتناسب مع حجم الإبداع ، فاخترت المنشور من الروايات تاركاً القصة، والروايات غير المنشورة. وعليه كانت رواية «ضوضاء الذاكرة الخرساء» تمثل نسبة ٥٠ ٪ من المنشور قسيمًا لمثيلتها رواية « اغتيال مدينة صامتة » ثم أقترح أن يكون الاختيار من الرواية موضع الدراسة اللغوية عشوائيا، لكن بنسبة محددة تمثل ١٠ ٪ من حجم الرواية التى تبلغ (١٣٥) مائة وخمسًا وثلاثين ورقة، بواقع صفحة كل عشر صفحات؛ يتم خلالها رصد استخدام الواو فى كل الجمل الواردة بالصفحة.

بعد ذلك تنمط الجمل على أساس وظيفة الواو الرابطة فيها ، فتحصر

الأنماط الرئيسية والأشكال الفرعية التي يشملها كل نمط ، ومن ثم تقدم الأمثلة للأنماط وأشكالـها مع تحليل الوظيفة الـتى شغلتها الواو فى الجـملة ، والدلالة التى ترتبـت على هذه الوظيـفـة، ثم بيـان مـا إذا كـان الشكـل هو المؤثر فى الدلالة ، أم أن الدلالة هى المؤثرة .

وفى حالة كثرة الأمثلة للنمط يكتفى بعرض وتحليل أمثلة لا تزيد عن ثلاثة من خلال الجمل الكثـيرة المحصورة للنمط ، وتوضح رموز التحـليل بالهوامش فى البحث فى مواضع ذكرها .

٤- الدراسات السابقة

٤-١- فى التراث النحوى

لقد عنيت دراسات كثيرة فى القديم والحديـث بالشكل التركيبى فى السياق اللغـوى وتحليـل أركـانه وتصـنيفهـا حسب الأقسـام طبقـا لمـعيـار الدراسة والهدف .

فحين عالج القدامى ما يتعلق بدلالة حروف المعانى[٢] ذهبوا إلى أنها لا تدل على معنى[٣] فى ذاتها، وإنما تتعدد معانيها بالنظر إلى سـياقها اللغوى ومقامها الحالى فى إطار تفسـير المعنى المُحّمل من السياق أو المقام، وقد حـدها سيبويه على أساس من التـفريق بين الأقـسام الصرفـية ودلالاتهـا، إذ هى ليست من الأسماء، ولا من الأفعال، إنما هى قـسم قائم بذاته وإن كان قد جاء لمعنى[٤]، وهذا المعنى المفسر فى ضوء قرائن متضافرة هو الذى يعطى حرف المعنى وظيفته الدلالية فى معانى النحو، وليس وظيفته النحوية فيما يتعلق بالنظام.

وهذا الأمر ينسحب على كل حروف المعانـى التى قسمت فى إطار وظائفها الدلالية إلى أقسـام متعددة كالباء مثلاً ، التـى تلعب وظيفة التعلـيق النحوى أو الجار بمعنى المـصطلح لا بمعنى الخـفـض فى أثر العامل ، هذه البـاء يصل بعض

النحاة بأقسامها الدلالية فى ضوء سياقات مختلفة إلى خمسة عشر معنى ، وإن كان من بعض المعانى الواردة لها ما يقع خلطًا بين الوظيفة النحوية والوظيفة الدلالية كالإلصاق والتعدية إذ هما من وظائف التضام فى النحو ، إذ يقصد بالإلصاق تعليق الفعل بالمجرور ويقصد بالتعدية توصيل أو تقوية العامل - فى ضوء معيار النحاة - لكى يصل إلى مفعول وإن كان حكماً - ونزع الخافض على اعتبار وجوده قد يؤدى إلى خفض ما ليس مذكوراً فى البنية السطحية، أو قد يؤدى إلى نصب الكلمة التى لا يمكن للعامل الوصول إليها بنفسه ، ولكن يصل على الشكل الاعتبارى كقول الشاعر :

تمرون الديار ولم تعوجوا   كلامكم علىّ إذًا حرام(٥)

حيث نصبت كلمة « الديار » على اعتبار حرف المعنى « الباء » الذى كان يجب أن يكون من مقتضى التضام فى التركيب ، غير أن سقوطه فى البنية السطحية للتعليق أدى ذلك إلى وصول الفعل اللازم لنصب الكلمة ، وهو ضرب - على مقياس النحاة - من وظيفة النحو ، أما باقى المعانى الواردة لها الباء فإنها تقع فى إطار المعانى الدلالية وليست الوظيفية ، كالباء التى قالوا عنها للاستعانة وحمل عليها المعنى فى البسملة « بسم الله الرحمن الرحيم » ويعلل الجرجانى عزوها لهذه الوظيفة بأن « الفعل لا يتأتى اى لا يحصل على الوجه الأكمل إلا بها »(٦) .

والواو تقع فى إطار تلك المجموعة - أعنى حروف المعانى - لذلك وقعت تحت المعيار ذاته الذى تتنازعه الوظيفة الدلالية والوظيفة النحوية ؛ فحين تعالجها كتب حروف المعانى نجدها تركز على أقسامها المختلفة مرة من حيث الوظيفة النحوية فى التركيب ومرة من حيث الدلالة وتعد كل ذلك من باب الأقسام ، غير أن الواضح فى الواو بالتحديد من جملة حروف المعانى أن معيار الوظيفة التركيبية أوضح فى التقسيم من معيار الدلالة الذى يأتى تاليًا للقسم .

وفى كتب النحو العامة سواء منها العلمى أو التعليمى عولجت الواو فى تراكيب خاصة وليست فى باب أو قسم مستقل - كما هو الحال فى كتب الحروف - لكن علاجها جاء من خلال التراكيب النحوية ، إذ هى فى الغالب تدخل قسم الحروف التى لا تعمل[٧] وإن كان هناك خلاف فى بعضها كالواو السابقة للمفعول معه[٨] لكن توزيع أنماط الجملة التى تأتى فيها الواو - فى كتب النحو - خضع لإطار معيار المعالجة فى إطار العامل عند النحاة إذ نجد الحديث لا يختص بالواو فى العمل غالبًا ولكنه ينصرف إلى ما بعدها كالحديث عن التابع المعطوف وحكمه الإعرابى أو الجملة الواقعة بعدها فيما عدا بعض الأنماط مثل واو القسم أو واو رب ؛ أو الواو الناصبة للمضارع أو المفعول معه ، لذلك تأتى أنماط الوظيفة متفرقة حيث يأتى الكلام عن نمط التركيب الذى تقع فيه فى بابه فتارة نجدها عند الحديث عن العطف[٩] أو فى الجمل التى لا محل لها من الإعراب[١٠] ، وتارة فى باب نواصب المضارع[١١] أو جوازمه ، وتارة مع حروف الجر[١٢] وتارة مع معالجة فضلات الجملة فى جملة الحال كما نجدها فى العطف على المنادى وكذلك فى قطع التابع عن المتبوع . . . إلخ[١٣] .

إذا كانت كتب النحو قد ركزت على العمل فجاء ذكر النمط حيث اقتضى الأمر الحديث عن أثر عامل محدد فى تفاعلات عناصر الجملة ببعضها ؛ إذا كان الأمر كذلك فإن كتب حروف المعانى أو الكتب التى ركزت على بيان الأشباه والمتناظرات قد جمعت أنماط الحروف أو ما يساويها فى العمل أو الدلالة .

فذلك ابن فارس ت ٣٩٥ هـ - مثلا - يعقد فصلاً للواو فيصل بأقسامها إلى أحد عشر قسما ، إذ يوضح الواو وهى زائدة داخله فى مبنى المفرد والواو التى تأتى للنسق والواو التى تأتى علامة رفع ثم الواو التى تأتى

سابقة للمضارع ناصبة على إضمار « أن » بتأويل المصدر ، وتلك التى تكون بمعنى باء القسم ، والتى تكون مضمرة مقدرة فى الكلام ، والتى تكون بمعنى « رب » والتى تكون بمعنى « مع » ، والتى تكون صلة زائدة ، والتى تكون بمعنى « إذ » والتى للعطف بالبناء على التوهم ، والتى للإقحام[١٤] .

بل إننا نستطيع عرض حصر للأنماط التى استقرأها اللغويون من خلال الكتب التى عنيت بحروف المعانى ، فاستهدفت إحصاء الأشكال التى يرد عليها حرف المعنى فى تراكيب مختلفة مع بيان المعنى المشكل بالوظيفة تارة ، والمعنى المشكل بأثر الإعراب والوظيفة تارة أخرى .

فذلك أبو الحسين المزنى[١٥] حينما يتعرض للواوات يقسمها إلى إحدى وثلاثين - وإن لم يورد منها إلا ثلاثين[١٦] - يعنينا منها تلك الأنماط التى تأتى فيها الواو حرف معنى لربط التركيب ، وذلك فى تسعة عشر نمطا نعرضها كالآتى فى شئ من الاختصار .

(١) الواو التى تتصدر للنسق (العطف) .

وتلك الواو تلعب دوراً فى المبنى والمعنى وفى الحكم الإعرابى ، وإن كانت ليست مؤثرة بذاتها فى حكم الإعراب فتشكل منها الأنماط الآتية :

أ - اسم + و + اسم

ب- فعل + و + فعل

جـ- جملة اسمية + و + جملة اسمية .

د- جملة فعلية + و + جملة فعلية

هـ- ظرف + و + اسم + اسم

و- استفهام + و + اسم + اسم

وتكون الواود فى هذه الأشكال رابطة لغوية من الناحية الشكلية ، فى الوقت ذاته تفيد رد الثانى إلى الأول فى المعنى - وإن كان ذلك ينصرف إلى نمط الجمع بين الاسم والاسم فى الحكم المتحد فى المقام الأول مثل .

«دخل على ومحمد»

إذ يمكن القول فى هذا النمط إن الواو أغنت واختصرت تركيبًا عميقًا Deep Strucure لجملة أصلها «دخل على - دخل محمد» فلما اتحد الحكم الجارى على الاسمين على قدر[١٧] واحد اختصر التركيب بواو النسق فرد الثانى إلى حكم الأول بالواو ، وأكثر النحاة يقررون فى فهم هذا التركيب أن الواو لا تفيد ترتيبًا ولا زمنًا[١٨] بين الاثنين ، من ناحية أخرى فإن الحكم الإعرابى الذى ينسحب على الأول من الاسمين بالإسناد كعامل رفع - أو ربما يكون الأول منصوبًا أو مجرورًا - ينسحب على الثانى من الاسمين بأثر الشكل التركيبى الجامع للحكم فى المعنى واتحاد الإعراب وليس بأثر الواو كعامل منفرد على مذهب النحاة، وبتلك القرينة المعنوية - أعنى رد الثانى وإشراكه فى حكم الأول - التى ترتبت عليها خاصة إعرابية - فى دخول الثانى فى إعراب الأول - بتلك القرينة تتخصص واو النسق عن باقى الواوات فى التراكيب، ولقد نوه «المزنى» إلى بعض الأشكال الصحيحة لهذه الواو كما ذكر بعض الأشكال الخاطئة التى لا ترد فيها واو النسق[١٩] اعتمادًا على قرينة المعنى .

(٢) الواو التى تتصدر للقسم[٢٠] .

وهذه الواو لا تأتى إلا على شكل تركيبى واحد وله نمطان أحدهما بالإيجاب - أى بذكرها فى التركيب - والثانى بالسلب مع إبقاء قرينة

الإعراب للدلالة على البنية العميقة للتركيب . وهو أمر يلفت إلى أن حركة الإعراب الصوتية تعد من المورفيمات الدالة على التراكيب العميقة لما يحذف من الشكل الظاهرى فى التركيب السطحى . وعلى ذلك يكون الشكل :

أ - و + اسم + علامة إعراب أثر المذكور + جملة جواب القسم

↓

ب - ∅ + اسم + علامة إعراب دليل المحذوف + جملة جواب القسم

(٣) الواو التى تتصدر جملة (جميلة) الحال :

والقرينة الفارقة لهذه الواو تعتمد على المعنى فى المقام الأول الذى يستتبع معه حكماً إعرابيًا خاصًا من خلال وظيفة ما أطلق عليه النحاة الفضلات ، أو ما سماه علماء الدلالة القيود إذ المعنى الضابط لنوع واو الحال يعتمد على معنى التركيب الداخلة عليه ، فهى تستأنف جملة مربوطة فى المعنى بأحد عناصر الجملة السابقة لها على سبيل البيان للهيئة أو غير ذلك من الوظائف التى يأتى لها ؛ مع اتحاد فى زمان نسبة الحكم إلى المحكوم عليه فى الجملة السابقة سواء كان ذلك بالحكم من الفاعل أو الحكم على المفعول ، فى إطار وظيفة مخصوصة .

وتأتى واو الحال فى أنماط شكلية على أساس المعنى هكذا .

أ - صاحب حال + و + مبتدأ + خبر (جملة اسمية)

ب- صاحب حال + و + جملة فعلية

ج-[٢١] صاحب حال + ∅ [٢٢] + جملة (جميلة حال)

وتتشكل من هذه الأنماط الرئيسية الثلاثة عدة أنماط فرعية ترد عليها

جميلة الحال كأن تكون الجميلة مصدرة بقد فى جميلة فعلية مع الفعل الماضى أو أن تأتى الواو مع الجميلة المصدرة بالنفى ، أو تأتى مع الضمير فى الجميلة الاسمية .... إلخ الأحكام التى عالجها النحاة فيما يتعلق بالحال .

(٤) واو الخروج :

ويقصد بها الواو الزائدة على معيار الشكل إذ دخولها فى التركيب - كما يرى النحاة _ يتساوى مع خروجها منه ، فالتركيب يظل صحيح الأركان بها أو بدونها ولا تؤثر فى أحكام الإعراب .

_ وقد حد النمط التركيبى الذى تأتى فيه واو الخروج بالجملة الاسمية للمبتدأ النكرة الواقع بعد « إلا » هكذا:-

أ - جملة + إلا + و + خبر + مبتدأ نكرة

ب- جملة + إلا + ∅ + خبر + مبتدأ نكرة

ويبدو أن الحكم بزيادة هذه الواو عند النحاة يقدر دورها الشكلى وأثرها الإعرابى فى المقام الأول ، مع أن هذه الواو لها دور فى المعنى لا يغفل ، ولقد أشار المزنى إلى بقاء معنى الواو فى ذكرها أو حذفها[٢٣] ممثلاً بما ورد من شواهد القرآن فى قوله تعالى : ﴿ وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون ﴾[٢٤] وقوله تعالى : ﴿ وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم ﴾[٢٥] .

ويوضح ابن هشام دلالة الواو فى قوله تعالى : ﴿ إلا ولها كتاب معلوم ﴾ بأنها واو لصوق الصفة بالموصوف[٢٦] ، أى لها دور التوكيد ، وهذا يجعلها من الناحية المعنوية تدخل فى إطار نمط واو الحال ، إذ من وظائف الحال التوكيد ، ولا يعنى أن الناحية الشكلية من ذكر الواو أو عدم ذكرها يمكن أن

تعطيها خاصية التقسيم فى مقابل واو الحال ؛ لأننا نرى أن واو الحال يمكن أن تذكر أو تحذف مع بقاء المعنى والفارق بين الشكلين فى بعض أحكام التركيب فقط .

(٥) واو العماد :

يقصد بواو العماد تلك الواو الداخلة على الضمير الذى اصطلح عليه النحاة بضمير الفصل لذلك فإنها تأتى على نمط واحد حده الشكلى أن تطلب بعدها الضمير دون الفعل هكذا : جملة + و + ضمير + خبر .

وقد مثل لها المزنى بقوله تعالى: ﴿وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم﴾ (٢٧).

غير أن بعض النحاة يختلفون فى مجئ الضمير وحده بعدها ، فيذهب المزنى متابعًا للفراء(٢٨) إلى أنها تطلب الاسم بشكل عام بعدها مثل « أتيت زيدًا وأبوه قائم »(٢٩) وهى بهذا الشكل تختلط مع واو الحال من الناحية الشكلية التى تترتب على وظيفتها المعانى الدلالية ويدعم المازنى مذهبه بأنه يقبح أن نقول « أتيت زيدًا وقائم أبوه » على اعتبار أن الوصف يلعب دور الفعل وواو العماد لا تدخل على الفعل لذلك نجده يقبح اعتبار الواو فى الآية الكريمة ﴿ إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت ﴾ واو العماد لأن الفعل وليها(٣٠) .

(٦) واو الإضمار :

وهى نوع من أنواع العطف تربط بين الجمل وتنسق الثانى على الأول ، وذلك بتقدير المعنى فى التركيب العميق ، ولا تظهر فى البنية السطحية للجملة أى أنها تساوى:- جملة + $\varnothing$ + جملة .

وقد مُثل لها بقوله تعالى ﴿فأولى لهم طاعة وقول معروف﴾(٣١) على تقدير

فى البنية العميقة ﴿ فاولى لهم وطاعة ﴾[٣٢] ومنها أيضًا قوله تعالى ﴿ فجاءها بأسنا بياتًا أو هم قائلون ﴾[٣٣] على تقدير نسق أى ﴿ أو وهم قائلون ﴾ .

(٧) واو النعت :

وهذه الواو جائزة الدخول للتوكيد بين النعت والمنعوت هكذا : -

جملة بها ⟵ منعوت + و + نعت

أو

جملة بها ⟵ منعوت + ∅ + نعت

وقد مثل لها الفراء بقراءة عبد الله بن مسعود فى قوله تعالى ﴿ بنات خالك وبنات خالاتك واللاتى هاجرن معك ﴾[٣٤] حيث إن الاسم الموصول « اللاتى » تصدر للصفة لبنات الخال وبنات الخالات لأنهن ربما يكن من المهاجرات ، هذا وقد قرئت الآية بغير الواو هكذا « وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك »[٣٥] .

ولقد جعل المزنى من هذا النمط قوله تعالى ﴿ المر تلك آيات الكتاب والذى أنزل إليك من ربك الحق ﴾[٣٦] فى قراءة من جعل « الذى » موضع خفض على النعت للكتاب .

ويعضد وظيفة هذا النمط من الواو معنى السياق فى الجملة ، فذلك الفراء يذكر قوله تعالى ﴿ مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع ﴾[٣٧] فيعجل الواو السابقة لكلمة الأصم » والواو السابقة لكلمة « السميع » من نمط واو النعت بدليل السياق فى عجز الآية ﴿ هل يستويان مثلاً ﴾ فتحدث بالتثنية ولو كان جمعًا على ما ذكر فى الآية لكان السياق غير ذلك[٣٨] .

(٨) واو الجحود :

تدخل هذه الواو على الاستفهام سابقة هكذا : -

و + استفهام + مستفهم عنه ؟

وتكتسب هذه الواو دلالتها من نمط تركيبها الشكلى مع عدم إغفال القرائن غير اللغوية فى تحديد تلك الوظيفة ، وقد جعل ابن النحاس من هذا النمط قوله تعالى : ﴿ ومن يغفر الذنوب إلا الله ﴾[39] حيث دخلت الواو على جملة تحمل معنى الإنكار والجحد ؛ إذ المعنى - والله أعلم - لا يغفر الذنوب أحد إلا الله وبذلك اكتسبت الواو دلالة الجحد من سياق الجملة التركيبى[40] .

(٩) واو الابتداء :

وهى تلك الواو التى يستأنف بعدها كلام وحكم جديد منقطع عما قبله وليس عطفًا عليه ، والمعول فى تحديد هذا النمط إنما هو المعنى المقدر خلف السياق ، مع مساعدة الشكل التركيبى إذ إنها لا تسبق إلا الجملة الاسمية هكذا :

جملة + و + مبتدأ + خبر

أو

خبر + مبتدأ

ولما كان المعنى هو المحدد لهذه الواو ، فقد اختلف النحاة فى عزو الأمثلة التى جاءت لهذا النمط حسب تقدير المعنى ، ففى قوله تعالى : ﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشواة ولهم عذاب عظيم ﴾[41] اختلف النحاة فى تحديد وظيفة الواو من جملة « وعلى أبصارهم » فالذين اعتمدوا على قراءة الرفع فى كلمة « غشاوة » جعلوا الواو للاستئناف وهو من باب تقديم الخبر عن المبتدأ ، والذين اعتمدوا على قراء النصب فى كلمة «غشاوة» قدروا فعلاً بعد الواو محذوفًا أغنى عنه السياق المذكور وبذلك تكون الواو للعطف[42] على معنى «وجعل على قلوبهم غشاوة» . والله أعلم بمراده .

ويزعم المزنى أن البناء الشكلى لجملتها أمر واجب أى أن يليها المبتدأ والخبر، فإن وليها تركيب ناقص كأن يليها الاسم بغير خبر مسند إليه فإن ذلك قبيح - على تقدير معيارية النحو - إلا أن يكون الأمر خلفه الاضطرار من الصنعة[٤٣] .

(١٠) واو الصرف :

هى تلك الواو التى تدخل على الفعل المضارع فتعطفه على اسم صريح قبله أو مؤول هكذا :

اسم صريح (أو مؤول) + و + الفعل المضارع

غير أن الكوفيين حددوا لها نمطين أوجبوا نص الصرف فيهما للواو وهذان النمطان يقعان فى الجملة الفعلية المركبة بشكل مخصوص فى المفردات الأفقية ، إذ الأول منها :

أ - نفى + فعل + باقى الجملة + و + الفعل المضارع

ب- طلب + باقى الجملة + و + الفعل المضارع

ويمثل ابن هشام للنمط الأول بقوله تعالى ﴿ ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾ وللثانى قول الشاعر : [لا تنه عن خلق وتأتى مثله] ومع ذلك فإن ابن هشام ينسب هذا التقسيم للكوفيين ويخالفهم فى جعلها من أقسام واو العطف[٤٤] .

ويدخل المزنى ضمن أنماط واو الصرف ما جعله بعض النحاة من واو المفعول معه[٤٥] حيث جعل النمط :

أ - نفى + فعل + باقى الجملة + و + اسم

ب- نفى + اسم + و + اسم

ج- فعل + باقى الجملة + و + اسم

ممثلاً للأول « ما صنع زيد وأخاه » وللثانى « ما شأنك وأخاك » وللثالث «جاء الشتاء والطيالسة الخضر »[٤٦]

(١١) واو الصلة :

هى تلك الواو الزائدة فى المعنى - كما يرى النحاة - أو بتعبير المزنى « الواو الزائدة الخارجة عن البناء »[٤٧] وقد مثل لأنماطها بوقوعها بين الشرط وجزائه أو بين المنعوت ونعته ، لكن معيارها العام أن تكون فاقدة الوظيفية المعنوية فى الشكل التركيبى .

ولقد مثل لها النحاة بقوله تعالى : ﴿حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها﴾[٤٨] وينسب ابن هشام القول بزيادتها إلى الكوفيين والأخفش بينما يختلف آخرون مع هذا الرأى فيعدونها من باب واو العطف ، والمعيار على تقدير المعنى التركيبى بين الرأيين[٤٩] ، إذ الذاهبون إلى زيادتها يقيسون ذلك على ما ورد من هذا النمط فى القرآن بغير واو حيث جاءت القصة مرة أخرى فى سورة الزمر آية ٧١ ﴿ وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها ﴾ غير أن الرافضين لزيادة الواو يقدرون - على معيار المعنى - أن «فتحت أبوابها» عطف على الجملة السابقة وجزاء الشرط مقدر مفهوم من السياق العام .

وقد أورد ابن هشام لها أمثلة كثيرة فى الشرط بالتقدير على أحد الرأيين[٥٠] ويؤيد المزنى القول بزيادتها كما ذهب الفراء فى معانى القرآن[٥١] اعتمادًا على القراءات القرآنية ، إذ قرأ ابن عباس وعكرمة وعبد الله الآية ﴿ فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية ﴾[٥٢] بغير واو « جعل السقاية » .

(١٢) واو الظرف :

يحدد نمط هذه الواو - على خلاف بين النحاة - بأنها الداخلة على الاسم

المنصوب بغير إضمار بشرط أن تكون ظرفًا للفعل بعد الاسم المنصوب هكذا .

و + اسم منصوب + فعل

ويعد هذا النمط من نتاج محاولة تفسير المعطى اللغوى المنقول فى إطار فكرة العامل حيث وقف معربوا القرآن والنحاة السابقون من قبلهم أمام قوله تعالى: ﴿يدخل من يشاء فى رحمته والظالمين أعد لهم عذابًا أليمًا﴾ [٥٣].. فوجدوا كلمة « الظالمين » منصوبة ، ففسر سيبويه النصب على إضمار فعل بعد الواو لأنهم لا يشتركون فى دخول الرحمة ، بينما فسر الكوفيون ذلك على أن الواو ظرف للفعل « أعد » ، ويبدو أنهم نسبوا النصب إلى تطرف واو الظرف فى هذا النمط لأنهم لم يفسروا الناصب إذا ما كانت الواو للظرف[٥٤] .

غير أن المعنى الأرجح - فيما أزعم - هو ما فسره سيبويه ، حيث ورد النمط نفسه فى سورة الشعراء ← (و + اسم مرفوع + الفعل) فى قوله تعالى ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾[٥٥] ولم تقرأ الآية بغير الرفع فى كلمة « الشعراء » رغم أن الفعل يليها الا أن المزنى يجوز ذلك فى غير القرآن[٥٦] ، ونحن لا نأخذ بالمفترض بل نفسر الواقع فى اللغة .

(١٣) واو المدح :

- تدخل هذه الواو فى إطار ما يدخل بين المنعوت والنعت ولا يفرق بين وظيفة الواو فى الموقع إلا السياق أو المقام، غير أن المزنى يجعلها قسمًا قائمًا بذاتها حين يخصها بالواو الداخلة على « أى » المضافة حين تقوم مقام الوصف للتعميم فى مقاله « جاءنى صاحبك وأىُّ رجل »[٥٧] .

ولا يمكن - اعتمادًا على معيار المعنى - أن تكون هذه الواو نمطًا قائمًا بذاته إذ فى مقام الذم يجوز أن تحمل الصفة على ذلك المعنى وتكون الواو للصوق

الصفة ويعد ذلك من تعدد الوظيفة للمبنى الشكلى الواحد نظراً للمقامات والسياقات المختلفة .

(١٤) واو = رب :

والضابط الشكلى لهذه الواو يكمن فى دلالة حركة الإعراب بعدها والمعنى المؤولة له الواو إذ نمطها :- و + اسم نكرة مجرور = رب كذا.

وشرط هذه الواو أن يبدأ بها الكلام ولا تدخل إلا على اسم نكرة ويكون تعلقها بمتأخر ، غير أن ابن هشام يذهب إلى كونها من أنماط واو العطف وهو أن يبدأ الكلام بمعطوف على ما فى النفس . ودليله أنها لا تقبل دخول واو العطف عليها كما تدخل على واو القسم كما فى قول الشاعر :

والله لولا تمرهُ ما حببته ولا كان أدنى من عبيد[٥٨] ومشرق

والزاعمون أن هذه الواو المتصدرة للنكرة فى أول الكلام تكون لرب ، يذهبون إلى أنها عوض عن « رب » المقدرة فى بنية التركيب[٥٩] .

(١٥) الواو التى بمعنى أو :

وهذه الواو تعد ضربًا من ضروب العطف مع المغايرة ، إذ العطف يجمع ما بين الاثنين فى حكم واحد ، بينما « أو » تسحب الحكم على واحد من الطرفين دون الآخر لذلك لا تحدد وظيفة الواو بمعنى « أو » فى الجملة إلا بتقدير السياق اللغوى والمقامى كأن تأتى فى التقسيم كقولنا « الكلام اسم وفعل وحرف » بمعنى « أو » وكأن تأتى فى الأحكام الاختيارية على غير جمع كقولنا « قابل عمراً وأحمد » بمعنى « أو »[٦٠] .

(١٦) الواو بمعنى إلى :

الظاهر من قول المزنى أن هذه الواو تلعب دور حرف التعليق الجار للمعنى

إلى غاية ما بعده ، وقد ضرب لها نمطًا واحدًا في الجملة الفعلية الطلبية = فعل طلبي + فاعل + و [بمعنى إلى المعلقة] + اسم مجرور .

والدليل عليها - فيما يبدو - حركة الإعراب المقدرة للمعنى ، حيث - قياسًا على مثال المزني - حينما نقول « اذهب وعلم » يكون المعنى « اذهب إلى علم »[٦١] .

(١٧) الواو التي بمعنى مع :

والضابط الشكلي لهذه الواو أن تأتي في تركيب إسنادي بحيث يكون ما بعدها غير قابل للدخول في الحكم الساري على ما قبلها مثل « سرت والنيل » .

وقد جعل ابن هشام ضابطها انتصاب الاسم الواقع بعدها كقراءة السبعة في قوله تعالى : ﴿ فأجمعوا أمركم وشركاءكم ﴾[٦٢] وخرج لها وجهًا من الجر على حذف المضاف إن أمكن الجر في « وشركائكم » غير أنه أدخل في أنماطها الواو التي سبق ذكرها تحت واو الصرف وهي الداخلة على الأفعال المنصوبة بعدها[٦٣] .

ويمثل لها المزني بقوله « كل الثوب وثمنَهُ » على ضابط الشكل في النصب للاسم الواقع بعدها ، وأظن أن المثال من المختصرات في البنية العميقة المدل عليه بحركة الإعراب ؛ إذ فيما أزعم أنه « خذ كل الثوب وثمنه » لأننا لو قدرنا الرفع في المضاف « كل » لتحولت الواو إلى نمط واو الملازمة وكانت الجملة من مختصرات الخبر وليست في حذف الفعل والفاعل[٦٤] .

(١٨) الواو التي بمعنى الفاء :

تأتي هذه الواو رابطة لجواب الأمر المؤول على تقدير الشرط في البناء العميق وقد جعل منه قوله تعالى : ﴿ اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ﴾[٦٥]

حيث يذهب الفراء إلى تأويل هذا التركيب ورده إلى صورة « إن تتبعوا سبيلنا حملنا خطاياكم »[٦٦] وعلى فارق المعنى بين التركيبين إلا أنها محاولة لتبرير وجود الواو في هذا الموضع وهكذا التأويل كما حدث في مطلع معلقة امرئ القيس[٦٧].

(١٩) واو دليل الفعل المضمر :

تأتي هذه الواو في التركيب المختصر في البناء السطحي لذا فإنه يحتاج إلى تقدير على مستوى البنية العميقة ، وقد يكون المعنى المقدر هو الدال على المحذوف أو قد يكون المعنى مع حركة الإعراب .

وقد ذهب ابن النحاس إلى التمثيل لهذا النمط بقوله تعالى : ﴿ وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ﴾[٦٨] إذ قدر الواو السابقة للام التعليل في الفعل يكون « أنها جاءت دليلاً على فعل مضمر يقتضيه المعنى ويفسره السياق والمعنى والله أعلم» . وليكون من الموقنين أريناه ملكوت السماوات والأرض؛ لأن المعنى لا يحمل على العطف[٦٩].

وحمل هذا النمط ما كان الإعراب دليلاً على المحذوف فيه كقراءة أبي بن كعب في قوله تعالى في سورة الواقعة آية ٢٢ ﴿ وحوراً عيناً ﴾ بالنصب ، إذ المعنى « ويعطون حوراً عينًا » والله أعلم[٧٠] .

(٢٠) واو الثمانية

ذكر ابن هشام واو الثمانية ونسب القول بها إلى جماعة من الأدباء ومن النحاة الضعفاء كابن خالويه ومن المفسرين كالثعالبي فيما ذهبوا إليه في قوله تعالى من سورة الكهف ﴿ سبعة وثامنهم كلبهم ﴾ على أن العرب تأتي بالواو بعد العدد سبعة لتمام العدد فإن زادت تأتي بالواو ، ويخالف ابن هشام ذلك المزعم ويحملها على واو الحال على تقدير مبتدأ اسم إشارة[٧١] .

والجدير بالذكر أن ابن هشام اختصر أقسام الواو إلى أحد عشر قسمًا تشمل كل الأقسام المذكورة وما تكون فيه الواو من البنية الفونيمية وليست مورفيم المعنى الرابط[٧٢] .

٤-ب فى الدراسات الحديثة

لقد كان موضوع حروف المعانى موضع اهتمام فى الدرس الحديث بين من يتناول دلالاتها أو من يبحث عن القول بأصالتها أو زيادتها فى التركيب[٧٣] وقد نالت الواو من بين حروف المعانى اهتمامًا خاصًا ؛ إذ عولجت من خلال التطبيق على النص القرآنى كتلك الدراسة التى تقدم بها محمد أمين الخضرى لكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر عن الواو ومواقعها فى النظم القرآنى ، فعالج الواو من خلال التطبيق وفى ضوء آراء النحاة القدامى .

وأفرد أبو السعود الشاذلى بحثًا للواو خاصة عالج فيه الأنماط التى ترد عليها وهى حرف معنى منفصل فوصل بأنماطها إلى ثلاثة عشر ، ثم عالج الأنماط التى ترد بها الواو وهى حرف لاصق سواء أكان اللصوق لمعنى صرفى أو كانت الواو من بنية الكلمة ، وليس بخافٍ ما فى ذلك من خلط بين الوحدة المورفيمية وبين العنصر الفونيمى لكننا لسنا فى محل الرد عليه الآن[٧٤] .

وعنى عيسى شحاته بدراسة الواو بكل أشكالها من خلال حصر آراء النحاة القدامى فيها ، ومن خلال آى القرآن الكريم ، وهى من الدراسات الشاملة لما دار حول الواو من درس صوتى أو صرفى ، وأشكالها الوظيفية المختلفة حين ترد فى وظيفة حرف المعنى بالجملة مع موازنة بين الأنماط المتشابهة[٧٥] .

وإلى جوار هذه الدراسات الشاملة للواو بأنواعها فإننا لا نعدم أن نرى دراسة الواو فى نمط ما ضمن دراسة تشمل المتشابه معها فى الوظيفة ، كذلك البحث المقدم عن العطف فى القرآن الكريم ، حيث عولجت حروف العطف

بالدرس النصى وجاءت واو العطف ضمن مجموعة حروف العطف فكان الحديث عن نمط محدد من الواوات[٧٦] .

ومن أهم مالفت إليه هذا البحث ملاحظة الاعتماد على الواو فى العطف كثيراً فى القرآن الكريم من بين باقى الروابط حيث بلغت نسبتها إلى باقى الروابط ٨١,٤٪ ، وهو استخدام يلفت إلى ما للواو من دور فاعل وشائع فى الربط فى الجملة العربية .

وإذا كان العطف بالواو هو الأسلوب الأكثر شيوعًا فى العربية ، فإن دراسة على المصحف الشريف يوضح فيها صاحبها أن حرف الواو بلغ استخدامه فى النص (٦٠٥٥٢) وذلك [٧٧] للواو بأنماطها المختلفة لدليل على ما للواو من أثر فاعل فى الاستخدام الشائع فى الجملة العربية أو الكلمة بأنماطها المختلفة ، وإن كنا لا نعنى إلا بالواو الرابطة كمرفيم صرفى تختلف وظائفه ودلالاته باختلاف أنماط التركيب المشكل فيه والمعانى المحمولة عليه .

ولأثر الروابط عامة فى اللغة ومن بينها الواو فقد أفاد الدرس التطبيقى من الدرس النصى ، فعالج الدكتور أحمد طاهر حسانين بالاشتراك مع ناريمان نائلى أدوات الربط فى العربية المعاصرة ، فى دراسة مقدمة للطلبة بالجامعة الأمريكية وتلك هى الثمرة المرجوة من الدراسات النصية ، حيث تقدم الروابط الأكثر شيوعًا ليفيد منها المتعلم الأجنبى حين يترجم أو ينطق باللغة المتعلمة .

وقد عولجت الواو فى نمطين فى الدراسة حيث جاءت مرة مع روابط العطف ، ومرة أخرى وهى فى هيئة واو الحال الرابطة لجميلة الحال بما قبلها[٧٨] .

ولا أعرف فى اللغة العربية – على قدر اطلاعى – دراسة نصية قامت على النصوص المعاصرة تستقرئ منها الروابط الشائعة، أو تختص برابط محدد فى

اللغـة ، إذ بالنظـر إلـى ما عرض قـبلاً نجد الدرس يـدور فى تلك الفـصحى التراثيـة وفـى ضوء آراء النـحاة للأنماط والأحكام فيـما يتعلق بـالواو ، لذلك فإننى أزعم أنـه حتـى الدراسة التطبيـقية التى قام بها الدكتـور طاهر ، تقوم علـى الاجتهاد والملاحظـة لا علـى أسـاس مـن معـطيات نتائـج دراسـات نصيـة سابقة .

من هذا المنـطلق أزعم أن الدرس النصى لـلروابط مجتمعـة أو موضوعات متفرقة من خلال نصوص معاصرة تصبح ذات قيمة فاعلة فى الإفادة من نتائجها على مستوى حقـل علم اللغة التطبيـقى لأبناء اللغة أو للدارس الأجنبى للغة المعـاصرة؛ ذلـك لأن وظيـفة الـرابط خاصة لغـوية عامـة على مسـتوى اللـغة الأنسانية[٧٩] ، يحـتاجـها المتـحدث أو الكـاتب لـربط الأفكـار ببعـضهـا وربط التعبيرات وكذلك توسيـع الجمل وما إلى ذلك من اسـتعمالات وظيفـية هامة وضرورية فى اللغة .

لذلك فإنه لا تخلو دراسة لغوية لتـراكيب لغة من التعرض لهذا الموضوع ، فهؤلاء نحاتنا العرب قسموا الـكلام إلى اسم وفعل وحرف ويدخل الرابط تحت قسم الحرف ، وهؤلاء الغربيون يقسمون الـكلام إلى ثمانية أقسام - فى الشكل التقليدى[٨٠] - هـى الاسـم Noun والضمـير Pronoun والصـفة Adjective والفعل Verb وحرف الجـر Preposition والرابط conjunction والظرف Ad-verb والتعجب Interjection ، فجعل الرابـط قسمًا قائمًا بذاته فى الـتقسيم ، وحتى فى الاعتراض الحـديث الذى ذهب إلى التقسيم الخمـاسى لم يغفل دور الرابط كقسم فى الكلام .

وعلى أساس ذلك حاولت أن أقدم هذه المساهمة مختاراً حرف الواو كرابط لما له من شيوع فى الجملة العربية قديمًا وحديثًا .

ثانياً : الدراسة النصية :

١- أنماط العطف بالواو :

من الجدير بالذكر قبل التعرض للأنماط - أن نشير إلى أنه بالنظر إلى المادة اللغوية المحددة عينة الدراسة ، وجد أن روابط العطف يكثر استخدامها لدى الكاتب فى إطار نمطين :

الأول : استخدام الربط للتوسيع أو مد الفكرة عن طريق « المورفيم » الحرفى سواء أكان سابقًا لاصقًا مثل الفاء أو سابقًا منفصلاً مثل الواو و «ثم» ويمثل ترتيب الاستخدام حسب الكثرة كالآتى : « الواو - الفاء - ثم - أو - أم - بل » .

الثانى : استخدام النقط من علامات الترقيم بدلاً من الرابط ، ويكون التركيب السطحى محذوف الرابط ، بينما هو مقدر فى التركيب العميق من خلال القرائن اللغوية أو غير اللغوية .

وبالرغم من اعتماد الكاتب على هاتين الوسيلتين فإننا وجدنا أن الواو من بين الروابط هى الوسيلة الأكثر شيوعًا حيث بلغ عدد مرات استخدامها فى المادة عينة الدراسة (٤٧٥) مرة ، وهى أعلى نسبة استخدام بالنسبة لباقى الروابط الحرفية المستخدمة[٨١] .

وخلال هذه النسبة تعددت وظائف الواو فى الاستخدام ، حيث لعبت دور رابط العطف بكل أنماطه فى ثلاثمائة وعشرة مرة وتوزعت ثلاث وظائف فقط النسبة الباقية ، فجاءت فى وظيفة الاستئناف ووظيفة الحال ووظيفة الاعتراض.

ولقد جاء استخدام الواو رابطة فى وظيفة العطف على ستة أنماط عامة تشمل أنماطًا فرعية مع كل نمط رئيسى ، وهذه الأنماط العامة جاءت كالتالى :

أ - مفرد + و + مفرد

ب- جملة فعلية + و + جملة فعلية

جـ- جملة اسمية + و + جملة اسمية

د - جملة اسمية + و + جملة فعلية

هـ- جملة فعلية + و + جملة اسمية

و - شبة جملة + و + شبة جملة

١-١ عطف المفرد على المفرد:

تعددت الأنمـاط الفرعية لنـمط عطف المفـرد على المفرد ، فجـاء من ذلك خلال العينة ثمانية أشكال كالآتى :

١ - أ - ١- مبتدأ + خبر + و + مبتدأ

أو

مبتدأ + و + مبتدأ + خبر

٢ - أ - ١- فعل ناسخ + اسمه + و + اسم معطوف

أو

فعل ناسخ + اسمه + خبره + و + اسم معطوف

٣ - أ - ١- فعل + فاعل + و + اسم معطوف

أو

مشتق + فاعل + و + اسم معطوف

٤ - أ - ١- فعل + فاعل + مفعول + و + اسم معطوف

أو

فعل + فاعل + مفعول (ضمير) + و + اسم معطوف

٥ - أ - ١- حال مفردة + و + اسم معطوف

٦ - أ - ١- نعت معرفة + و + اسم معرفة

أو

نعت نكرةً + و + اسم نكرة

٧ - أ - ١- مضاف إليه + و + اسم

٨ - أ - ١- اسم مجرور بالحرف + و + اسم

ولقد قامت الواو فى كل الأنماط السابقة بدور الدال على الاختصار والحذف من البناء السطحى مع بقاء المعنى على المستوى السطحى مقدراً اعتماداً على وجود المختصر فى البناء العميق .

ويمكننا أن نتعقب الأنماط السابقة من خلال أمثلة لها من العمل لنرى هذا الدور الوظيفى للواو وتلك الدلالة المرادة من الاستخدام .

١- نمط العطف على المبتدأ :

معلوم أن الابتداء وظيفة نحوية فى التركيب تعنى أننا بدأنا بموضوع ما لنحمل عليه خبراً ، لذا فإنه لا يوجد الموضوع بغير محمول مذكور أو مقدر والعكس صحيح ومن هنا كانت الصورة المجردة للتركيب الصحيح نحويًا تشمل البعدين الذين يمكن أن تحل العلامات الملفوظة أو المكتوبة محلهما فى الاستبدالات هكذا .

موضوع + محمول

مسند إليه + مسند

مبتدأ + خبر

محكوم عليه + محكوم به

وبتحقيق العناصر الأساسية فى التركيب النحوى مع توخى دلالة مقصودة من التركيب تتكون الجملة النواة nucleus of the sentence وما يأتى بعد ذلك

من علاقات إلحاق adjuncts كالنعت والبدل .... إلخ لأى جزء فى الجملة لا يعد ضمن إطار النواة .

غير أننا حينما ننظر إلى وظيفة الواو حين تعطف المبتدأ على المبتدأ ، فإنه لا يمكن أن ندخل النمط الجديد إلا فى إطار الجملة المحولة transformed sentence ذلك لأن التركيب الجديد بعد دخول الواو كان يعنى فى العمق أن هناك جملتين نواتين اندمجت إحداهما فى الأخرى على شكل الاختصار بحذف واحد من ركنى تركيب أحدهما وقيام الواو الرابطة بالدلالة على ذلك، فتصبح الجملة من ناحية ما حدث بين التركيبتين جملة مندمجة Fusional Sentence ومن ناحية التركيب السطحى تصبح جملة اختصارية بالحذف elliptical Sentence.

والأمثلة الكثيرة لهذا النمط يمكن من خلال واحد منها أن نوضح تلك الصورة مع بقاء المعنى للتركيب العميق ، إذ فى مثل قول الكاتب : « به انكسارات وعلامات » ضوضاء الذاكرة / ٧٥ ، يمكن أن يمثل التحويل هكذا .

أ - } ١- به انكسارات = خبر مقدم + مبتدأ
٢ - به علامات = خبر مقدم + مبتدأ

ب- به انكسارات وعلامات = خبر + مبتدأ + رابط + معطوف

فإذا كانت الجملتان فى (أ) تثبت لشخص واحد وجود المسند أو المحمول على سبيل الخبر ، فإن الجملة الثانية (ب) تثبت هذا المعنى أيضًا بلا فرق بينهما ، لكن الفرق يتضح لو مثلنا لهما بشكل ثالث فقلنا :

به انكسارات و به علامات

فيخرج الأمر من ربط مفرد بمفرد مع اتحاد الحكم ، ويصير حكمين على واحد فيؤدى إلى معنى التوكيد والمبالغة ، لا إلى معنى الإخبار الثابت عن

وصف ، وهكذا يتضح دور الرابط الواو فى التركيب فى تحويل الجمل البسيطة إلى نوع من الجملة الحذفية مع اتحاد المعنى بين الأصل والمحول إليه .

ويقاس على ذلك الأمثلة التى يأتى الربط فيها بين أكثر من مبتدأ فى حكم واحد مثل قوله : « يا يسوع لك المجد والقوة والغفران » ضوضاء الذاكرة / ٣٥ حيث يمكن أن تعود إلى :

أ - ١- لك المجد .
٢- لك القوة .
٣- لك الغفران .

٢- نمط العطف على أحد أركان الجملة المنسوخة :

ورد لهذا النمط شكلان، أحدهما:- أن يتم العطف على اسم الناسخ، والثاني:- أن يتم العطف على خبر الناسخ، وفي الغالب جاء الناسخ - على مصطلح القدامى؛ الفعل «كان».

ولا يفترق دور الواو فى وظيفة الدمج الشكلى بين جملتين ، إذا ما كان الربط بين اسم الناسخ واسم آخر يدخله فى الحكم ، ولا أقصد فى المقام الأول حكم الإعراب بقدر ما أركز على حكم علاقات الإسناد فى التركيب - وإذا ما كان الربط بين المسند إلى اسم الناسخ .

وإذا ما تصورنا المثال التالى لهذه الصورة الشكلية :

أ - « كانت الوقائع والظروف والألفاظ المبنية فى الحكم المطعون فيه تكوّن جنحة » ضوضاء الذاكرة / ٨٥ .

=

١- كانت الوقائع فى الحكم المطعون فيه تكون جنحة .
٢- كانت الظروف فى الحكم المطعون فيه تكون جنة .
٣- كانت الألفاظ المبنية فى الحكم المطعون فيه تكون جنحة .

نجد أن البنية الأساسية للجملة كانت تمثل ثلاث جمل منفردة والحكم متحد في الجمل الثلاث؛ لذا أمكن عن طريق توظيف الرابط الواو أن ندمج بين هذه الجمل البسيطة ونخرج منها شكلاً جديداً يتفق في المعنى ويختلف في الشكل، فتأتي الجملة في صورتها الأولى في (أ) :

ب - «كانت طريقة كلامها عفوية وتلقائية وصريحة». ضوضاء الذاكرة / ٥٥ .

=

١- كانت طريقة كلامها عفوية .
٢- كانت طريقة كلامها تلقائية .
٣- كانت طريقة كلامها صريحة .

فنجد تعدد أحكام على محكوم عليه واحد ، لذا جاءت الواو في الوظيفة الرابطة للدمج بين الأشكال البسيطة وخلق ذلك الشكل الجديد في البنية السطحية (ب) .

بهذا اختزلت الواو حكمين في (٢ ، ٣) من (أ) كما اختزلت محكومين عليهما في (٢ ، ٣) من الشكل (ب) مع بقاء المعنى المراد أداؤه في الشكلين (١ ، ١) من (أ ، ب) .

٣- نمط العطف على فاعل الجملة :

ويستوي في ذلك أن يكون ركن الإسناد من الأفعال أو ما يشبهها ، فتؤدي الواو وظيفة الدمج الشكلي والاختزال مع بقاء المعنى المراد في الجملة ، ومن ذلك :

أ - «وخرجت المدافع والسفن» . ضوضاء الذاكرة / ٧٥ .

=

١- خرجت المدافع .
٢- خرجت السفن .

ب- « فى الحديقة الباسقة اليانعة الثمار والأزهار » . ضوضاء الذاكرة / ٥٥ .

=

١- فى الحديقة الباسقة اليانعة الثمار .
٢- فى الحديقة الباسقة اليانعة الأزهار .

وباستخدام الواو تحول البناء فى (١ ، ٢) من (أ ، ب) إلى البناء السطحى المذكور فى (أ - ب) ، وبذلك فإننا لا نستطيع - فيما أزعم - أن تغزو الجمل - فى بنائها السطحى - التى تم اختزال عنصر من عناصر أساسيات بناء النواة فى الجملة البسيطة ؛ لا نستطيع أن ننسب الشكل الجديد إلى جملة بسيطة ولكنها تعد نمطًا فى الجمل المعقدة Complex وحدث ذلك عن طريق الإدماج والاختصار .

٤- نمط العطف على مفعول الجملة :

الزعم فى البداية أن المفعول الذى يطلبه الفعل يعد من الأساسيات فى الجملة النواة وليس من الفضلات كما تذهب النظرية التراثية فى نحونا العربى، إذ حينما أقول « قابلت » أو « رأيت » .... إلخ فإن تمام المعنى بحاجة إلى المفعول والأساس فى البناء أن الكلام لفظ مفيد لمعنى ، اللهم إذا قصدت معنى المقابلة على إطلاقها ، وفى هذه الحالة يتحول الفعل المتعدى بالتضمين إلى معنى اللازم .

لذلك فإنى أزعم أن الحد الدقيق للمفعول به هو «المشارك للفعل المتعدى فى المعنى فى إحدى نسبتيه» فالفعل يسند «إلى» فيكون الفاعل اللغوى ويسند «على» فيكون المفعول اللغوى.

وعلى ذلك يدخل نمط الربط بين مفعول الجملة والاسم الواقع بعده فى الحكم ذاته؛ يدخل فى إطار الجمل المختزلة المحولة من بناء بسيط متعددة فى

البنية العميقة إلى بناء سطحى مدمج بوظيفة الواو ومن هذه الصورة ما نراه فى المثال الآتى :

أ- « الا تشترى الخيار والباذنجان والموز » .   ضوضاء الذاكرة / ١٢٥

١- الا تشترى الخيار .

٢- الا تشترى الباذنجان .

٣- الا تشترى الموز .

ثم استخدمت الواو لاختصار التراكيب الثلاثة لاتحاد نسبة الحكم فى الوقوع على الأسماء المتعددة المشتركة فى نسبة واحدة فجاء التركيب السطحى المذكور فى (أ) .

(٥) نمط عطف الاسم الواقع حالاً مفردة على حال مفردة قبله:

هذا النمط من الاختصار يعد مغايراً لنمط الاختصار فى أساسيات الجملة البسيطة ، لأن الحال بأنماطه يعتبر من موسعات الجملة exponsion's sentence إذ الجملة التى تقع فى إطارها جميلة الحال أو موسع الحال تعد من الجمل المعقدة بالتركيب لذلك فإن الاختزال هنا يتم عن طريق تحويل الجملتين المعقدتين إلى جملة واحدة ما دام الحكم السارى فى العلاقات واحداً ، أو بعبارة أخرى ما دام صاحب التعلق أو العنصر اللغوى المناط به الحكم متحد التعلق ، ولنوضح ذلك يمكن الوقوف أمام الصورة التالية :

أ- « ثم عاد برسوم متتشيًا ومبتسمًا » .   ضوضاء الذاكرة / ٤٥

١- ثم عاد برسوم متتشيًا .

٢- ثم عاد برسوم مبتسمًا .

وبالنظر إلى البنـية العميقة deep strucure للجـملة (أ) نراها فـى الأصل مكونة من جملتـين معقدتين ، لكن العنصر اللغوى الـذى لعب دور المسند إليه فى الجملة متحد ، وقد تعلق الحال بهـذا العنصر ، من هنا يمكن للواو أن تقوم بدور وظيفة الدمج والاختصار فتحول الجمـلتين المعقدتين إلى جملة واحدة فى البناء الظاهرى surface structre ولكنها من النوع المعقد أيضا .

٦- نمط عطف النعت على النعت :

يدخل هـذا النمط - أيضـا - فى إطار الدمـج والاختصار ، ويسـتوى فى ذلك أن تكون الجمـلة الأساسية معقدة التـركيب أو بسيطة التـركيب ، غير أن الاختصار هنا لا يحـول الجملة البسيطة إلى معقدة أو يخـتصر المعقدة ، إلا أنه يختصر الموسـعات أو الملحقات Adjuncts فى إطار الجملة الـواحدة ومثال هذه الصورة قول الكاتب :

أ- « إنه الكلب المقصود والمرصود » . ضوضاء الذاكرة / ٧٥

١- إنه الكلب المقصود .
٢- إنه الكلب المرصود .

نجد أنه عندما اتحدت العلاقة بين عنصر المسند والنعت بعده أمكن للواو أن تقوم بدور الاختصار ، وذلك لأن المسند الموصوف واحد فى الجملتين ، لذلك حلت الواو محل ذلك الـعنصر فى التركيب السطحى الجديـد مع بقاء المعنى ، وكذلك لم تخرج الجـملة عن إطار كونها بسيـطة موسعة بالنعت فجـاء التركيب (أ) فى المثال .

٧- نمط عطف الاسم على مضاف إليه :

ويندرج هذا النمط فى إطار الدمج والاختـصار للموسعات إذ الإضافة تعد نوعًا من أنواع قيـود المعنى للمضاف الأمر الـذى يؤثر فى المعنى التركـيبى على

مستوى الجملة ، لذلك فإنه إذا اتحدت نسبة الإضافة ومعناها إلى اسمين أمكن أن تستخدم الواو فى دور الرابط لاختصار العنصر المتكرر مع بقاء المعنى متحداً بين التركيب العميق والتركيب السطحى كما يمثله المثال الآتى:

أ- « فى لباسها الأبيض الخشن حول الراس والجسد ». ضوضاء الذاكرة / ٤٥

١- فى لباسها الأبيض الخشن حول الراس .
٢- فى لباسها الأبيض الخشن حول الجسد .

ففى البنية العميقة نجد اتحاد دلالة العنصر « حول » فى الإشارة إلى لف الثوب الموصوف للراس وللجسد أيضًا ، فلما اتحد المعنى ؛ أمكن للواو أن تستخدم كرابط اختصارى لحذف أحد العنصرين مع بقاء الدلالة فى التركيب السطحى الجديد فى المثال (أ) .

لذلك نجد أنه إذا تغايرت الدلالة فإن الواو لا يمكن أن تستغل فى هذا الشكل الاختصارى للموسع ففى المثال الآتى :

أ- «لا يدل إلا على قوة الإرادة والعزيمة واعتلال الصحة» . ضوضاء الذاكرة / ٧٥

١- لا يدل إلا على قوة الإرادة ، واعتلال الصحة .
٢- لا يدل إلا على قوة العزيمة ، واعتلال الصحة .
٣- (٨١)* لا يدل إلا على قوة الإرادة والصحة .
٤ - * لا يدل إلا على قوة العزيمة والصحة.

نجد أن المثال (٣ ، ٤) من (أ) لا يمكن أن يمثلا بنية عميقة صحيحة لهذا المثال لأن قيد الإضافة يختلف ، إذ القوة للعزيمة وللإدارة معاً وإن كانا مترادفين لكن الصحة أخذت من قيد إضافتها معنى آخر مغايراً لمعنى القوة بل ضده فى الوهن والضعف ، لذا لا يمكن أن يصح هذا الاستبدال على مستوى المعنى فينقص أول التركيب بآخره.

٨- نمط عطف الاسم على الاسم المجرور بالحرف :

ويدخل هذا النمط فى إطار الاختصار للموسعات على أى تقدير لمعنى الحرف الجار لعلاقات التركيب إلى الاسم ، ففى الصورة الآتية :

أ- « ابتداءً من الجانب الذى هو فيه والنافذة البعيدة . . . والمنضدة البسيطة ».
ضوضاء الذاكرة / ١١٥

١- ابتداءً من الجانب الذى هو فيه .

٢- ابتداءً من النافذة البعيدة .

٣- ابتداءً من المنضدة البسيطة .

نجد أن المورفيم « من » جاء لعلاقة تحديد نقطة البداية المقاسة بعلامات مشار إليها بالجانب الذى هو فيه ، ثم جاءت النافذة والمنضدة قياسًا أيضاً لتحديد الجهة ونقطة البداية ، فلما اتحد معنى الموسع فى الغرض المستخدم له أمكن للواو أن تقوم بدور اختزال العنصر الجار « من » وتقوم بالدور الوظيفى لدمج الموسعات ، وذلك يمكن أن يحدث فى أى نوع من أنواع الجمل .

ب-١- عطف جملة فعلية على جملة فعلية :

استخدم الكاتب الرابط الواو كثيراً فى هذا النمط ، إذ بلغ فى المادة عينة الدراسة ثلاثًا وخمسين مرة فى أنماط متعددة للجملة الفعلية ، إلا أنه انحصر فى شكلين للجملة ، الأول فى الجملة الفعلية التى تبدأ بما سمى عند النحاة بالفعل الماضى (فعل) أو ما أطلق عليه الفعل التام ، والثانى فى الجملة الفعلية التى تبدأ بما يسمى عند النحاة بالفعل المضارع (يفعل) أو ما أطلق عليه الفعل الناقص ، وبين هذا الشكل وذاك تتعدد الأنماط بين ما يأخذ السوابق معه أو ما يدخل عليه الفعل الناقص فى مصطلح النحاة وهو ما أطلق عليه الفعل

المساعد الوظيفى أو المساعد شبه الوظيفى ، وقد يتنوع الربط بين الشكلين أو يكون الربط بين شكل واحد متحد .

وقد جاءت الأنماط المحصورة من الوصف هكذا اعتماداً على بداية الجملة :

١- فعل تام + و + فعل تام

٢- فعل تام + و + فعل تام + و + فعل ناقص + و + فعل ناقص

٣- فعل تام + و + فعل وظيفى (كاد) + أن + فعل ناقص

٤- فعل تام + و + لم + فعل ناقص

٥- فعل تام + و + فعل وظيفى (كاد) فعل شبة وظيفى (يود) + أن + فعل ناقص + و + قد + فعل تام + و + فعل تام

٦- قد + فعل تام + و + فعل تام

٧- لا + فعل تام + و + فعل تام

٨- فعل وظيفى (كان) + قد + فعل تام + و + لم + فعل ناقص

٩- أن + فعل ناقص + و + فعل ناقص

١٠- فعل وظيفى (كان) + فعل ناقص + و + فعل تام

١١- لم + فعل ناقص + و + فعل تام

١٢- فعل شبه وظيفى (راح) + فعل ناقص + و + فعل تام

١٣- فعل ناقص + و + فعل ناقص

١٤- فعل تام + و + فعل وظيفى (ظل) + فعل ناقص

١٥- فعل تام + و + وظيفى (حاول) + أن + ناقص + و + وظيفى (بدأ) + ناقص + و + ناقص + و + ناقص + و + وظيفى (حاول) + أن + ناقص + و + لم + شبه وظيفى (يستطع) + أن + ناقص

١٦- وظيفى + المصدر + و + تام + و + تام + و + شبه وظيفى (استطاع) + أن + ناقص + و + شبه وظيفى (حاول) + أن + ناقص

١٧- تام + و + أن لا + ناقص + و + تام

١٨- وظيفى (كان) + ناقص + و + ناقص + و + ناقص + و + تام + و + تام

١٩- تام + و + شبه وظيفى (حاول) + أن + ناقص + و + تام

٢٠- س + ناقص + و + س + ناقص

٢١- وظيفى (كان) + فعل ناقص + و + ناقص(٨٢)

وفى كل الأنماط الفرعية السابقة جاءت وظيفة الواو للربط والتوسيع ولم تأت للاختصار - كما كان الحال بالنسبة لربط المفرد - ، وبالتالى فإن الربط بالواو فى هذه الأنماط يحول أشكال الجمل البسيطة أو البسيطة الموسعة أو المعقدة إلى جملة مركبة .

Compound Simpile Sentence

Compound complex sentence or

ولتوضيح هذه الوظيفة يمكن أن نعرض أمثلة للأنماط تبين مظاهر وظيفة الربط فمن النمط الأول :

[فعل تام + و + فعل تام]

أ- « وتزوج من اختارها ومنح أجازة » . ضوضاء الذاكرة / ٥

١- تزوج من اختارها .
٢- منح إجازة .

نلاحظ أن البناء السطحى حين يحلل لمكوناته فإنه يعطى الشكل (١ ، ٢) والتركيب الأول منهما جملة معقدة لأنها تحضن فى داخلها جملة صلة موصول وقعت تمامًا للمفعول ، بينما الجملة الثانية جاءت من النمط البسيط غير الموسع وكل جملة منهما لها استقلالها فى التعبير عن فكرة ما مع تمام حدثها ، ثم جاءت وظيفة الواو فجمعت بين الاثنين لا فى الأحكام ولكن فى تسلسل توالى الأفكار مع عدم وجود دلالة على الترتيب الحدثى ، وبذلك خرجت الجملة السطحية على مستوى التوالى المورفيمى كوحدة واحدة فى سلسلة متحدة يمكن النظر إليها على الشكل الآتى :

تزوج / من / اختار / ها / و / منح / اجار / ة

وقد مثلت الواو فى السلسلة وحدة مورفيمية رابطة ولم تمثل أى اختصار أو تعويض عن أى مورفيم أو أى وحدات ساقطة من البناء العميق للبناء السطحى ومن النمط الثانى :

[فعل تام + و + فعل تام + و + فعل ناقص + و + فعل ناقص]

أ- « ثم أعلن أنه لا يطمئن إلى المحاكمة وطلب أن يعاد تشريح الجثة هناك وأن يسلم إليه الحبل » . ضوضاء الذاكرة / ٢٥

١- أعلن أنه لا يطمئن إلى المحاكمة .
٢-أ- طلب أن يعاد تشريح الجثة هناك .
٢-ب- طلب أن يسلم إليه الحبل .

نجد أن البناء العميق للمثـال (أ) يحوى داخله ثلاث جمل معقدة هى (أ ، ٢ - أ ، ٢ - ب) فجـاءت الواو لدمـج الجمل بغـير اختـصار ولا جمـع فى الأحكام ، فـتحولت الجـملة المنفكة إلى جـملة واحدة مـحولة transformed sentence من النوع المركب المعقد Compound - Complex Senteunce.

فجاء البناء السطحى surface strucure فى المثال (أ) .

والقانون نفسه لو طبق على النمط الثالث ، مثال :

أ- « وشعرت أنها تهوى . . وكادت أن تسقط ». ضوضاء الذاكرة / ٩٥

١- شعرت أنها تهوى .
٢- كادت أن تسقط .

فالبنـاء العميق يحـوى جملتين إحداهـما معقدة والثـانية بسيطـة ثم ربطت بينهما الواو فضـمتها فى جملة واحدة من نوع جديد هى الجمـلة المركبة المعقدة معاً .

وباستـعراض كل الأنماط نجد الـقانـون مطــرداً فـى وظيـفة الواو فى الربـط والتحويـل غير أن الجديـر بـالذكـر هـو أن تلك الواو الرابطة بـين الجمل لتحويـلها إلـى جملة واحــدة مما يعطى للـفقـرة معناهـا المتكامل فــى رسم الـفكرة هـذه الواو يمكن استغلالـها فى وظـيفتـين فى بعـض الأنمــاط حيــث تستغل للـربـط وفـى الوقــت نفسه لاختـصار بعـض العناصـر الواردة بالجملة السابقة ، وتقوم الواو بوظيفة القرينة الدالة من ذلك ما نجد فى النمط .

[وظيفى (كان) + ناقص + و + ناقص]

أ- «كان الزعيم يركع ويسجد ويقرأ القرآن فى السجن ويرفع يديه إلى السماء».
ضوضاء الذاكرة / ١٢٥

=

١- كان الزعيم يركع .
٢- كان الزعيم يسجد .
٣- كان الزعيم يقرأ القرآن فى السجن .
٤- كان الزعيم يرفع يديه إلى السماء .

فلما تعددت الإسنادات لمحكوم عليه واحد ، وفى الوقت نفسه اتحد الفعل الوظيفى[٨٣] أمكن للواو أن تلعب وظيفة المختصر بالإضافة إلى الربط وتحويل الجمل إلى جملة واحدة يمكن أن يطلق عليها فى هذه الحالة الجملة الحذفية المركبة elliptical compound sentence ، مع عدم الإغفال أن الواو جمعت وأثرت فى أحكام المعنى حيث أدخلت كل الأحداث التالية لها فى إطار الفعل الوظيفى لتصبح أفعالاً مظهرية .

وإذا كان قانون الربط المحول للجملة الفعلية مطرداً ومحصوراً فى الوظيفتين السابقتين ، إما ربط تحويلى وإما ربط تحويلى اختصارى إذا كان الأمر كذلك فإنه بالإمكان أن نعرض تمثيلاً لبعض الأنماط دون تحليل اللهم إلا بيان الجمل الفرعية فى البنية العميقة فقط هكذا :

نمط - فعل تام + و + فعل تام   مثل

(بناء سطحى) أ- «تحررت منه وجلست بعيداً عنه». ضوضاء الذاكرة / ٤٥

بناء عميق { ١- تحررت منه
٢- جلست بعيداً عنه

نمط - فعل تام + فعل ناقص + و + فعل ناقص + و + تام

بناء سطحى أ - « أشار إليه شاب يرتدى ملابس مدنية خفيفة وتظهر منها الفلنة .. وطلب منه أن يتبعه » . ضوضاء الذاكرة/ ٦٥

بناء عميق:
- ١- أشار إليه شاب
  - يرتدى ملابس مدنية خفيفة.
  - وتظهر منها الفلنة
- ٢- طلب منه أن يتبعه

نمط - فعل تام + و + كاد + أن + فعل ناقص

بناء سطحى أ - «وشعرت أنها تهوى وكادت أن تسقط» . ضوضاء الذاكرة/ ٩٥

بناء عميق:
- ١- شعرت أنها تهوى
- ٢- كادت أن تسقط

نمط - فعل تام + و + لم + فعل ناقص

بناء سطحى أ - «لكنه ذاب فى الرمل ولم يبق منه سوى الجمجمة» .
ضوضاء الذاكرة/ ٩٥

بناء عميق:
- ١- لكنه ذاب فى الرمل
- ٢- لم يبق منه سوى الجمجمة

نمط - فعل تام + و + كاد + يود + أن + فعل + و + قد + فعل تام + و + فعل تام

بناء سطحى أ - «التصق بها أكثر وكاد يود أن يقبلها لولا أن الأتوبيس قد توقف ونزل منه الركاب» ضوضاء الذاكرة / ٦٥

=

بناء عميق[٨٤]:
- ١- التصق بها أكثر
- ٢- كاد يود أن يقبلها
- ٣- الاتوبيس قد توقف
- ٤- نزل منه الركاب

نمط - كان + قد + فعل تام + و + لم + فعل ناقص

بناء سطحي أ - « كان قد فقد حاجته إلى إنسان يحكي له ولم يعد بحاجة إلى إعادة التجربة » . ضوضاء الذاكرة/ ٥٥

بناء عميق
١- كان قد فقد حاجته إلى إنسان يحكي له
٢- لم يعد بحاجة إلى إعادة التجربة

نمط + راح + فعل ناقص + و + فعل تام + و + تام + و + تام

أ - « راحت ترددها مرات واقتربت من الركاب ودارت بعينيها بينهم وشاهدت » . ضوضاء الذاكرة/ ٨٥

=

بناء عميق
١- راحت ترددها مرات
٢- اقتربت من الركاب
٣- دارت بعينيها بينهم
٤- شاهدت

نمط - كان + ناقص + و + ناقص + و + ناقص

أ - « كنت أجوب المراكز والأقسام وأقف أمام من خطفت من رقابهن المصاحف والصلبان ويحدقن فيَّ » . ضوضاء الذاكرة/ ١٢٥

بناء عميق
١- كنت أجوب المراكز والأقسام
٢- أقف أمام من خطفت من رقابهن المصاحف والصلبان
٣- يحدقن فيَّ

وهكذا تأتي كل الأنماط التي مثّل لصورتها غير أن الملاحظة الجديرة بالذكر

هى أن الجمل التى تربط بينها الواو علـى سبيل التحويل أو الدمج أو الاختصار كلها لابد ان تـكون على علاقة روابط سياقيـة على المستوى النحوى لـلتركيب ولم تأت الواو رابطة على مستوى تحويل الجمل إلى مركبة أو تحويلها إلى شكل مدمج لم تأت فى سياق ليس به علاقات ربط ولتوضيح هذا المقصد يمكن عرض التصور من خلال مادة الكاتب هكذا .

نمط - فعل تام + ظل + فعل ناقص

أ - « وأسلم أمره لله وظل يحدق فى الطريق » . ضوضاء الذاكرة/ ١٠٥

=

بناء عميق { ١- أسلم أمره لله
٢- ظل يحدق فى الطريق

بالنظر إلى الجـملتين البسيطتين فـى البناء العميق نجد أن كل واحـدة منهما تمثل بناء مستقلاً من الناحية الشكلية فعناصر الجملة الأولى مكتملة .

مسند = أسلم

مسند إليه = Ø [٨٤]

مسند عليه = أمره (المفعول به فى المصطلح النحوى)

موسع = لله (الجار والمجرور)

وعناصر الجملة الثانية :

تعبير مركب { فعل وظيفى = ظل (الفعل المساعد)
مسند = يحدق (الفعل الرئيسى)

مسند إليه = Ø

موسع = فى الطريق .

غير أن هناك عناصر ربط بين الجملتين تؤهل للتحويل من جملة بسيطة إلى جملة مركبة عن طريق رابط الواو وتتمثل عناصر الربط بين الجملتين فى الضمير المسند إليه فى الجملة الأولى وفى الضمير المضاف إلى المسند عليه فى الجملة نفسها أما فى الجملة الثانية فعنصر الربط الضمير المسند إليه هكذا .

أسلم هو   أمره   -   ظل يحدق هو

ولوجود ذلك الربط المؤهل أمكن الربط بالواو وتحويل الجملة ،

نمط - تام + و + حاول + أن + ناقص + و + بدأ + ناقص + و + ناقص +
و + ناقص +و+ حاول + أن + ناقص + و + لم + يستطع +أن+ ناقص

أ- « وطافت عيناه مرة ثانية وحاول أن يعرف وبدأ يأتى ناحية يمين الصورة ويتأملها ويأتى ناحية يسارها ويتأملها وحاول أن يتعرف على أطراف الكلب ولم يستطع أن يحدد » .   ضوضاء الذاكرة / ١١٥

=

بناء عميق:

١- طافت عيناه مرة ثانية .

٢- حاول أن يعرف .

٣- بدأ يأتى ناحية يمين الصورة ويتأملها .

٤- (بدأ) يأتى ناحية يسارها ويتأملها .

٥- حاول أن يتعرف على أطراف الكلب .

٦- لم يستطع أن يحدد .

=

١ - مسند + علامة تأنيث = طافت

- مسند إليه + ضمير مضاف = عيناه

- موسع = مرة ثانية

٢ – تعبير مركب
فعل شبه وظيفى = حاول
صله = أن
المسند = يعرف (الفعل الرئيسى)
مسند إليه = Ø

٣ – تعبير مركب
فعل وظيفى = بدأ
مسند = يأتى (الفعل الرئيسى)
مسند إليه = Ø
مسند عليه = ناحية
موسعات = الصورة + ويتأملها

٤ – تعبير مركب
فعل وظيفى = Ø[٨٥] (بدأ)
مسند = يأتى (الفعل الرئيسى)
مسند إليه = Ø
مسند عليه = ناحية
موسعات = يسارها ويتأملها

٥ – تعبير مركب
فعل شبه وظيفى = حاول
صله = أن
مسند = يتعرف
مسند إليه = Ø

عبارة تكلمة – محل المسند عليه = على أطراف الكلب

٦ - (٢) تعبير تلفيقى

سابقة نفى = لم

فعل شبه وظيفى = يستطع

صلة = أن

مسند = يحدد

مسند إليه = Ø

وبالنظر إلى الجمل السابقة فى البناء العميق نجد عنصر الربط المساعد هكذا .

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦

- عينا ه ، يعرف هو ، يأتى هو ، يأتى هو ، يتعرف هو ، يحدد هو

وقد تمثل فى الضمير الذى يجعل من كل فكرة منسوبة إلى المخبر عنه مناط الفكرة الأولى نفسها ، الأمر الذى خول للواو أن تلعب دور الربط وتحويل الجملة .

جـ-١- عطف جملة اسمية على جملة اسمية :

استخدمت الواو كرابط تحويل من الجملة البسيطة أو المعقدة إلى الجملة المركبة فى أنماط عطف الجملة الاسمية على مثيلتها ، وقد تعددت أنماط الجمل الاسمية المربوطة بالواو فى إطار جملتها الجديدة ولكن كل الأنماط تدور فى إطار شكلين :- الأول منهما تحويل من بسيط إلى مركب فى الأخبار والثانى منهما تحويل مع اختصار وتعويض فى الإخبار المؤكد من خلال الأنماط الآتية :

الشكل الاول الخبر

١- مبتدأ + خبر + و + مبتدأ + خبر

٢- مبتدأ + خبر + و + خبر + مبتدأ

٣- مبتدأ + خبر (فى جميلة الصلة) + مبتدأ + خبر

الشكل الثانى الإخبار المؤكد (دمج وتحويل مع اختصار)

١- أن + مبتدأ + خبر + و + خبر + مبتدأ

وقد يأتى فى الشكل الثانى مالا يكون فيه اختصار كذلك

٢- أن + مبتدأ + خبر + و + أن + مبتدأ + خبر

ولتوضيح صور هذه الأنماط ووظيفة الواو ودلالتها يمكن أن نعرضها بالتعويض من خلال أمثلة من واقع النص .

نمط (١) مبتدأ + خبر + و + مبتدأ + خبر

بناء سطحى أ - « الانتظار صعب ومستقبلك فى خطر » . ضوضاء الذاكرة/ ١٥

بناء عميق
١- الانتظار صعب .
٢- مستقبلك فى خطر .

نجد أن الجملة (١) تمثل جملة بسيطة نواة ، وكذلك الجملة (٢) ولكن لما كانت الجملة الثانية متعلقة بالأولى بعنصر المقام لأنها تتعلق بالخبر المبرر بالجملة الثانية ، لما كان ذلك أمكن أن تقوم الواو بالدور الوظيفى لها فى تحويل الجملتين إلى جملة واحدة من النمط المركب مع بقاء الدلالة للبناء العميق، بغير اختصار لأى عنصر منها.

نمط (٢) مبتدأ + خبر + و + خبر + مبتدأ

أ - « المنضدة البسيطة المفروش عليها غطاء أخضر وبجوارها كرسى وخلفها عدة كراسى » . ضوضاء الذاكرة/ ١١٥

بناء عميق
١- المنضدة البسيطة المفروش عليها غطاء أخضر .
٢- بجوارها كرسى .
٣- خلفها عدة كراسى .

نرى أن الجملة (١) من النمط المعقد حيث وسع المبتدأ بالوصف أولاً ثم جاء الخبر ليمثل جملة من البسيطة الموسعة أيضًا مع بناء المفعول المسند إلى نائب فاعل موصوف فى الجملة ، ثم جاءت الجملة (٢) مرتبطة بالجملة (١) عن طريق الضمير (ها) العائد ربطاً على المنضدة ، وهى من النوع البسيط (النواة) مكونة من الخبر والمبتدأ المؤخر ، وجاءت الجملة (٣) مرتبطة بالأولى عن طريق الضمير (ها) وهى بسيطة وموسعة عن طريقة الإضافة الموضحة للنوع فى المسند إليه المؤخر .

وهكذا ساعدت القرينة السياقية الرابطة أن تلعب الواو دور الرابط المحول للبناء العميق إلى ذلك البناء السطحى المكون لجملة واحدة من الشكل المعقد المركب معًا .

أما فى الشكل الثانى فإننا نرى الواو بإمكانها أن تقوم بوظيفتين على مستوى التركيب الأول،الربط والتحويل - كما هو شأن الشكل الأول - والربط والتحويل والاختصار لعنصر فى الجملة مع بقاء الدلالة ومن ذلك .

نمط (١) إن + مبتدأ + خبر + و + خبر + مبتدأ

أ - « إن خط الحياة فى يدك يشبه السلسلة وبه انكسارات وعلامات » .

ضوضاء الذاكرة/ ٧٥

=

١- إن خط الحياة فى يدك يشبه السلسلة.

٢- إن به انكسارات

٣- إن به علامات

نلاحظ أن المؤكد المورفيم « إن » جاء فى صدر الجملة (١) وأن الجملة (٢) على علاقة بالجملة (١) عن طريق الهاء (ب/ ـه) الواقعة فى عبارة الإسناد

والتى تعود على المسند إليه المؤكد فى الجملة الأولى[٨٦] ، بينما فى الجملة (٣) لا نجد إلا المسند إليه بينما اختفت عبارة الإسناد المقدرة بالعبارة ذاتها فى الجملة (٢) على تقدير (به) فى البناء العميق .

ولما كانت هذه العلاقات موجودة فى الجمل الأساسية قامت الواو بدور الرابط المحول لهذه الجمل الثلاث إلى جملة واحدة مركبة ، ليس ذلك فحسب بل اختصرت الواو بعض العناصر من الجملتين (٢ ،٣) حيث كانت قرينة لغوية للدلالة على وجود المؤكد فى صدر كـ جملة، هذا على مستوى الجمل الثلاث، بينما على مستوى تتابع الجملة (٢ ،٣) اختصرت الواو عبارة الإسناد المكررة للدلالة نفسها فسقط من الجملة الثالثة عنصر يمثل مورفيمين فى الباء والضمير الرابط ، وأصبحت الواو هى القائمة بتلك الدلالة على ما فى البناء العميق من تقدير ، وبذلك جاء البناء السطحى فى الشكل (أ) ليمثل هذه العلاقات .

نمط (٢) أن + مبتدأ + خبر + و + أن + مبتدأ + خبر

(أ) - «أن الكون متناسق وأن التناسق أساس فيه» . ضوضاء الذاكرة/ ٧٥

=

بناء عميق ⎰ ١- أن الكون متناسق
⎱ ٢- أن التناسق أساس فيه

فالجملة (١) جملة بسيطة موسعة عن طريق مورفيم التوكيد (أن) والجملة الثانية كذلك ، لكن هناك علاقة رابطة بين الجملتين عن طريق الضمير فى العبارة (فيه) العائد على المسند إليه بالجملة الأولى ، وكذلك تحول المسند بالجملة (١) إلى مسند إليه بالجملة (٢) .

لذا قامت الواو بدور الرابط المحول فقط ، فجمعت بين الجملتين لما بينهما من وشائج سياقية ، فى بناء سطحى جديد مع بقاء دلالة البناء العميق .

٤-١- نمط عطف الجملة الفعلية على الجملة الأسمية :

لم يرد هذا النمط فى المادة إلا فى جملة واحدة نظراً لأن علاقة الحالية فى الجميلة التابعة تكون بديلاً فى الشائع لذلك النمط .

ومع ذلك فإننى أرجح أن تمثل الجملة التالية نمط عطف الفعلية على الاسمية هكذا .

(أ) - « بعضهم يظل يتحدث معى طول الرحلة وبعضهم ينام وآخرون يحضرون الكتب ، وبعضهم يكون له دراية كاملة بالمرحلين فى الخلف ويسالونهم فى بعض الأمور » . ضوضاء الذاكرة/ ١٠٥

=

بناء عميق

١- بعضهم يظل يتحدث معى طول الرحلة
٢- بعضهم ينام
٣- آخرون يحضرون الكتب
٤- بعضهم يكون له دراية كاملة بالمرحلين فى الخلف
٥- يسالونهم فى بعض الأمور

وقد ربط الضمير سواء وهو يمثل الإضافة أو المسند إليه فى إطار الإسناد المكون من المسند والمسند إليه ، قام الضمير بتلك العلاقة التى مهدت للواو إمكانية الربط بين هذه الجمل وتحويلها إلى جملة واحدة على البناء السطحى .

هـ-١- عطف جملة اسمية على جملة فعلية :

وكما استخدمت الواو للربط والتحويل بين الجمل الفعلية أو الاسمية أو الاسمية الفعلية التى على علاقات ببعضها كذلك استخدمت بشكل شائع للربط والتحويل بين الجملة الفعلية والاسمية فى ثلاثة أشكال تضم عدة أنماط

فرعية ، فالشكل الأول بجمع بين الجملة الفعلية المتصدرة بالفعل التام والجملة الاسمية والشكل الثانى يجمع بين الجملة الفعلية المتصدرة بالفعل الناقص المسبوق بالسابقة (لم) والجملة الاسمية والشكل الثالث يجمع بين الجملة الفعلية المحولة إلى فعلية عن طريق الفعل المساعد الوظيفى أو شبه الوظيفى بالإضافة إلى الجملة الاسمية ، غير أن الجمل الاسمية فى كل الأنماط قد تكون مبدؤه بالضمير أو السابق المستدرك (لكن) هكذا :

١- فعل تام + ← [٨٧] + و + خبر + مبتدأ

٢- كان + اسمها + خبرها + و + مبتدأ + خبر

٣- كاد + اسمها + خبرها + و + لكن + مبتدأ + خبر

٤- لم + فعل ناقص + و + لا + مبتدأ + خبر

٥- فعل شبه وظيفى + أن + فعل ناقص + ← + و + لكن + مبتدأ + خبر

ومن خلال هذه الأشكال الشائعة فى المادة اللغوية يمكن أن نمثل لبعض الجمل التى تم فيها الربط والتحويل عن طريق الواو مثال :

نمط (١) فعل تام + ← + و + خبر + مبتدأ

(أ) - فوجدت الباذنجان يتمدد سامقًا وفيه سمرة الزنوج

ضوضاء الذاكرة/ ١٢٥

=

١- وجدت الباذنجان يتمدد سامقًا

٢- فيه سمرة الزنوج[٨٨]

وحين جاءت عناصر الربط السياقى بين الجملة (١) والجميلة المحضونة فيها

Constituent Sentence [يتمدد سامقًا] والجملة (٢) والتى تمثلت فى الضمير العائد على المسند عليه (المفعول به) فكلمة (الباذنجان) والضمير المسند إليه (هو) المقدر فى الفعل (يتمدد) والضمير العائد من المسند فى العبارة (فيه) حين جاءت هذه العناصر خولت للواو الربط بين الجملتين (١) ، (٢) وتحويلهما إلى جملة واحدة فى البناء السطحى الموجود فى الشكل (أ) .

نمط (٢) كان + اسمها + خبرها + و + مبتدأ + خبر

(أ) - « كانت نظراته تتبعها وهو ما زاد فى اضطرابها » .

ضوضاء الذاكرة/ ٨٥

=

١- كانت نظراته تتبعها
٢- هو ما زاد فى اضطرابها

نلاحظ أن الجملة (١) كانت فى الأصل اسمية ثم تحولت إلى فعلية بدخول الفعل المساعد الوظيفى « كان » عليها ليجعل من فعلها المسند تعبيرًا مركبًا « كانت تتبع » ثم جاءت الجملة (٢) مرتبطة بالجملة (١) عن طريق الضمير العائد على محتوى التركيب الأول (هو) أى « كانت نظراته تتبعها ، الأمر أو الشأن ، فعوض الضمير « هو » عن ذلك المحتوى ، ثم عضد ذلك الضمير بالموصول الحرفى « ما » أى « الأمر الذى » ثم جاء الضمير المضاف إليه فى عبارة « فى اضطرابها » ليعود على المسند عليه (المفعول) فى الجملة (١) .

وبتلك العناصر السياقية الرابطة زاولت الواو مهمة الربط والتحويل بين (١ ، ٢) فجمعت بينها فى التركيب السطحى (أ) مع بقاء دلالة التركيب العميق، وهذا ما نجده فى كل أنماط الربط بين جملة فعلية وأخرى اسمية هكذا .

نمط (٣) كاد + اسمها + خبرها + و + لكن + اسمها + خبرها

(أ) - « كادت أن تسقط ولكنها ترنحت » . ضوضاء الذاكرة/ ٩٥

=

عميق { ١- كادت أن تسقط
٢- لكنها ترنحت }

الرابط المسند إليه المستتر « هى » بعد « كادت » والمسند إليه المستتر مع الفعل « ترنحت » وكذلك اسم « لكن » فى الهاء العائد على المسند إليه فى الفعل الرئيسى بالجملة (١) « تسقط » وهو ذاته الضمير بعد « كادت » بالإضافة إلى مورفيم التأنيث .

نمط (٤) لم + فعل ناقص + و + لا + اسمها + خبرها

(أ) - « لم أحاول ولا شأن لى به » . ضوضاء الذاكرة/ ١٠٥

=

١- لم أحاول أن أقرأ أوراق التقرير

٢- لا شأن لى به

نرى فى الجملة (١) أنها جملة حذفية elliptical Sentence سقط منها مركب التعبير مع الفعل المساعد الدال على القدرة « أحاول » الذى يمثل جزءا من التعبير «أحاول أن أقرأ» ثم سقط المسند عليه بقيد إضافته الموسعة «أوراق التقرير» وذلك للعلم من السياق السابق على ذلك فى الحوار ، ثم جاءت عناصر الربط فى الجملة (٢) متمثلة فى الضمير الكائن فى العبارة «لى» العائد على المسند فى الفعل « أقرأ (أنا) » وكذلك الضمير الكائن بالعبارة (به) العائد على المسند عليه (المفعول) المحذوف من الجملة (١) .

نمط (٥) فعل شبه وظيفى + أن + فعل ناقص + و + لكن + اسمها + خبرها

(أ) - « وحاول أن يستعيد الكتاب ولكن الظلام الدامس الذى كان قد خيم على الطريق وامتد ليشمل العربة منعه من مواصلة القراءة ».

ضوضاء الذاكرة/ ١٠٥

=

١- حاول أن يستعيد الكتاب **ليقرأه**[1]

٢- لكن الظلام الدامس

الذى كان قد خيم على الطريق ⎤
⎥ منعه من مواصلة القراءة
امتد ليشمل العربة ⎦

نلاحظ أن عناصر الربط بين الجملة (١) تحققت فى الضمائر فى الجملة (٢) ونعنى بها الجملة « لكن الظلام الدامس منعه من مواصلة القراءة » إذ ضمير المسند عليه المفعول فى الفعل «منعه» يعود على المسند إليه فى الفعل «يستعيد» والمصدر «القراءة» رابط للتأويل فى الفعل مع السابقة «ليقرأه».

ومن الجدير بالملاحظة أن الجملة (٢) تمثل جملة حاضنة matrix sentence لجميلتى النعت « الذى كان قد خيم على الطريق - امتد ليشمل العربة » وغير خاف ما فى الجميلتين من عناصر الربط بينهما وبين الجملة الرئيسية الحاضنة، وتلك من وظائف ربط الواو بين الجميلات المحضونة .

و-١- نمط عطف العبارة على العبارة (شبة الجملة)

لم يشع هذا النمط كثيراً إذ مثلته جملة واحدة خلال المادة عينة الدراسة وهى إمكانية من إمكانات وظائف الربط والتوسيع التى تقوم بها الواو حيث العبارة تعد من موسعات الجملة إن لم تكن فى موضع المسند عليه .

وتتضح وظيفة التوسيع للواو مع العبارات من خلال المثال التالى :

(أ) – أجابها وعيناه تلمعان بدهاء فيه إشفاق عليها وعلى شبابها الغض ضوضاء الذاكرة/ ٩٥

=

أجابها { – عيناه تلمعان
– بدهاء فيه إشفاق { عليها
على شبابها الغض

فالجملة من النمط الموسع المعقد وعلاقات الربط التى يقوم به الضمير بين الجملة النواة الحاضنة وبين الجميلات المحضونة للحال قائمة وهى موسعة بالعبارة الأولى (عليها) المربوطة بالضمير أيضًا ، ثم جاءت العبارة (على شبابها الغض) مربوطة بالضمير العائد على المسند عليه (المفعول) فى الفعل (أجابها) وهو ذات الضمير فى العبارة الأولى (عليها) لذلك قامت الواو بوظيفة الربط للموسع فى العبارة التى بعدها .

٢- أنماط الواو الرابطة للجميلات المحضونة :

٢-١ أنماط واو الربط فى جميلات الحال :

لعبت الواو دور الرابط للجميلات المحضونة الدالة على الحال فى إطار الجملة الحاضنة ، رابطة بذلك بين عنصر متعدد وهو ما يسمى جميلة الحال وأحد عناصر الجملة الرئيسية الحاضنة وهو ما يسمى صاحب الحال ، وكان ذلك من خلال شكلين يجمعان تحتهما عدة أنماط فرعية لكل شكل .

أما الشكل الأول :- فإنه أتى فى التركيب الفعلى أو ما يسمى الجملة الفعلية ، وجمع الأنماط الآتية :

١- الجملة الحاضنة + و + فعل تام

٢- الجملة الحاضنة + و + قد + تام

٣- الجملة الحاضنة + و + فعل ناقص

٤- الجملة الحاضنة + و + لم + فعل ناقص

٥- الجملة الحاضنة + و + لم + فعل وظيفى + قد + فعل ناقص

وأما الشكل الثانى فقد تمثل فى الجملة الاسمية سواء أكان المسند إليه فيها الضمير أم الاسم وكان المسند فيها الاسم أو التركيب الفعلى هكذا :

١- الجملة الحاضنة + و + مسند إليه (ضمير) + مسند

٢- الجملة الحاضنة + و + مسند إليه (اسم) + مسند (اسم)

أو

٣- الجملة الحاضنة + و + مسند + مسند إليه

وتستوى الوظيفة التركيبية للواو بين النمطين سواء ربطت الجميلة الفعلية أو الاسمية بالجملة الرئيسية الحاضنة ، فى الوقت ذاته فإن وظيفتها الدلالية تكتسب من السياق العام ومن قرائن الروابط الدالة على نوع العلاقة الدلالية بين الجميلة التابعة وبين الجملة المتبوعة فى أحد عناصرها .

ولتوضيح هذه الصورة يمكن أن نعرض بالتحليل لبعض الأمثلة من خلال الأنماط الشكلية سالفة الذكر :

الشكل الأول :

نمط (١) الجملة الحاضنة + و + تام

(أ) - « وضع مختار رأسه على المسند وأغمض عينيه وراح فى تأملاته » .

ضوضاء الذاكرة/ ٥

=

١ - { الجملة الحاضنة } وضع مختار رأسه على المسند

٢ - { الجميلات المحضونة }

٢-أ- اغمض عينيــه

٢-ب- راح فى تأملاته

والعلاقة بين عنصر المسند إليه فى تركيب الجملة (١) مرتبطة بالمعنى بالجميلتين (٢ - أ ، ٢ - ب) لأنهما ارتبطتا بالهيئة عند إسناد حدث الوضع لمختار، هذا ما أعطى للواو الرابطة معه دلالة الحالية من خلال دلالة العلاقة، من ناحية أخرى فإن قرائن السياق اللغوى عن طريق الضمائر الرابطة بين الجميلتين المحضونتين والجملة الحاضنة قائمة وذلك فى رجوع الضمير المستتر فى الفعل (أغمض) إلى عنصر المسند إليه (مختار) وكذلك قيد المضاف إليه فى المسند عليه (المفعول) كلمة (مختار) وكذلك الضمير المستتر فى الفعل (راح) والضمبر المضاف إليه فى عبارة (فى تأملاته) .

لكل ذلك قامت الواو بوظيفة الربط بين الجملة الرئيسية وبين الجميلات التابعة لها ، فى الوقت نفسه أخذت الواو دلالتها المعنوية من علاقات التركيب .

نمط (٣) جملة حاضنة + و + فعل ناقص

(أ) - « عاشت وسط التلال القذرة والنفايات وروث الماشية تمسح القذى عن أعين الأطفال وتضع المرهم الأبيض الممزوج بالدواء فى الأعين المقرحة ، وتنظر فى الجروح المتقيحة بين السيقان» . ضوضاء الذاكرة/ ٤٥

=

١- عاشت وسط التلال القذرة والنفايات وروث الماشية

∅

٢- | | ج

أ- تمسح القذى عن أعين الأطفال | تنظر فى الجروح المتقيحة بين السيقان

ب- تضع المرهم الأبيض الممزوج بالدواء فى الأعين المقرحة

نلاحظ أن الجميلات (٢ - أ ، ٢ - ب ، ٢ - ج) كلها مرتبطة بعنصر المسند إليه المستتر (هى) فى الفعل (عاشت) وعلامة التأنيث مورفيم (تْ) دالاً عليه ، وجاء الضمير المسند إليه فى كل الجميلات مرتبطًا بذلك العنصر فى الأفعال (تسمح ، تنظر ، تضع) .

لذلك قام الضمير بالربط المباشر بين الجميلة (٢ - أ) والجملة الرئيسية ، بينما جاءت الواو لتربط الجميلتين (٢ - ب ، ٢ - ج) بالجميلة (٢ - أ) ومن ثم يكون الربط قم تم بين كل الجميلات وبين الجملة الحاضنة (١) فيتحقق بذلك مكون الجملة الواحدة المتصلة فى البناء السطحى فى الشكل (أ) وتأخذ الواو دلالة معناها من علاقات التركيب .

نمط (٥) جملة حاضنة + و + لم + فعل وظيفى + قد + فعل ناقص

(أ) - « سألوه عن السبب ولم يكونوا قد تعودوا على أن يناقشوه » .

ضوضاء الذاكرة/ ٣٥

=

١- سألوه عن السبب

↕

٢- لم يكونوا قد تعودوا على أن يناقشوه

نجد أن الجملة (١) هى الجملة الرئيسية الحاضنة وهى بسيطة موسعة ، ولكن لعلاقة معنى مستهدفة جاءت الجميلة (٢) لتوضيح أن ذلك الحال الطارئ من السؤال لم يك مألوفًا من المسند إليه واو الجماعة من قبل ، فكان التركيب بذلك المظهر الدال على الماضى المستمر المحقق من خلال التعبير (لم + يكون + قد + تفعّل) .

بالإضافة إلى هذه العلاقة المعنوية ، فإن قرائن الربط السياقى تمثلت فى الضمائر العائدة على المسند إليه بالتطابق وذلك فى الفعل الوظيفى المساعد (يكونوا) وفى الفعل الرئيسى (تعودوا) ، وبذلك جاءت الواو للربط بين الجميلة المحضونة والجملة الحاضنة واكتسبت المعنى من علاقات التركيب الدلالية .

غير أن الملاحظة الجديرة بالتسجيل هنا من خلال الأنماط أن الواو تستخدم فى وظيفة ربط جميلة الحال بالجملة الحاضنة حينما تبدأ بالجملة المحضونة بالفعل التام أو الناقص المسبوق بالسابقة "perfix" « لم » الدالة على النفى للإشارة إلى تمام المعنى المقابل لتعبيرها .

نمط (١) من الشكل الثانى :

الجملة الحاضنة + و + مسند إليه (ضمير) + مسند

(أ) - « كنت قد نبهت على زوجتى وأنا غائب ألا تشترى الخيار » .

ضوضاء الذاكرة/ ١٢٥

=

١- كنت قد نبهت على زوجتى ألا تشترى الخيار

٢- أنـــا غائـــب

جاءت الجملـة الرئيسية (١) مـن الشكل المعقـد مكونة من (فعـل وظيفى مساعد «كـان» + السابقة «وقد» + الـفعل الرئيـسى التام «نبه» ، وتمام الجـملة لتفسير مضمون التنبيه الواقع علـى عبارة المسند عليه (المفعول) « على زوجتى » تأتى فى جميلة « ألا تشترى الخيار » .

غيـر أن هـناك معنى تقيـيديا أراد أن يوضحه الـكاتب بأن ذلك التـنبيه فى حالـــة واحدة وهى غيـابه عن البيـت ، لـذلك جـاءت جميلة « أنـا غائب » وهـى جـميلة اسـمية بسيطة وقـعت محضونة ومـرتبـطة بعـنصر المسند إلـيه المتكـــرر فـى الفـعل الوظيـفى المساعد « كـنت » وكذلك فى الـفعل الرئـيسى «نبهت» عـن طـريق الضـمير المنفصـل « أنـا » المسند إلـيه أيضًا فـى بدايـــة جميلة الحال .

مـــن هـــنا قامـت الواو بربـط تلك الجميلة (٢) بـالجملـة الرئيـسيـة ، وأخــذت معـناهـا الدلالـــى مـــن علاقات سياق الجـملة الحاضنة بجمـيلتها المحضونة .

نمط (٢) من الشكل الثانى :

(أ) - « كادت أن تنـهى المرحلة الـتجارية وهى تسـير بجواره وفى أيـديهم أكياس اللب » .   ضوضاء الذاكرة/ ١٥

=

١- كادت أن تنهى المرحلة التجارية

↕

Ø

↕

٢- هى تسير بجواره

↕ ↕

٢- فى أيديهم أكياس اللب

هنا نجد أن الجـميلة (٢) ارتبطـت بالجملة الرئـيسية عن طريـق ما يمكن أن نطلق عليه الحال الزمنى إذ تقدير المعـنى « كادت أن تنهى المرحلة التجارية حين كانت تسير بجواره » ، وعلاقات السياق بالضمير محققة بين التركيبين .

غير أن الجميلة (٣) جاءت مـرتبطة بالجميلة (٢) وليست بالجمـلة الرئيسية مباشرة إذ معنى الجميلة (٣) أنهما كانا يمسكان أكياس اللب حين كانت تسير إلى جواره فى هذه المرحلة بالتحديد ، وقد ربطـت عناصر السياق بين الضمير «هم» المراد به المثنى (هما) وبين الضميرين فى الجميلة (٢) (هى) المسند إليه والضمير (الهاء) القيـد الإضافى فى كلمة (بجـواره) لذا قامت الواو بالربط بـين الجميلة (٢) ، (٣) الأمر الذى يحـقق على اختلاف المعـنى الربط بين الجملـة الحاضنة وجميلاتها المحضونة على اعتبار القرائن والمعنى المقصود .

ومن المهم هـنا أيضًا تسجيـل ملاحظة أن الجميـلات التى تبدأ بالـضمير أو بعبارة الخبر مقدمه عن الاسم المسندة إليه تحتم وجود الواو الرابطة بين جميلتها والجملة الحاضنة ، الأمر نفسه الذى كان مع الأفعال التامة والأفعال المنفية .

٢-ب- انماط الواو الرابطة لجميلة النعت :

يعد النعت من موسعات الجملة حين يأتى على شكل المفردة أو بعبارة أخرى حين تأتى الوحدة الصرفية المورفيم فى هذا الموقع ، غير أنه قد يأتى على هيئة تركيب متكامل العناصر الإسنادية ، فى الوقت الذى يرتبط فيه معنى مجمل التركيب بعنصر له خصائص التنكير الصرفية فى جملة سابقة ، وفى هذه الحالة لا يعد النعت من الموسعات الإفرادية مع بقاء الجملة على تعريفها البسيط ، بل يعد من معقدات الجملة ويحول الجملة الحاضنة إلى نمط الجملة المعقدة Complex Sentence ، وتصبح جميلة النعت محضونة عند توافر علاقات السياق التركيبية .

وتقوم قرائن السياق اللغوى بدور الرابط لجميلة النعت بعنصر المنعوت فى الجملة الرئيسية فى الغالب ، غير أنه يمكن أن تأتى الواو للربط بين جميلة النعت ومنعوتها وفى هذه الحالة تأخذ دلالة توكيد النعت فى الجميلة .

ولم يرد من ذلك فى المادة عينة الدراسة إلا نمطان كالآتى[٨٩] :

١- و + مسند + مسند إليه ، أو و + اسم موصول + جميلة صلة.

(أ) - ثم لاحت لهم من بعيد الكثبان الرملية الناهضة الناعمة ملساء كقطعة عجين ولها رائحة غامضة ضوضاء الذاكرة/ ٦

١- الجملة الحاضنة

أ + ١ - الأسس : لاحت ↕ الكثبان

ب-١ الموسعات للوصف : لهم من بعيد | الرميلة - الناهضة - الناعمة

الموسعات للحال : ملساء - كقطعة عجين

٢- الجميلات المحضونة : لها رائحة غامضة

وهنا نجد أن جميلة « لها رائحة غامضة » قد وقعت على علاقة بأحد الموسعات التابع للجملة الرئيسية وهى مركب « قطعة عجين » التى لم تكسبها الإضافة تعريفًا ، لذا كانت جميلة « لها رائحة غامضة » وصفًا لمركب قطعة عجين ، إذ علاقات التأنيث بين المسند إليه فى الجملة قائمة مع المركب الموصوف،وكذلك عود الضمير فى عبارة الإسناد (لها) .

وكان من الممكن أن يأتى التركيب بغير واو الربط لهذه الجميلة فتكون «كقطعة عجين لها رائحة غامضة » ولا يخل ذلك بالعلاقات أو المعنى ، لكن لما أراد الكاتب التوكيد أدخل الواو للربط فقامت بدور المؤكد لمضمون الوصف القائم فى معنى جميلة الصفة .

٣-ب أنماط الواو الرابطة للاعتراض :

استخدام الكاتب الواو رابطة للاعتراض محضونًا فى إطار الجملة الرئيسية على شكلين: الأول أن يأتى الاعتراض بجميلة حذفية - elliptical - smi sentence والثانى أن يأتى بالجملة التامة elliptical complet semtence، وذلك من خلال الأنماط الآتية:

١- الجملة ⟵/⟶ الحاضنة

+ و + إن + تكن

٢- الجملة ⟵/⟶ الحاضنة

+ و + إن + كان + قد

٣- الجملة ⟵/⟶ الحاضنة

+ و + لا + بد

٤- الجملة ⟵/⟶ الحاضنة

+ و + كأن + اسمها + خبرها

وقد استخدمت الواو الرابطة لجميلة الاعتراض الحذفية أو للجميلة الكاملة فى كل الأنماط لغرض توكيد مضمون الجملة الحاضنة أو لبيان استمرار حالة المسند إليه فى عزمه على إتمام الحدث أو للشك، ولنا أن نتبين هذه الوظيفة ودلالاتها من خلال تحليل أمثلة الأنماط هكذا .

نمط (١) الجملة ←/→ الحاضنة

/+ و + إن + تكن /

(أ) « وحيث إنه إذا قيل أن الجمعية التشريعية وإن تكن جمعية استشارية إلا أن لها السلطة فى تقرير أموال وعوائد جديدة طبقا لنص المادة ١٧ من القانون النظامى» . ضوضاء الذاكرة / ٨٥

١- البناء العميق :

إن الجمعية التشريعية لها السلطة فى تقرير أموال وعوائد جديدة طبقاً لنص المادة ١٧ من القانون النظامى.

٢- جميلات الاعتراض المحذوفة :

أ - إذا قيل   ب- وإن تكن جمعية استشارية إلا أن

فالجملة الحاضنة الأساسية (ا) جملة معقدة موسعة تشمل سابقة التوكيد «إن» وتوسيعًا بالنعت للمسند إليه الواقع فى اصطلاح النحاة العرب اسم «إن» ، ويأتى تركيب المسند ممثلاً فى جميلة اسمية موسعة بالعبارة ثم بالعطف ثم بالتوكيد.

ولما أراد الكاتب أن يؤكد نسبة الإسناد فى كون الجمعية التشريعة لها السلطة ، مهد لذلك بالاعتراض الأول « إذا قيل » ثم جاء بالاعتراض المؤكد الثانى فى شكل جميلة شرطية معقدة يتداخل جزاؤها بالربط مع المسند الأساسى للجملة الحاضنة هكذا.

١- الجملة الحاضنة .

إن الجمعية التشريعية لها السلطة . . . .

٢- جميلة الشرط المحضونة - إن تكن الجمعية التشريعية جمعية استشارية إلا أن لها السلطة

فجميلة « أن لها السلطة » جاءت مشتركة بين الجزاء وبين المسند الأساسى للجملة الرئيسية ، وبذلك ربطت الواو عن طريق تلك العلاقات جميلة الاعتراض بالجملة الحاضنة مع دلالة توكيد المضمون المتمثل فى الإسناد المشترك لنفى زعم القول الذى جاء عن طريق بناء المجهول .

نمط (٢) الجملة ◄——/——► الحاضنة

+ و + إن + كان + قد

(أ) « وهنا أغلق الضابط الكتاب - وكأنه قد أغضب أو أهين - ثم وضعه أمامه - وإن كان قد ثنى الصفحة التى توقف عندها - والتفت إلى السائق قائلاً » . ضوضاء الذاكرة / ١٠٥

١- الجملة الأساسية :

وهنا أغلق الضابط الكتاب ثم وضعه أمامه والتفت إلى السائق قائلاً .

٢- الجميلة المعترضة :

أ- وكأنه قد أغضب أو أهين .

ب- وإن كان قد ثنى الصفحة التى توقف عندها .

فى الجملة الحاضنة الأساسية (١) نجد علاقات التركيب قائمة فى جملة محولة من الشكل البسيط إلى الشكل المركب عن طريق الضمائر وأدوت الربط (ثم - و) ، وخلال هذه الجملة أراد الكاتب أن يؤكد انطباعًا عن صورة المسند

إليه (الفاعل التركيبى) فى الجملة فاعترض بين جزئى التركيب المربوط بالأداة (ثم) بتلك الجميلة الاعتراضية تامة الأركان « كأنه قد أغضب » فبينت الجميلة بوسائل علاقتها بالجزء الأول من الجملة الحاضنة ، المعتمد على الضمير فى «كأنه» والضمير المستتر فى «أغضب» الساد مسد المسند إليه (نائب الفاعل) بينت هذه الجميلة الانطباع الشعورى عن المسند إليه حينما أدى حدث إغلاق الكتاب .

وعلى أساس هذه العلاقة السياقية والدلالة الطارئة المقصود ضمها لمعنى التركيب جاءت الواو للربط والتوكيد فى صدر الجميلة المعترضة ، وكان يمكن أن يصح التركيب لوّ قال « وهنا أغلق الضابط الكتاب - كأنه قد أغضب أو أهين ثم .... » .

غير أنه لما كانت الأحداث السياقية قبل ذلك تدل على أن الضابط كان يقرأ الكتاب والكاتب يريد أن يعطى صورة لشخصيته أنها لم تغلق الكتاب عن زهد فيه أو ملل بل لحدث طارئ مع نية الاستمرار فى إتمام الحدث لما كان الأمر كذلك استعان الكاتب على توكيد رغبة الاستمرار بالجميلة المعترضة الحذفية والتى يمكن تمثلها هكذا .

- إن كان قد ثنى الصفحة التى توقف عندها : فإنه ينوى إتمام القراءة -

فحذف جزاء الشرط للعلم به من خلال السياق العام ، وقد جاء بهذه الجميلة بين التركيبين المضمومين للجملة الأولى عن طريق الربط هكذا .

- ثم وضعه أمامه - وإن كان قد ثنى الصفحة التى توقف عندها - والتفت إلى السائق .

من ناحية أخرى فإننا نجد مغايرة بين الجميلة المعترضة (أ) والجميلة (ب) إذ

الأولى يمكن أن تستغنى عن الواو الرابطة ويصح التركيب ، بينما الثانية إذا سقطت منها الربط بالواو يفسد المعنى ولنا أن نتصورها هكذا .

× - ثم وضعه أمامه - إن كان قد ثنى الصفحة التى توقف عندها - والتفت . . . إلخ، ذلك لأن الجميلة الشرطية فى هذه الحالة سوف تستقل بالمعنى دون رابط يجمعها بالدلالة السابقة ، ويصبح التركيب وحذف الجزاء ضرباً من الغموض السياقى وإفساداً للدلالة وهذا يختلف عن الجميلة (أ) التى جاءت سابقة التشبيه فيها وسيلة كافية للربط غير الشرط .

ومع وجود العلاقات السياقية فى التركيب (ب) الجامع للجميلة مع جملتها الحاضنة متمثلاً فى الضمير المستتر فى (كان) = (كان هو) أى الضابط والضمير فى الفعل (ثنى) = (ثنى هو) أى الضابط وكلمة (الصفحة) التى يمكن عدها بدل جزء من كل تعود على « الكتاب » الواقع مسنداً عليه فى الجملة الرئيسية ، أقول مع وجود هذه الروابط إلا أنها لا تغنى عن وجود الواو للربط بين الجميلة الشرطية المعترضة والجملة الحاضنة .

نمط (٣) الجملة ⟵/⟶ الحاضنة

+ و + لا + بد

(أ) فى تلك الغرفة التى- ولابد-كانت مخصصة ضوضاء الذاكرة / ١١٥

=

الحاضنة ١ - فى تلك الغرفة التى كانت مخصصة

المحضونة ٢ - ولابد

فى هذا النمط نجد أن الجميلة الحذفية (لابد) وقعت معترضة بين الاسم الموصول الواقع نعتًا وبين صلته ، وقد جاء الاعتراض لتوكيد المضمون فى

النعت وذلك بتطابق المسند المحذوف مع صلة الموصول ، الأمر الذى يمكن تصوره هكذا :

١- الغرفة التى كانت مخصصة .

٢- ولابد كانت مخصصة

فلما جاءت جميلة (كانت مخصصة) مشتركة فى الصلة وفى الإسناد إلى اسم « لا » النافية للجنس حذفت من الجميلة الأولى .

وقد استخدمت الواو لتوكيد مضمون النعت فى جميلة الصلة فربطت بين الجميلتين بالاعتراض ، وإن كان التركيب يمكن أن يأتى بغيرها هكذا «الغرفة التى - لابد - كانت مخصصة » .

٣- أنماط الواو المستأنفة :

لا نقصد بالاستئناف بداية الكلام الجديد المنقطع عن الفكرة السابقة ، بل يعنى بداية جملة لإضافة فكرة جديدة لها علاقة وثيقة بإتمام الفكرة السابقة عليها ، ولهذا الغرض من الاتصال المعنوى بين الأفكار تأتى الواو لتبدأ الجمل التى يقصد بها إضافة فكرة جديدة إلى ما سبقها من أفكار حتى تتكامل الصورة بجمع شتات الأفكار الجزئية فى إطار المحور العام المستهدف .

وتحت هذا المعيار العام تأتى الأنماط الفرعية للتراكيب التى تتصدرها واو الاستئناف لغرض الربط المعنوى بالسابق لا بغرض الاستقلال ، لذا فقد تتصدر الجمل الاسمية أو الفعلية أو الشرطية ، وكما تستأنف كذلك الإنشاء ؛ لكنها لا تستأنف العناصر الفرعية فى الجميلات ، أو عناصر التوسيع أو التحويل إلى المركب فى الجمل كما كان فى الأنماط سالفة الذكر ، أو بمعنى آخر يمكن أن نقول إن وظيفة واو الاستئناف هى ربط مجموعة من الأفكار متصلة بمجموعة

أخرى لها سمات الاتصال بينها وتجمع الواو بين الكل فى إطار المعنى ، ولذلك كان موقعها فى الإشارات المرجيعة وفى بدايات الفقر .

ولقد استخدمت واو الاستئناف على نطاق واسع فى المادة عينة الدراسة حتى لتكاد تكون هى السمة الشائعة المسيطرة من بين الوظائف ، إذ بلغ استخدامها مائة وثلاثين مرة وهى أعلى نسبة بين الوظائف ، وربما يعود ذلك إلى علاقة الوظيفة بالجنس الأدبى ، إذ فى القصص والروايات تتعدد المواقف والأفكار وتدور حول أشخاص كثيرة لكن فى إطار خدمة هدف وفكرة عامة تقوم الواو بالربط بين هذه الأفكار لنصل إلى ذلك الهدف العام من العمل .

وخلال المادة عينة الدراسة استخدم الكاتب الواو للربط والاستئناف فى معظم أشكال التراكيب اللغوية ، ويمكن لنا عرض أنماطها كالآتى :

١- و + فعل تام + ... (٩٠)

٢- و + لم + فعل ناقص + ...

٣- و + كان + قد + فعل تام + ...

٤- و + كان + فعل ناقص + ...

٥- و + أسرع + فعل ناقص + ...

٦- و + بدأ + فى + ...

٧- و + هل + فعل ناقص + ...

٨- و + اسم شرط + ...

٩- و + إن + كان + لم + فعل ناقص + ...

١٠- و + لما + كانت + ...

١١- و + ظرف + ...

١٢- و + عبارة توكيد + شرط

١٣- و + لكن + ...

١٤- و + مبتدأ + خبر + ...

ولما كانت الوظيفة متحدة وغير متعددة لواو ربط الاستئناف فإنه بالإمكان أن نكتفى بمثال أو اثنين نفسر من خلالهما ما ينسحب على أى نمط من السابق لأن ذلك يتطلب عرض الفكرة السابقة على الاستئناف والفكرة المستأنفة المجموعة مع سابقتها برابط الواو :

أ- فقرة (١):

« عندما عادت كانت تبتسم وكأنها فارقته منذ زمن طويل ، نظر إليها فوجدها قد ازدادت والسلسلة الذهبية قد توسطت النهدين الوافدين ولاحظ أن حريتها قد منحت لهما وازدادا نضجا وتألقًا وبدا له اهتزازهما الهائج فى كبرياء وعناد ، ولمح المخروط الغامض الملتهب والذى انكشف له تمامًا عندما انحنت أمامه لتجلس ، تمنى لو أمسك فقط بالصليب المتأرجح الذى توسد ظلمة الثوب وكان شعرها قد سوى وترقرقت تموجاته وازدادت حريته ، بل وكانت قد قسمته نصفين ، الجانب الأيسر منه استدار ليلتف على جانب الرقبة ويسقط ناعمًا متموجًا على أنحاء النهر الذى بجواره ، فبدت له ماريان فى تلك اللحظة حديقة كاملة بعطورها وروائحها الأنثوية المحملة بشبق اللقاح فى أول الربيع » ضوضاء الذاكرة / ٥٤

ب- فقرة (٢):

« وتماسك مختار وهو يقاوم بعنف المراهقة التى عادت إلى بدايتها الأولى ، ولم تنظر ماريان إليه » ضوضاء الذاكرة / ٥٥

جـ- فقرة (٣):

« وكانت تنظر أمامها وتبتسم وهـي تراه يلوك رغبة عارمة ، راقت لها تلك النظرة المتجرة من كل مصلحة إلا مصلحة الجسدين دون وعد أو إعداد سابق ، وشعرت أنها قريبة منه ، وإن كانت معلومـاتها عنه لم تكتمل وزاد قربها أنه لم يغازلها من أول نظرة أو كلمة .... »

ضوضاء الذاكرة / ٥٥

من خلال النص الـسابق يمكن أن نستخـلص ثلاث أفكار رئيسيـة عامة كل فكرة تـكشف عن صورة ولـها علاقة بالأخـرى ، فالفكرة الأولـى : « ملامح الفتنة في جسد ماريان » والثانيـة تدور حول « موقف مختار من ملامح ماريان التي يراها » والثالثة تدور حول « موقف ماريان من نظرة مختارة إليها » .

والأفكار العامة الثـلاثة على رباط معنوي واحد لتصويـر موقف متحد بين اثنين في موضوع واحد ، لذلك نهضت الجمـل بأشكالها المختلفة برسم صورة متكاملة عن الفكـرة الأولي؛ تأتي كل جملة لتضع أو تصـور جزءاً من الفكرة حتى تكتمل.

وهنا يبدأ دور الواو الرابطة للاستئناف فتبدأ رسم الصورة التالية التي تضام الأولى عن طريق الواو حتى نخرج في النهاية بتصور الفكرة الكلية من مجموع الأفكار المربوطة خلال الفقر عن طريق الواو .

غير أنه تجـدر الإشارة إلى أن عناصر الربط الـسياقي ضرورية أيضـاً للربط بالاستئناف في الفكرة العامة المتحـدة وكما هو واضح من الضمائر المطابقة ومن الأسماء المتـكررة في الفقرات الـثلاث فإن ذلك ساعد عـلى الربط الاستـئنافي بالواو .

وإن كنا نلاحظ غلبة الاستئناف في الأفكار الـتي تبدأ بأنماط الجملة الفعلية فإن ذلك مرده إلى علاقة الجنس الأدبـي بالأسلوب ، خاصة أن الجنس الأدبي يحاول نقل الأحداث حية متواصلة دون تقرير يرجوه من خلال الجمل الاسمية .

ثالثاً: نتائج البحث:

على ضوء ما سبق فى الدراسة يمكن أن نخرج بالآتى عن أنماط الواو الرابطة :

١- أحصت الدراسات التراثية للواو (الرابطة) تسعة عشر قسمًا بعضها يأخذ وظيفته من التركيب المضام له وبعضها يأخذ الوظيفة بإحلال التأويل فى المعنى ، فمما يأخذ حكم الوظيفة من خلال معنى التركيب المضامة له (واو النسق - واو الحال - واو القسم - واو العماد - واو الإضمار - واو النعت - واو الابتداء - واو الصرف - واو المدح) .

ومما يأخذ وظيفته اعتماداً على المعنى فى المقام الأول وإن كان الشكل غير مغفل (واو الخروج - واو الجحود - واو الصلة - واو الظرف - الواو بمعنى رب - الواو بمعنى أو - الواو بمعنى إلى - الواو بمعنى مع - الواو بمعنى التاء - الواو دليل الفعل المضمر) .

وفى كل هذه الأنماط كان معيار التقسيم فى إطار العامل والمعمول وعلاقات السياق المؤثرة بعضها فى البعض الآخر لنصل إلى الإعراب كدليل معنى أو العكس .

٢- من خلال النص اللغوى عينة الدراسة تبين الآتى :

٢-١ الشائع من أقسام الواو الوظيفية أربعة أنماط مما عالجه القدامى هى (واو النسق - واو الحال - واو النعت - واو الابتداء) .

٢-٢ استخدمت واو الربط فى العطف فى عدة أنماط شكلية كالآتى :

أ- فى ربط الجمل :

١- عطف جملة فعلية + جملة فعلية

٢- عطف جملة اسمية + جملة اسمية

٣- عطف جملة اسمية + جملة فعلية

٤- عطف جملة فعلية + جملة اسمية

ب- فى ربط موسعات الجمل

١- عطف مفرد + مفرد

٢- عطف عبارة + عبارة

جـ- فى ربط الجميلات المحضونة

١- جميلة حال + الجملة الحاضنة

٢- جميلة النعت + الجملة الحاضنة

٣- جميلة الاعتراض + الجملة الحاضنة

د- فى عطف الأفكار : ربط فكرة سابقة ذات أفكار جزئية + فكرة لاحقة مرتبطة بها ذات أفكار جزئية

٣- فى ربط الجمل تقوم الواو بدور الرابط المحول أو الرابط المحول المختصر لجملتين أو أكثر يتم عن طريق الواو تحويلهما من البناء العميق فى شكلهما البسيط أو البسيط الموسع أو المعقد إلى الشكل البسيط المركب أو البسيط الموسع المركب أو المعقد المركب ، وقد تكون الواو للربط والتحويل فقط فى الشكل مع بقاء المعنى العميق للجملتين أو قد تختصر أحد عناصر بعض الجمل المربوطة بها مع ضرورة وجود عناصر ربط فى علاقات السياق هكذا :

١- الربط والتحويل بين تركيب فعلى وآخر مماثل .

بناء سحطى أ -«جهزت الطائرة وملئت خزاناتها بالوقود ». ضوضاء الذاكرة / ٥

=

بناء عميق { ١- جهزت الطائرة
٢- ملئت خزاناتها بالوقود }

نلاحظ أن الجملتين (١ ، ٢) تمثلان البناء العميق وهما مستقلتان ، غير أن بينهما من عناصر الربط المعنوى واللغوى ما يمكن لهما الارتباط ، إذ كلتاهما تعالج خبراً عن موضوع واحد هو (الطائرة) نسب إليها التجهيز وملء الخزانات ، بالإضافة إلى وجود عناصر الربط اللغوى المتمثل فى عود الضمير المستتر فى الفعل (ملئت [هى]) على المسند إليه فى الجملة الأولى وكذلك الضمير المضاف إليه فى المسند إليه بالجملة الثانية (خزاناتها) .

وبتلك القرائن أمكن للواو أن تلعب دور الرابط المحول للجملتين (١ ، ٢) مع الوضع فى الاعتبار أن الأولى من النوع البسيط والثانية من النوع البسيط الموسع بالعبارة (بالوقود) وبهذا جاء الشكل السطحى المحول الجديد فى الشكل المركب الموسع الذى يجمع الجملتين فى جملة واحدة مع بقاء المعنى لمجمل الجملتين فى البناء العميق .

٢- الربط والتحويل مع الاختصار لأحد العناصر .

بناء سطحى أ - «أمرت الركاب بأن يربطوا الأحزمة ويضعوا الكمامة على أنوفهم ويضغطوا الزر » . ضوضاء الذاكرة / ٥

=

بناء عميق ١- أمرت الركاب بأن يربطوا الأحزمة

٢- أمرت الركاب بأن يضعوا الكمامة على أنوفهم

٣- أمرت الركاب بأن يضغطوا الزر

جاء البناء العميق فى الجملة (١ ، ٢ ، ٣) متحدا فى بعض العناصر المتمثلة فى المسند والمسند إليه والمسند عليه (المفعول به) من كل جملة (أمرت الركاب) وكذلك فى الوصل المفسر لمعنى الإسناد (بأن) ، ثم جاءت روابط المعنى فى اتحاد الآمر من المسند إليه مع تعدد الحدث المراد من المسند عليه ، ثم

تضافرت قرائن السياق الرابطة من الضمائر المسند إليها المتحدة فى الفعل (أمرت) ومن تكرار المسند عليه (الركاب) ومن ضمائر المسند إليه فى الأفعال (يربطوا - يضعوا - يضغطوا) والواو تعود من الأفعال على المسند عليه (المفعول) وكلها متحدة .

فلما كانت هذه العناصر الرابطة قامت الواو بدور الرابط المحول المختصر ، فاختصرت المسند والمسند إليه والمسند عليه من الجملة (٢ ، ٣) وكذلك رابطة الصلة المفسرة (بأن) من الجملتين (٢ ، ٣) وقامت الواو بدور دليل الاختصار مع التحويل إلى البناء السطحى فى الجملة الجديدة المركبة الموسعة التى جاءت فى المثال (أ) ، وهكذا تنسحب هذه الخصائص على كل أشكال ربط الجمل الأربعة السابقة بأنماطها الفرعية الموضحة قبلاً .

٤- فى ربط المفردات والعبارات ، قامت الواو بوظيفة المحول الدامج وذلك عند ربطها أساسيات الجمل كالعطف على المبتدأ أو العطف على الفاعل أو العطف على المفعول ، وبذلك تحول الواو بالدمج بين جملتين إلى جملة واحدة حذفية مركبة مثال ذلك

بناء سحطى أ - « كانت طريقة كلامها عفوية وتلقائية وصريحة لا غموض فيها ولا التواء » . ضوضاء الذاكرة / ٥٥

=

بناء عميق {
١- كانت طريقة كلامها عفوية
٢- كانت طريقة كلامها تلقائية
٣- كانت طريقة كلامها صريحة لا غموض فيها ولا ألتواء

فى الجمل الأساسية الثلاثة (١ ، ٢ ، ٣) اتحد المسند إليه مع الفعل الوظيفى المساعد (كانت) بينما تعدد الإسناد إلى المسند إليه ، من هنا قامت الواو يدور الدامج المحول لهذه الجمل الثلاثة إلى جملة واحدة

فى البناء السطحى مع اختصار المتكرر المتحد فتحولت الجملة إلى نمط جديد من الحذفى المركب المعقد معًا وهو ما يظهر من المثال (أ) وهكذا الحال لو أنها ربطت المسند إليه بغيره مع اتحاد الإسناد إليهما أو ربطت المسند عليه (المفعول) بغيره مع اتحاد إسناد الفعل عليهما كما وضح فى الأمثلة السابقة من البحث .

أما فى ربط الموسعات فإنها تقوم بالدمج المرتبط بعنصر واحد مختصر من أركان الموسعات المتعلق بأحد عناصر الجملة الأساسية ويحدث ذلك فى النعت والإضافة والربط بالمجرور مثال ذلك .

(أ) إنه الكلب المقصود والمرصود ضوضاء الذاكرة / ٧٥

=

بناء عميق {
١- إنه الكلب المقصود
٢- إنه الكلب المرصود

فتعدد النعت المتعلق بعنصر المسند (الكلب) فى الجملة الأساسية ، وعندئذ قامت الواو بدور الدمج للبناء العميق وتحويله إلى جملة بسيطة واحدة موسعة عن طريق ربط النعوت ببعضها .

وهو الأمر ذاته الذى يحدث عند ربط المجرور بالمجرور هكذا: -

(أ) وهو ما زاد فى اضطرابها وتوترها ضوضاء الذاكرة / ٨٥

=

بناء عميق {
١- وهو ما زاد فى اضطرابها
٢- وهو ما زاد فى توترها

وهنا قامت الواو بدور الدامج المختصر لواحد من العناصر يتمثل فى حرف الجر فقط مع بقاء وظيفتها فى تحويل الجملتين (١ ، ٢) إلى جملة واحدة موسعة كما يظهر فى الشكل (أ) .

٥- استخدمت الواو رابطة للجميلات المحضونة التى تقوم بينها وبين جملتها الحاضنة علاقات معنى وسياق وجاء ذلك فى جميلات الحال بأنماطها المختلفة فيما عدا جميلة الحال التى تبدأ بالفعل الناقص (المضارع) ، مما تمثل فى جميلات النعت وهو شكل اختيارى ، وتمثل فى جميلات الاعتراض مع الإلزام فى الأشكال التى تأتى فيها جميلة الاعتراض على شكل الشرط متحد الجزاء مع الجملة الحاضنة أو تام الجزاء ومع الجميلات التى تبدأ بكاف التشبيه مع سابقة الاستدراك « كأن » ومثال ذلك .

١- جميلة الحال

(أ) ونهضت وهى تغطى وجهها وقالت وهى تبسق عليه

ضوضاء الذاكرة / ١٥

=

١- نهضت

١-١ ← هى تغطى وجهها

٢- قالت

٢-١ ← هى تبسق عليه

نرى أن الجملتين الحاضنتين هما (١ ، ٢) بينما الجملتان (١ - ١ ، ١ - ٢) جاءتا فى إطار ارتباط بالمعنى بالجملة الرئيسية الحاضنة، ومع وجود رابط المعنى وقرائن السياق قامت الواو بالربط بين الجملة الرئيسية الحاضنة (١) والجميلة الفرعية المحضونة (١-١) لتعلقها بأحد عناصر الجملة الحاضنة وهو ما

يسمى صاحب الحال المتمثل فى المسند إليه المستتر فى الفعل (نهضت) وكذلك الأمر بين الجملة (٢) والجميلة (١-٢) .

٢- جميلة النعت

(أ) ولمح المخروط الغامض الملتهب والذى انكشف له تماماً

ضوضاء الذاكرة / ٥٤

=

١- لمح المخروط الغامض

الملتهب

الذى انكشف له تماماً

فجميلة الصلة الواقعة نعتًا كان يمكن أن ترتبط بعناصر السياق بغير الواو ولكن استخدام الواو للربط كان وسيلة من وسائل توكيد الصفة .

٣- جميلة الاعتراض

(أ) فى تلك الغرفة التى - ولابد - كانت مخصصة لمكتب فخم

ضوضاء الذاكرة / ١١٥

=

١- فى تلك الغرفة التى كانت مخصصة لمكتب فخم

٢- لابد (مخصصة لمكتب فخم)

وكان يمكن أن تأتى جميلة الاعتراض المؤكدة لمضمون الجملة بغير واو الربط ولكن الكاتب جاء بها لزيادة التوكيد والربط .

٦- أكثر وظائف الواو استخدمًا فى النص الروائى هى الواو الرابطة للأفكار العامة بأنماط جملها المختلفة وهى ما تسمى فى التراث واو الاستئناف ،

وهى لاتكـون الا فى بدايات الـفقر التـى لها علاقـات سياق ومعـنى مع بعضها لرسم الصورة المتكاملة للفكرة الكلية .

غيـر أن الملاحظ أن استئناف الفـقرات التى تبدأ بـالجمل الفعليـة سواء على مستوى الإنشـاء أو الخبر أكثر من مثيلتها التى تبدأ بالجملة الاسمـية وهذا يتعلق بالعلاقة بين التركيب والجنس الأدبـى إذ الرواية تحرص على نقل الاحداث حية متحركة وليس تقرير الأمور فى الإسناد فى إطار الجملة الاسمية كما مثل .

٧- أكثر وظائف الواو الرابـطة تتعلق بالأشكال وتكتسـب الواو التنوع الدلالى من مضمون التركـيب الداخلة عليه ، وليس لها دلالة مـتنوعة فى ذاتها ، من هنا يمكن القول إن علاقة دلالة الواو بـنمط التركيب وعلاقات السياق علاقة طردية .

٨- الواو أكثر الروابـط الحرفية المستخدمـة على مستوى المادة عيـنة الدراسة ، حيث استخدمت للربط بأنماطه المختلفة (٣١٠) مرة بينما جاءت الفاء (٢٥) مرة ،و « ثم » (٩) مـرات و « أم » مرة واحدة و « بل » مـرة واحدة ، غير أن تقرير الحكم بشيـوع هذا الرابط فى النـثر الحديث أمر يحـتاج إلى دراسات فى أعـمال أخرى تؤكـد الشيوع أو تـخصص السـمة الأسلوبـية للكاتب ، وذلك على الرغم من أن الدراسات التراثية لاحظت شيوع هذا الرابط فى القرآن الكريم حيث استخدم أكثر من خمس وعشرين ألف مرة بنسبة تزيد عن ٨١ ٪ بالنسبة لباقى الروابط الحرفية.

هوامش البحث :

(١) حول أثر هذا المنهج فى إعداد المعاجم التاريخية ينظر : أ. د/ حجازى محمود فهمى « البحث اللغوى » مكتبة غريب ، القاهرة سنة ١٩٩٣ ، ص ٥٩ وما بعدها .

(٢) ألفت مجموعة كبيرة من الكتب تعالج حروف المعانى بشكل مستقل ، بل هناك بعض الكتب النحوية كـ « مغنى اللبيب » لابن هشام ٧٦١ هـ ؛ جعلت من الحروف معياراً للتبويب فى معالجة القضايا النحوية والدلالية ، ومن تلك الكتب التى عنيت بحروف المعانى؛ ١ - كتاب «ثلاثة كتب فى الحروف» للخليل بن أحمد ١٧٠ هـ وابن السكيت والرازى، ٢ - كتاب «حروف المعانى» للزجاجى ٣٤٠ هـ، ٣ - كتاب «معانى الحروف» للرمانى ٣٨٤ هـ، ٤-«الأزهية فى علم الحروف» للهروى. ٤١٥ هـ. ٥ - كتاب «الحروف» للمزنى (كان يعيش فى القرن الرابع فيما أرجح). ٦ - كتاب «الجنى الدانى فى حروف المعانى» للمرادى ٧٤٩ هـ ويدخل ضمن هذه المجموعة كتاب «الصاحبى» لابن فارس ٣٩٥، «والعوامل المائة» لعبد القاهر الجرجانى ٤٧١، و«الجمل» للخليل ابن أحمد ١٧٠ هـ.

وقد ذكرت كتب التراجم أسماء مجموعة كبيرة من الكتب ألفت فى الحروف ، حول ذلك ينظر :

١- ابن النديم ، الفهرست ، المكتبة التجارية الكبرى سنة ١٣٤٨هـ ، ص ٥٤ ، ٦٣ ، ٩٤ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١١٨ ، ١٢٤ ، ١٢٨ .

٢- القفطى، جمال الدين أبو الحسن على، إنباه الرواة على أنباء النحاة ، تح . محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٥٠م - ١٩٧٣م ، ج١/ ٣٥ ، ١/ ١١٢ ، ١ / ٢٢٤ ، ١ / ٢٢٦ ،

٢٤٧/١ ، ٣١٤/١ ، ١٧٠/٢ ، ١٩٤/٢ ، ١٩٥/٢ ، ٢٧١/٢ ، ٥٩/٣ ، ٢٠٤/٣ ، ٢٠٨/٣ .

وقد حاول البعض القيام بإحصاء هذه الكتب حتى نهاية القرن الثامن الهجرى، فذكر منها تسعة وثلاثين كتابًا، حول ذلك ينظر:

المزنى، أبو الحسين المزنى، «الحروف» تح د. محمود حسنى محمود، د. محمد حسن عواد ، دار الفرقان للنشر ، الأردن سنة ١٩٨٣ ط١ ص ١١ - ١٤ .

(٤) هذا مذهب جمهور النحاة ، ينظر على سبيل المثال : الرازى ، الإمام محمد، «تفسير الفخر الرازى»، دار الفكر بيروت سنة ١٩٨٥ ط ٣، ٤٦/١ .

وينص السيوطى على حد حرف المعنى عند النحاة بأنه « ما دل على معنى فى غيره نحو من وإلى وثم .... وكذلك سائر حروف المعانى» ينظر: السيوطى، جلال الدين، «الأشباه والنظائر فى النحو»، راجعه وقدم له د. فايز ترحينى، دار الكتاب العربى، سنة١٩٨٤، ط١ ، ٢ / ١٢.

(٥) ينظر : سيبويه ، الكتاب ، تح.عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، سنة ١٩٧٧ ، ١٢/١ .

(٦) البيت من شواهد النحو، وهو من بحر الوافر، وينسب لجرير، ينظر ، جرير ، ديوان جرير ، دار صادر، بيروت سنة ١٩٦٤ ، ص٥١٢ .

(٧) الجرجانى: عبد القاهر، «العوامل المائة النحوية فى أصول علم العربية»، شرح الشيخ خالد الأزهرى تح . د. البدراوى زهران ، دار المعارف ، القاهرة سنة ١٩٨٣ ، ط١ ص ١٥٩ .

(٨) حود ذلك ينظر : السيوطى ، الأشباه والنظائر فى النحو ، تحت عنوان « الحروف غير العاملة » ٢/ ٢٠ .

(٩) حول ذلك ينظر: ١- المرادى: الحسن بن قاسم، «الجنى الدانى فى حروف المعانى»، تح د. فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، المكتبة العربية بحلب سنة ١٩٧٣ ط ١ ص ١٥٥. ٢ - السليلى، «شفاء العليل فى شرح التسهيل»، تح. الشريف عبد الله، مكتبة الفيصلة، مكة المكرمة سنة ١٩٨٦، ط ١ ج ١ / ٤٨٩.

(١٠) ينظر: ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين، ١ - مغنى اللبيب، تح محمد محيى الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، سنة ١٩٩٢ ، ج ٢/ ٥٤٥ وما بعدها .

٢- شرح شذور الذهب لابن هشام ، ومعه كتاب منتهى الأرب ، بتحقيق شرح شذور الذهب تأليف محمد محيى الدين عبد الحميد ، د . ت . ص ٨٦ فى الحديث عن العطف على اسم « لا » مع التكرار.

(١١) المرجع السابق ٢/ ٤٧٢ وما بعدها .

(١٢) ينظر: ابن هشام، «مغنى اللبيب» ص ٣٠٠، ص ٣٥١ وما بعدها.

(١٣) المرجع السابق ص ٣١٧ وما بعدها .

(١٤) ينظر على سبيل المثال تلك القضايا المتفرقة فى كتاب «الأشباه والنظائر التى ترد فى أنماط الواو مثل: باب الوقف الوصل ١/ ٣٦٥، باب العطف ٢/ ٢٩٣ - ٢٩٥ ، مسألة المعطوف على المنادى ٢/ ٢٩٧ ، الفرق بين حتى العاطفة والواو ٢/ ٢٦٠ ، ما افترقت فيه الفاء والواو اللتان ينصب المضارع بعدهما ٢/ ٢٦٥ ، الفرق بين واو المفعول معه وواو العطف ٢/ ٢٢٩ ، ما افترق فيه الحال والمفعول ٢/ ٢٣٢ ، الفرق بين الجملة

الحالية والمعترضة ٢/ ٢٣٤ ، ما افترقت فيه الصفة والحال ٢/ ٢٥٧ ، انفراد الواو عن أخواتها بأحكام ٢/ ١١٨ ، إلا والواو التى بمعنى مع نظيرتان ٢/ ٩٩ .

(١٥) ينظر : ابن فارس ، أبو الحسين أحمد ، « الصاحبى » تح . السيد أحمد صقر، القاهرة، مطبعة عيسى البابى الحلبى . د. ت، ص ١٥٥-١٥٨ .

(١٦) له كتاب فى الحروف حقق فى الأردن ، حققه د. محمود حسنى محمود ، والدكتور محمد حسن عواد، لكن المحققين لم يستطيعا الوقوف على تاريخ الوفاة للمؤلف ، وأرجح أن يكون المؤلف من أبناء القرن الرابع الهجرى، حيث إن هذه الفترة شهدت ازدهار التأليف فى التخصصات الدقيقة والتى كان يحاول فيها البعض أن يخرج بنهج لم يسبقه إليه السلف.

بالإضافة إلى أن معظم كتب حروف المعانى كانت فى هذه الفترة ، كما أن معظم الذين احتج برايهم المؤلف يعودون إلى فترة أسبق من نهاية الرابع الهجرى .

(١٧) ينظر : المزنى ، « الحروف » ص ٩٨ - ١١٦ .

(١٨) حول دور الواو فى الاختصار ، وسدها مسد العامل ، ينظر : السهيلى ، نتائج الفكر فى النحو ، تح . محمد إبراهيم البنا ، دار الاعتصام ، مكة سنة ١٩٨٤ ص ٢٣٨ ، ص ٢٤٩ .

(١٩) يخالف بعض النحاة ذلك المذهب ، ويذهب « المرادى » إلى أنها تفيد الترتيب فى السياق الذى يستحيل فيه الجمع ، حول ذلك ينظر : «المرادى» الجنى الدانى ص ١٥٨ ، وينظر كذلك مذهب السهيلى عن عدم إفادتها الترتيب أو التعقيب « نتائج الفكر فى النحو » ص ٢٦٦ - ٢٧٥ .

(٢٠) حول ما ذكر عن الأشكال غير الجائزة فى واو العطف ينظر : « المزنى » ص ٩٩ ، والجدير بالذكر ان المزنى ذكر من الأشكال الجائزة لها أربعة فقط ، وذلك ليس بحصر .

(٢١) حول ذلك ينظر : ١- ابن عصفور ، شرح جمل الزجاجى ، تح ، صاحب أبو جناح ، د . ت .

٢ - الأستراباذى، رضى الدين محمد «شرح الكافية» ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان سنة ١٩٨٢ ط ٢ ج ٢ / ٣٣٤.

(٢٢) للنحاة كلام كثير فيما يتعلق بجملة الحال، ولكننا لسنا بصدد ذلك الآن ، ويمكن الرجوع إلى أى كتاب فى النحو للنظر فيما ذكر من أنماط للحال والوظائف الأربعة العامة التى ذكرت له، حول ذلك ينظر: ابن هشام، « شرح شذور الذهب » ص ٢٤٤ وما بعدها .

(٢٣) صاحب الحال لابد أن يكون فى إطار جملة تامة التركيب من حيث عناصرها النحوية .

(٢٤) هذا الرمز ∅ يعنى حذف الواو على تقدير وجودها ، من ناحية أخرى أزعم أن اصطلاح « جميلة » على ما يقع بعد الواو من تراكيب لها علاقة بأحد عناصر الجملة السابقة - يناسب البحث اللغوى للفرق بين الجملة التى لا تقع فى إطار إعرابى وما يقع فى إطار إعرابى بالإضافة إلى الفرق بين التركيب الذى يعطى معنى أوليًا ، وذلك الواقع فى إطار تركيب آخر للقيام بدور فى بعض المعنى .

(٢٥) حول ذلك ينظر : المزنى « الحروف » ص ١٠٣ .

(٢٦) سورة الشعراء آية ٢٠٨ .

(٢٧) سورة الحجر آية ٤ .

(٢٨) حول ذلك ينظر : ابن هشام « مغنى اللبيب » ٢/ ٤٢٠ .

(٢٩) سورة البقرة من آية ٨٥ .

(٣٠) ينظر : الفراء ، أبو زكريا يحيى بن زياد « معانى القرآن » ، تح . أحمد يوسف ومحمد على النجار ، مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة سنة ١٩٥٥ ، ج ١/ ٥١ .

(٣١) ينظر : المزنى « الحروف » ص ١٠٤ .

(٣٢) مذهب أهل البصرة أن الواو للعطف وجواب القسم محذوف مقدر ، حول ذلك ينظر : الأنبارى ؛ كمال الدين أبو البركات « الإنصاف فى مسائل الخلاف » دار الفكر للطباعة والنشر ، د . ت . ٢/ ٤٥٩ .

(٣٣) سورة محمد آية ٢٠ .

(٣٤) للنحاة كلام كثير فى تخريج الآية ، حول ذلك ينظر : الفراء « معانى القرآن » تح د. عبد الفتاح شلبى ، مراجعة على النجدى ناصف ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة سنة ١٩٧٢ ، ج ٣/ ٦٢ .

(٣٥) سورة الأعراف من الآية ٤ .

(٣٦) سورة الأحزاب آية ٥٠ .

(٣٧) حول ذلك ينظر : الفراء « معانى القرآن » تح . محمد على النجار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ج ٢/ ٣٤٥ .

(٣٨) سورة الرعد آية ١ .

(٣٩) سورة هود من آية ٢٤ .

(٤٠) حول ذلك ينظر : الفراء « معانى القرآن » ٢/ ٧ .

(٤١) سورة آل عمران من آية ١٣٥ .

(٤٢) حول ذلك ينظر : النحاس ، ابو جعفر احمد بن محمد « إعراب القرآن » ، تح . د/ زهير غازى زاهد ، مطبعة العانى ، بغداد ، سنة ١٩٧٧ ، ١/ ٣٦٥ .

(٤٣) سورة البقرة آية ٧ .

(٤٤) حول قراءة الآية ينظر : الفارسى، أبو على الفارسى «الحجة فى القراءات السبع » تح . على النجدى ناصف ، عبد الحليم النجار ، عبد الفتاح شلبى ، القاهرة سنة ١٩٦٥ ، ج ١/ ٢١٧ .

(٤٥) ينظر : المزنى « الحروف » ص ١٠٩ .

(٤٦) حول ذلك ينظر: ابن هشام «مغنى اللبيب» ٢ / ٤١٦ .

(٤٧) حول واو المفعول معه ينظر : سيبويه « الكتاب » ١/ ٢٩٧ ، ١/ ٣٠٧ .

(٤٨) ينظر : المزنى « الحروف » ص ١١٠ .

(٤٩) المرجع السابق ص ١١٠ .

(٥٠) سورة الزمر آية ٧٣ .

(٥١) حول ذلك ينظر : ابن هشام « مغنى اللبيب » ٢/ ٤١٧ .

(٥٢) حول هذه المسألة ينظر : المرجع السابق ٢/ ٤١٧ .

(٥٣) ينظر : الفراء « معانى القرآن » ٢/ ٥٠ .

(٥٤) سورة يوسف آية ٧٠ .

(٥٥) سورة الإنسان آية ٣١ .

(٥٦) حول هذه المسألة ينظر : النحا س « إعراب القرآن » ٢/٥٨٦ .

(٥٧) سورة الشعراء آية ٢٢٤ .

(٥٨) حول ذلك ينظر : المزنى « الحروف » ص ١١١ .

(٥٩) حول ذلك ينظر : المرجع السابق ص ١١٢ .

(٦٠) حول ذلك ينظر : ابن هشام « مغنى اللبيب » ٢/٤١٧ .

(٦١) حول ذلك ينظر : الأنبارى « الإنصاف » المسألة الخامسة والخمسون ١/٣٧٦ وما بعدها .

(٦٢) حول هذه الواو ينظر : المزنى « الحروف » ص ١١٣ .

(٦٣) حول هذه الواو ينظر: المرجع السابق ص ١١٤ .

(٦٤) ينظر : ابن هشام « مغنى اللبيب » ٢/ ٤١٥ ، ٤١٦ .

(٦٥) ينظر : المزنى « الحروف » ص ١١٤ .

(٦٦) سورة العنكبوت آية ١٢ .

(٦٧) حول ذلك ينظر : الفراء « معانى القرآن » ٢/ ٣١٤ .

(٦٨) مطلع المعلقة «قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول وحومل »

إذ الخلاف على العطف بالواو على المضاف إلى « بين » .

(٦٩) سورة الأنعام آية ٧٥ .

(٧٠) حول هذه المسألة ينظر : النحاس « إعراب القرآن » ١/٥٥٨ .

(٧١) حول هذه المسألة ينظر : سيبويه « الكتاب » ١/ ٩٥ .

(٧٢) حول هذه المسألة ينظر : ابن هشام « مغنى اللبيب » ٢/ ٤١٧ ، ٤١٨ .

(٧٣) حول أقسام الواو ينظر المرجع السابق ٢/ ٤٠٨ - ٤٢٥ .

(٧٤) ينظر على سبيل المثال تعقيب الدكتور الشيخ عبد الرحمن تاج، عن ((«لا» التى قيل إنها زائدة وليست كذلك »)) مجمع اللغة العربية ، البحوث والمحاضرات ، الجلسة الثالثة بالدورة الثالثة والثلاثين سنة ١٩٦٦ ، ١٩٦٧ ، ص ٣٧ .

وكذلك بحث الأستاذ محمد تقى الحكيم عن « المعنى الحرفى فى اللغة بين النحو والفلسفة والأصول » ، المرجع السابق ص ٢٨١ - ٣٠٠ .

وينظر كذلك بحث د/ الشيخ عبد الرحمن تاج بالدورة الرابعة والثلاثين عن « الواو التى قيل عنها إنها زائدة وليست كذلك » .

(٧٥) ينظر: الشاذلى: أبو السعود حسنين، «الواو المفردة فى اللغة العربية أنماطها وأحكامها»، دار مهنى وصقر، سنة ١٩٩٠ ، ط ١.

(٧٦) حول ذلك ينظر : عيسى شحاته « معانى الواو فى الجملة العربية مع التطبيق على القرآن الكريم» رسالة ماجستير، بكلية الآداب جامعة المنيا ، بإشراف د. صابر بكر سنة ١٩٨٧ .

(٧٧) ينظر: سالم، وجيه رجب عبد الرحمن، «العطف فى القرآن الكريم» رسالة ماجستير بكلية اللغة العربية، جامعة الأزهر (رقم ١٩١٢).

وينظر كذلك: المسعودى: فوزى «التوابع أصولها وأحكامها» القاهرة سنة ١٩٨٤ ، ص ٣٧ وما بعدها عن العطف .

وينظر : زهران : البدراوى زهران « ظواهر قرآنية فى ضوء الدراسات اللغوية بين القدماء والمحدثين»، مطابع الطوبجى التجارية، القاهرة، سنة ١٩٩٦ ، ط٣ ، ص٣٣٥ عن الواو العاطفة .

(٧٨) حول هذا ينظر : قدورى : غانم قدورى ، « رسم المصحف ، دراسة لغوية » كلية الشريعة - بغداد سنة ١٩٨٢ ، ص ٢٨٤

(٧٩) حول ذلك ينظر: حسنين ونائلى: أحمد طاهر حسنين وناريمان نائلى، «أدوات الربط فى العربية المعاصرة» قسم الدراسات العربية - الجامعة الأمريكية - أغسطس سنة ١٩٨١ .

(٨٠) حول دور الرابط فى اللغة الإنجليزية ينظر مثلاً :

1- A . J. thomson, A. V. Martinet, A practical English Grammar Oxford University Press, Eighth impression 1989, p. 288 : 293.

وينظر كذلك مناقشات W. Frawley لكل من Siegels, Balinger and Seiler حول الموسعات بالعطف أو بغير العطف فى التركيب اللغوى بشكل عام "Extensional, intensional and the order of Modifiers" مطبقًا على لغات مختلفة ، ينظر :

Willim Frawley, Linguistic Semantics:

Lawrence Erlbaum Associates, Publishers Hillsdale, New Jersey 1990, P. 487 : 494.

وينظر كذلك مناقشات Frank Palmer حول بعض مفاهيم النحو التقليدى "Some Traditional Concepts" .

بخصوص عناصر الجملة وموسعاتها والروابط، ينظر:

Palmer, Frank, Grammar, Made and Printed in Great Britain by Hazell Watgon, 1973, p. 40 : 106.

(٨١) حول هذا التقسيم ينظر : Palmer, (1973), P. 57 : 70 .

(٨٢) وردت الفاء (٢٥) مرة ، و «ثم» (٩) مرات ، و «أو» (٩) مرات ، و «أم» مرة واحدة ، و « بل» مرة واحدة .

(٨٣) × ، هذه العلامة تعنى أن التركيب غير صحيح نحويًا Ungrammatical .

(٨٤) من الملاحظ أنه لم يأت ربط جملة الأمر خلال المادة مطلقًا ، كذلك كانت الجملة المتصدرة بالفعل التام أكثر ، وأزعم أن الغرض من ذلك هو محاولة تكثيف الأحداث التى مرت عبر الأفكار التراكمية .

(٨٥) حول تقسيم الأفعال إلى وظيفة وشبه وظيفة وتام وناقص ... إلخ هذه المصطلحات ينظر : عبد الرحمن : محمد الرحمن ، «التعبير عن الزمن» رسالة دكتوراه، بكلية الدراسات العربية جامعة المنيا، إشراف أ.د/ محمود فهمى حجازى و أ.د./ M. Woidich سنة ١٩٩٥ .

(٨٦) تعد « لولا أن » من الروابط ، لكنها ليست هدف البحث .

(٨٧) ∅ هذه العلامة تعنى أنه مستتر .

(٨٨) هذا الفعل مقدر لوظيفة الاختصار والإدماج بالواو فى البناء السطحى .

(٨٩) حول هذه التعبيرات ينظر : عبد الرحمن « التعبير عن الزمن » .

(٩٠) من الملاحظ أن من عناصر الربط التركيبى أن المسند إليه تحول فى الجملتين (٢ ، ٣) إلى عبارة إسناد بالتبادل ، وهذا يمثل ربطا فى الجملة السطحية المحولة .

(٩١) ← هذا السهم إشارة إلى باقى الجملة .

(٩٢) هذه الجملة يمكن أن تحمل أيضًا على الحال .

(٩٣) ▭ هذه العلامة تعنى الجزء المحذوف من التركيب السطحى المفهوم من خلال سياق التراكيب السابقة .

(٩٤) ⤡ ⤢ هذه العلامة تشير إلى العنصر المـرتبطة به الجميلات أو ما يسمى صاحب الحال .

(٩٥) جـاء فى ص ٥٤ من الرواية « ولمـح المخروط الغامـض الملتهـب والذى انكشف لـه تماماً » ينظر : البطـران : حمدى البطران « ضـوضاء الذاكرة الخرساء » (رواية) ، الهيئة العامة لقصور الثقافة سنة ١٩٩٤ .

(٩٦) ⟷/ هذه العلامة تعنى القطع والاعتراض .

(٩٧) . . . . . هذا الرمز يعنى باقى سلسلة التركيب .

المصادر والمراجع :

أولاً : المصادر :

- البطران : حمدى البطران :

ضوضاء الذاكرة الخرساء (رواية) الهيئة العامة لقصور الثقافة وزارة الثقافة ، القاهرة سنة ١٩٩٤ .

ثانياً : المراجع :

١- المراجع العربية :

* الأستراباذى: رضى الدين محمد :

شرح الكافية ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، سنة ١٩٨٢ ، ط٢ .

* الأنبارى : جمال الدين أبو البركات :

الإنصاف فى مسائل الخلاف . دار الفكر للطباعة والنشر ، القاهرة ، د.ت

* الجرجانى : عبد القاهر :

العوامل المائة النحوية فى أصول علم العربية ، شرح الشيخ خالد الأزهرى تح . د. البدراوى زهران ، دار المعارف ، القاهرة سنة ١٩٨٣ ، ط١

* جرير :

ديوان جرير ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، سنة ١٩٦٤ .

* حجازى : أ.د. محمود فهمى :

البحث اللغوى ، مكتبة غريب ، القاهرة ، سنة ١٩٩٣ .

* حسنين ونائلى : أحمد طاهر حسنين ، ناريمان نائلى :

أدوات الربط فى العربية المعاصرة ، قسم الدراسات العربية ، الجامعة الأمريكية ، القاهرة سنة ١٩٨١ .

* الرازى : الإمام محمد :

تفسير الفخر الرازى ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان سنة ١٩٨٥ ، ط٣ ، ج١ .

* زهران : أ. د/ البدراوى زهران :

ظواهر قرآنية فى ضوء الدراسات اللغوية بين القدماء والمحدثين ، مطابع الطوبجى التجارية ، القاهرة سنة ١٩٩٦ ، ط٣ .

* سالم : وجيه رجب عبد الرحمن :

العطف فى القرآن الكريم، رسالة ماجستير كلية اللغة العربية جامعة الأزهر ، القاهرة .

* السليلى

شفاء العليل فى شرح التسهيل ، تح ، الشريف عبد الله ، مكتبة الفيصلة ، مكة المكرمة ، سنة ١٩٨٦ ط١ .

* السهيلى : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله :

نتائج الفكر فى النحو ، تح . محمد إبراهيم البنا ، دار الاعتصام ، مكة ، سنة ١٩٨٤ .

* سيبويه : أبو عمرو :

الكتاب ، تح . عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ، سنة ١٩٧٧ جـ١ .

* السيوطى : جلال الدين :

الأشباه والنظائر فى النحو، راجعه وقدم له د. فايز ترحينى، دار الكتاب العربى، لبنان، سنة ١٩٨٤ ط ١.

* الشاذلى : أبو السعود حسنين :

الواو المفردة فى اللغة العربية ، انماطها واحكامها ، دار مهنى وصقر القاهرة ، سنة ١٩٩٠ ، ط١ .

* عبد الرحمن : محمد عبد الرحمن :

التعبير عن الزمن فى روايات نجيب محفوظ دراسة تركيبية ودلالية رسالة دكتوراه ، كلية الدراسات العربية ، جامعة المنيا ، إشراف أ.د/ محمود فهمى حجازى أ. د. M. Woidich، سنة ١٩٩٥.

* ابن عصفور :

شرح جمل الزجاجى، تح. صاحب أبو جناح، د. ت.

* عيسى : عيسى شحاته :

معانى الواو فى الجملة العربية مع التطبيق على القرآن الكريم ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب . جامعة المنيا ، إشراف ، د/ صابر بكر، سنة ١٩٨٧ .

* ابن فارس : أبو الحسن أحمد :

الصاحبى ، تح . السيد أحمد صقر ، مطبعة عيسى الحلبى ، القاهرة ، د . ت

* الفارسى : أبو على :

الحجة فى القراءات السبع ، تح . على النجدى ناصف ، عبد الحليم النجار ، عبد الفتاح شلبى ، القاهرة ، سنة ١٩٦٥ جـ١ .

* الفراء : أبو زكريا يحيى بن زياد :

معانى القرآن ، تح . أحمد يوسف ، محمد على النجار ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، سنة ١٩٥٥ ج١ ، والجزء الثانى ، تح.محمد على النجار ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، والجزء الثالث ، تح . عبد الفتاح شلبى، ومراجعة. على النجدى ناصف، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، سنة ١٩٧٢ .

* قدورى : غانم قدورى :

رسم المصحف دراسة لغوية ، كلية الشريعة ، بغداد ، سنة ١٩٨٢ .

* القفطى : جمال الدين أبو الحسن على :

إنباه الرواة على أنباء النحاة ، تح . محمد أبو الفضل إبراهيم،مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة سنة ١٩٥٠ - ١٩٧٣ ، ج١ ، ٢ ، ٣ .

* مجمع اللغة العربية :

البحوث والمحاضرات للدورة الثالثة والثلاثين والرابعة والثلاثين ، القاهرة ، سنة ١٩٦٦ ، ١٩٦٧ .

* المرادى : الحسن بن قاسم :

الجنى الدانى فى حروف المعانى ، تح . فخر الدين قباوة ، محمد نديم قاسم،المكتبة العربية بحلب ، سنة ١٩٧٣ ، ط١ .

* المزنى : أبو الحسين المزنى :

الحروف ، تح . محمود حسنى محمود ، محمد حسن عواد ، دار الفرقان للنشر ، عمان ، الأردن ، سنة ١٩٨٣ ، ط١ .

* مسعود: فوزى :

التوابع أصولها وأحكامها ، القاهرة ، سنة ١٩٨٤ .

* النحاس : أبو جعفر أحمد بن محمد :

إعراب القرآن ، تح . زهير غازى زاهد ، مطبعة العانى ، بغداد سنة ١٩٧٧ ، ج١ .

* ابن النديم : :

الفهرست ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، سنة ١٣٨٤هـ .

* ابن هشام : أبو محمد عبد الله جمال الدين :

١- مغنى اللبيب ، تح . محمد محيى الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت سنة ١٩٩٢ ، ج٢

٢- شرح شذور الذهب ، ومعه كتاب منتهى الأرب بتحقيق شرح شذور الذهب ، تأليف ، محمد محيى الدين عبد الحميد ، د. ت.

ثالثاً: المراجع الأجنبية :

* - A . J . Thomson, A. V. Martinet, A practical English Grammer
Oxford University Press Eighth impression 1989.

* - Palmer, Frank, Grammar, Made and Printed in Great Britain by Hazell Watgon, 1973.

* - Willim Frawley, Linguistic Semantics: Lawrence Erlbaum Associates, Publishers Hillsdale, New Jersey, 1990.

أداة العطف

« بل و » في العربية

بقلم : عباس السوسوة

تهدف هذه الدراسة إلى التاريخ لهذه الأداة في العربية المكتوبة منذ أقدم نص وردت فيه حتى أيامنا هذه .

لم نعلم ورود أداة العطف المركبة «بل و» في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم والحديث الشريف واللغة التي يحتج بها حتى العقد الأخير من القرن الثاني الهجري .

«بل» وحدها من حروف العطف، وذكر النحاة واللغويون أن وظائفها[1] :

أ- الاستدراك .

ب- الإضراب عمّا قبلها ، وإثبات الحكم لما بعدها .

جـ- الاستئناف .

د- وتأتي للتدريج والزيادة إذا تكرر ورودها في التركيب . وانفرد ابن فارس الرازي بأنها تأتي بمعنى «إنّ» كما في قوله تعالى ﴿ ص والقرآن ذي الذكر ، بل الذين كفروا في عزة وشقاق ﴾ [2] .

ومن الطبيعي أن النحاة منذ القرن الثاني حتى الخامس عشر لم يعرضوا لمصاحبة «بل» للواو بعدها ، لأنها لم ترد في عربية عصر الاحتجاج . ولذلك

كان من الغريب أن لاتظهر هذه الأداة المركبة «بل + و» فى دراسة حديثة نسبيًا . فقد قام محمد على الخولى بدراسة التراكيب الشائعة فى اللغة العربية ، واستخراج مادة التحليل من الصحف الصادرة فى الفترة (٧٢م - ١٩٨٢م) ، ومن النثر والشعر [٣] ! وجاءت «بل» فى المرتبة الأخيرة بين حروف العطف [٤] ، لكن الباحث لم يذكر مطلقًا اقترانها بالواو من عدمه . ومن المستحيل أن تخفى هذه الأداة المركبة فى الفترة موضوع دراسة الباحث . وربما كان السبب عائداً إلى أنّ تركيزه على الإحصاء المجرد - الذى قد يساعده فيه آخرون - جعله يفصل بينهما ، وينظر إليهما على أنهما أداتان مختلفتان وإن تصاحبتا فى بعض الجمل .

وشيوع هذه الأداة المركبة واضح لكل ذى لب وعينين ، فالقارىء يجدها فى كل مواد الصحيفة أو المجلة التى يقرؤها ، أيًا كان مكان صدورها ، أو اتجاهها ، أو مستواها ، أو تخصصها ، ففى الصحيفة اليومية - مثلاً - يجدها متناثرة فى الافتتاحية ، والتعليق بجميع أنواعه ، والتحقيق الصحفى ، والتقرير ، والأعمدة الثابتة ، والمقال بجميع أنواعه ، ولا يخلو منها إلا الخبر فقط . وفى غير الصحف هى موجودة فى جميع التآليف [٥] ، إذ يندر من الكتّاب من لايستخدمها . بل لعلى لا أبالغ إن قلت : إن عدم استعمالها يمكن أن نعده ظاهرة أسلوبية .

ولعل المعجم الوسيط أول من لفت نظره هذه الظاهرة ، جاء فيه «وفى لغة المحدثين تكثر زيادة الواو بعد بل ، ويقولون : فلان يخطىء بل ويصر على الخطأ ، وهو يرضى بل ويبالغ فى الرضا . وهو أسلوب محدث» [٦] ونحن نوافق على مسألة الكثرة فى لغة المحدثين ، أما وصف ذلك بالأسلوب المحدث فغير صحيح .

ويقرب من هذا أنّ أستاذنا كمال محمد بشر عرض لهذه الظاهرة ضمن

الاتجاهات الجديدة فى اللغة العربية لوقوع الأدوات فى غير مواقعها [٧].

وتابعه فى ذلك تلميذه محمد حسن عبد العزيز ، فهى عنده ظاهرة جديدة من ظواهر المصاحبة فى لغة الصحافة [٨] وفى موضع آخر يتناول بعض أشكالها فيقول إن من الظواهر المؤثرة فى نظام الجملة فى لغة الصحافة أداة العطف المركبة : (ليس ... فقط ، بل و ......) وهى ترجمة لإحدى أدوات العطف فى اللغة الإنكليزية التى يطلق عليها : (Correlative Conjunction) [٩] .

ونحن نقول إن النمط الذى فيه «بل» رابطة بين تركيب سابق فيه نفى وتركيب آخر يوجد ما يشبهه فى الإنكليزية [١٠] ، لكن ذلك لايعنى أن العرب المعاصرين استعاروه عن طريق الترجمة ، فستجد من الشواهد التى سنأتى بها مايقابله تمامًا .

وباحث آخر يقول عن حق : إن هذه المصاحبة (بل + و) ليست محدثة ، بل هى قديمة [١١] ، لكنه يجعل الطبيب الفليسوف ابن سينا (ت ٢٤٨هـ) أول مستخدميها فى العربية [١٢] . وفى قوله نظر .

ومن المهم أن ننبه هنا إلى أن هذه الأداة الجديدة تحمل معنى مركبًا هو الإضافة مع الاستدراك . ويغلب عليها أن تعطف تركيبًا على تركيب ، وقليلاً ما تعطف مفرداً على مفرد . ومن ذلك فى لغة الصحافة :

١- «من حق ساكن البيت الأبيض أن يتجاهل حقنا بل ويتجاهلنا أيضًا» معنى هذه الجملة :

أ- من حقه تجاهل حقنا .

ب- هذا التجاهل لايكفى .

(ج) من حقه أن يزيد فيتجاهلنا نحن .

٢- «نجد المشكلة قائمة **بل وتشكل هدراً** للإمكانيات» المعنى :

أ- المشكلة قائمة .

ب- المشكلة زيادة على ذلك تهدر الإمكانيات .

٣- «كل هذه المذاهب لاتمنعنى من التمرغ فى الملذات ، فلماذا أختار الإسلام الذى يحرمنى من كل هذا **بل ويعاقبنى** على هذا» المعنى :

أ- كثير من المذاهب لاتمنعنى من التمرغ فى الملذات .

ب- الإسلام يحرمنى من الملذات .

جـ- الإسلام يزيد على الحرمان العقاب .

والذى نعلمه يقينًا أن أبا نواس (ت ح ١٩٥ هـ) هو أول من استخدم هذا التركيب ، جاء فى ديوانه :

ما حجّتى فيما أتيت ، وما … قولى لربّى ، **بل** و ما عذرى
الاّ أكون قصدت رشدى أو … أقبلت ما استدبرت من عمرى [١٣]

ثم نجده عند ابن الرومى (ت ٢٨٣ هـ) فى قصيدة طويلة يهجو فيها الليالى والأيام :

للذبح مَن غَذَوا مِنّا ومَن حَضَنا … لا ، **بل** و من تركاهُ غيرَ محضونِ [١٤]

وفى القرن الرابع عند أبى بكر الرازى (ت ح ٣١٣ هـ) : «ولئن كان الفضل فى إصابة اللذات والشهوات ليكونن مَن له الطباع المتهيّىء لذلك أفضل ممن ليس له ذلك ، فإن كان كذلك فالثيران والحمير أفضل من الناس لا **بل** و الحيوان غير المائت كله» [١٥] .

ثم نجده فى مؤلّف للقاضى عبد الجبار الهمذانى (ت ٤١٥ هـ) ، ألّفه فى

أواخر القرن الرابع ، قال : «إن القرآن لايختص بذكر القصص دون ما سواها ، بل كان مشتملاً على كثير من أنواع الكلام . فلو كانت المعارضة ممكنة لهم لأتوا بسائر أنواع الكلام وجعلوها معارضة للقرآن ، ولم يأخذهم فى الأول باعتقاد تلك الأقاصيص وأنها كانت كما ذكر ، **بل و** رضى من جهتهم بأن يضعوا من عندهم قصصًا ، ويكسوها من العبارات الجيدة العظيمة الجزلة ما يقارب القرآن ، فى الفصاحة ويدانيه ، وليلتبس الحال فيه ، فلا معنى لما ذكرتموه» [١٦] .

ونجد هذه الظاهرة فى مؤلفات الشيخ الرئيس أبو على الحسين بن سينا (ت ٤٢٨ هـ) ، فنحن نجدها فى كتاباته الفلسفية ، ومنها : «وليس المقابل بالنقيض فقط ، **بل و** بالضد» [١٧] . كما نجدها فى كتاباته الطبية ، فمن ذلك حديثه عن تشريح الشريانين السباتيين فى الرقبة : «وأما الأكبر فيدخل قدّام هذا الثقب فى الثقب الذى فى العظم الحجرى إلى الشبكة ، **بل و** تنتسج عنه الشبكة عروقًا فى عروق وطبقات فى طبقات من غضون على غضون» [١٨] وفى حديثه عن الرَمَد : «وكثيراً ما يعرض للصبيان بسبب كثرة موادهم وضعف أعينهم ، **وليس يكون عن مادة حارة فقط بل و عن البلغمية والسوداوية**» [١٩] .

وفى حديثه عن حمّى الخِمس والسِّدس : «ما رأيت فى عمرى منه شيئًا ، **بل و** لا رأيت خِمسًا جليّاً قويًا» [٢٠] .

كذلك نجد الظاهرة عند الفليسوف ابن رشد (ت ٥٩٥ هـ) : «وهذا أمر بيّنٌ بنفسه ، **وليس فى الصنائع العملية فقط ، وبل وفى العملية**» [٢١] .

ونجدها عند عبد اللطيف البغدادى (ت ٦٢٩ هـ) ، يتحدث عن كتّاب

منافقين «يوهمونه أنه أكتب من القاضى الفاضل **بل ومن** ابن العميد والصابى» [٢٢] .

كما نجدها عند الأصولى سيف الدين الآمدى (ت ٦٣١ هـ) : «والصوم فى اللغة عبارة عن مُطلَق إمساك ، وفى الشرع عبارة عن إمساك مخصوص ، **بل و** قد يطلق الصوم فى الشرع فى حالة لا إمساك فيها كحالة الناسى أكلاً» [٢٣] .

ونجدها فى حديثه عن الأنبياء : «لا يمتنع عليهم المعصية كبيرة كانت أو صغيرة ، **بل و** لا يمتنع عقلاً إرسال من أسلم وآمن بعد كفره» [٢٤]

ونجدها فى حاشية ابن المنيّر (ت ٦٨٣ هـ) على الكشاف فى حديثه عن مصارف الزكاة : «فإن قلت : لم عدل عن اللام إلى (فى) الأربعة الأخيرة ؟ ... لأن الأصناف الأربعة الأوائل مُلاّك لما عساه يُدفع إليهم .... وأما الأربعة الأواخر فلا يملكون ما يصرف نحوهم ، **بل و** لايصرف إليهم» [٢٥] .

كما نجدها عند بدر الدين بن جماعة (ت ٧٣٢ هـ) متحدثًا عن آداب الطالب : «أن يلزم حلقة شيخه فى التدريس والإقراء **بل و** جميع مجالسه إذا أمكن» [٢٦] .

ونجد الظاهرة عند الصفدى (ت ٧٦٤ هـ) : فهو يقول عن معاصره شرف الدين الحنفى : «وكان يحب الأدب ، ولم يكن له فيه يد **بل و**لاذوق» [٢٧] .

ونجدها عند ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) : «والإمام إذا فسق لايعزل بمجرد فسقه على أصح قولى العلماء ، **بل و** لايجوز الخروج عليه» [٢٨] .

ونجدها عند الشاعر المتصوف عبد الرحيم البرعى (ت ٨٠٣ هـ) :

فلا قرّ قلبى بل و لاكفّ مدمعى   ولا لذّ لى عيشى وشربى ومرقدى
وفى بيت رغمٍ اخوتى واحبتى   مقيمون فى ليل من الهمّ سرمدى [٢٩]

كما نجدها فى تاريخ ابن الفرات (ت ٨٠٧ هـ) ، عند سرده حوادث سنة ٦٩٣ هـ ؛ فقد نقل كلام الشيخ محيى الدين بن عبد الظاهر عن الملك الأشرف : «فما علّم على مكتوب قط إلاّ وقراه جميعه وفهم أصوله المكتوبة وفروعه ، لا بل و استدرك عليّ وعلى الكتاب» [٣٠] .

وهذه الظاهرة كثير فى كتابات ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) . ومنها : «ولذلك ترى المغلوب يتشبه أبداً بالغالب فى ملبسه ومركبه وسلاحه ، فى اتخاذها وأشكالها ، بل و فى سائر أحواله» [٣١] .

ونجدها عند بدر الدين الدمامينى (ت ٨٢٧ هـ) فيما نقله البغدادى عنه : «وتدوين الأحاديث والأخبار بل و كثير من المرويات ، وقع فى الصدر الأول قبل فساد اللغة العربية» [٣٢] .

ونجدها عند عالم القراءات ابن الجزرى (ت ٨٣٣ هـ) : «فقراءة خَلَف لاتخرج عن قراءة أحد منهم ، بل و لاعن قراءة الكوفيين فى حرف ، فكيف يقول أحد بعدم تواترها» [٣٣] .

ثم جاءت عند العبدرى الشيبي (ت ٨٣٧ هـ) : «لكن الزمخشرى ختم هذه الحكاية ببيت من الشعر انفرد به هو عن الميدانى ، ونِعمَ ما فعل الميدانى من عدم ذكره له ، فإنه لافائدة فى الإتيان به عقب هذه الحكاية ، لأنه ليس له تعلق بها ، بل و كلامه يوهم أيضًا أنه من نظم حاتم» [٣٤] .

كما نجدها عند ابن المرتضى اليمانى (ت ٨٤٠ هـ) : «على أن مخالفة العقل إذا تجرد من السمع ليست بكفر ولا فسق ؛ وإن كان فيها مخالفة ضرورة

العقل ؛ فإن من اعتقد فى حنظلة مُرّة أنها حلوة يكون قد خالف ضرورة العقل ولا يكفّر **بل و** لا يُفَسَّق» (٣٥) .

كذلك نجدها فى كتابات المقريزى (ت ٨٤٥ هـ) : «ولم يعز مع هذا وجود السكر ، **بل و** لا غلا سعره» (٣٦) .

ثم نجدها فى كتابات الحافظ ابن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢ هـ) : «ولم يبق فى القاهرة من يروى عن أحد من مشايخه لا بالسماع ولا بالإجازة ، **بل و** لا فى الدنيا من يروى عمّن سّميت من مشايخه المذكورين» (٣٧) .

ونجد الظاهرة شائعة فى تاريخ ابن تَغرى بَرْدى (ت ٨٧٥ هـ) ، فمنها ما ورد فى أثناء حديثه عن فضائل السلطان الظاهر جقمق : «فإننا لانعلم أحداً من ملوك الترك رزق ولداً مثله **بل و** لايقاربه ولا يشابهه مما كان اشتمل عليه من العلم والفضل والمعرفة التامة» (٣٨) . ومنها ما جاء فى حديثه عن محمد بن الظاهر جقمق : «.. حتى صار معدوداً من العلماء ، ولا نعلم أحداً من أبناء جنسه من ابن أمير ولا سلطان وصل إلى هذه المرتبة غيره قديمًا ولا حديثًا . **بل و لا فى الدولة التركية قاطبة من المشاهير أولاد الملوك»** (٣٩) .

ونجدها عند المتفلسف علاء الدين الطوسى (ت ٨٨٧ هـ) ينقل عن شرح المواقف للشريف الجرجانى : «فإذا نظر إلى ذاته من حيث هو ، لم يمنع من اتصافه بالوجود فى شىء منها ، بل جار اتصافه به فى كل منها **لا بدلاً فقط ، بل ومعًا أيضًا» (٤٠) والملاحظ أن هذه الفقرة تشبه التركيب المزعوم أنه مترجم عن الإنكليزية فافهمه .**

ثم نجدها فى تاريخ الصيرفى (ت ٩٠٠ هـ) : ففى حوادث عام ٧٨٥ هـ يقول عن السلطان : «ولا يمكّن أحداً من المماليك ولا من الأعيان **بل و** لا من الكتّاب من الركوب معه» (٤١) .

ثم نجدها عند السخاوى (ت ٩٠٢ هـ) يقول فى مقدمة كتابه : «جمعت فيه من علمته من هذا القرن الذى أوله سنة إحدى وثمانمئة . . . مصريًا كان أو شاميًا ، حجاريًا أم يمنيًا ، روميًا أو هنديًا أو مغربيًا . . . **بل و** ذكرت فيه بعض المذكورين بفضل ونحوه من أهل الذمة» (٥٢) .

كما نجدها عند ابن حجر الهيتمى (ت ٩٧٤هـ) : «على أن المجتهد لايُعترض عليه فى أموره الاجتهادية ، لكن أولئك المعترضين لافهم لهم **بل و** لا عقل» (٥٣) .

كما نجدها عند المقّرىّ (ت ١٠٤١ هـ) : «والموج يصفّق لسماع أصوات الرياح فيطرب ، **بل و** يضطرب ، فكأنه من كأس الجنون يشرب» (٥٤) .

ونجدها عند الموزعى فى القرن ١١ هـ يتحدث عن بعض الأمور الاقتصادية مثل ضرب العملة : «فكانت كل أوقية كاملة ، **بل و** الثمانية والثلاثين البقشة منها ، أوقية أيضًا» (٥٥) .

ونجد الظاهرة عند عبد القادر البغدادى (ت ١٠٩٣ هـ) فى حديثه عن رضىّ الدين الاستراباذى قائلاً : «صاحب شرح الكافية لابن الحاجب ، الذى لم يؤلَّف عليها ، **بل و** لا فى غالب كتب النحو مثله جمعًا وتحقيقًا وحسن تعليل» (٥٦) .

ونجدها عند الشربينى (ت بعد ١٠٩٧ هـ) يصف شرحه : «وأرجو أن لا يخلو منه إقليم **بل و** لابلد من بلاد العبيد» (٥٧) .

كما نجد الزبيدى (ت ١٢٠٥ هـ) يستخدمها فى معجمه مراراً . ومن ذلك :

«هكذا وقع فى كتب اللغة **بل و** فى أسماء المواضع» (٥٨) .

«هذه العبارة هكذا فى نسختنا **بل و** فى سائر النسخ الموجودة» (٥٩) .

كذلك نجدها عند النحوى الشهير الصبان (ت ١٢٠٦ هـ) : «ومثل أسماء الكتب أسماء التراجم ، بكسر الجيم ، كالخواتم والعوالم . وكثير من الناس يضمّها لحنًا ، بل و أسماء العلوم ، لأن مسمياتها ، وهى الأحكام المعقولة المخصوصة ، إنما تتعدد بتعدد التعقل» (٦٠) .

كذلك نجدها فى تاريخ الجبرتى (ت ١٢٣٧ هـ) : «فكانوا يأخذون الأشياء من الباعة ولا يدفعون لها ثمنًا ، ومن امتنع عليهم ضربوه بل و قتلوه» (٦١) .

ثم نجدها عند الشوكانى (ت. ١٢٥٠ هـ) يقول عن أحد الذين ترجم لهم : «وكان فى أيام قراءته على الشيوخ وأقرانه لتلامذته يفتى أهل مدينة صنعاء بل و من وفد إليها» (٦٢) .

ثم نجدها عند الطهطاوى (ت ١٨٧٣م) ، فعندما يتحدث عن الأكاديمية الفرنسية يقول : «فأول علماء باريس بل و علماء فرنسا ديوان العلوم المسمى أكدمة الفرنسيس» (٦٣) وفى حديثه عن آداب المائدة يقول : «ولكل إنسان له طبق قدّامه ، بل و كل طعام له طبق ، وقدّام الإنسان قدح» (٦٤) .

ثم نجد الظاهرة فى تاريخ الحرازى (ت ١٢٨٩ هـ) ؛ عند سرده حوادث عام ١٢٨١ هـ : «والإمام فى بيت سبَطان يعاقب أهل صنعاء بأخذ غلات أموالهم والاستيلاء على ثمار أشجارهم ، وأخذ غلاّت الأوقاف ، بل و بيع بعض الرقاب» (٦٥) .

ثم نجدها فى رحلات محمد بيرم الخامس (ت ١٨٨٩م) ؛ ففى حديثه عن سلوك الفتاة الإيطالية يقول : «فترى البنت تخاطب زوجها وتفاكهه أمام والديها ، بل و تفعل مثل ذلك مع خطيبها ، وترقص مع الرجال أمامهم» (٦٦) .

وإذا كنا فى بحثنا هذا قد بدأنا رحلتنـا فى التراث العربى بشاهدين شعريين على مصاحبة بل للواو ، فنحن لانعدم أن نجد هذه الظاهرة فى العقد الأول من القـرن الرابع عشر الهجرى فى الشـعر أيضًا . فالأحدب (ت ١٣٠٨ هـ) ينظم الأمثال الواردة فى مجمع الميدانى ويقول :

ومـا حــويـتُ **بـل و** مـالويـتُ　　ولـم تُفـدِنـى مـا أرومُ لـيـتُ [٦٧]

والمؤرخ اليمنى محمد بن إسماعيل الكبسى (ت ١٣٠٨ هـ) يقول :

أتـت لهـم مـوقظـاتٌ غـير واحـدة　　فما ارعووا بل و لا فاءوا لمعتبر [٦٨]

ونجدها عند الكواكبى (ت ١٩٠٢م) : «وجعلوا فيه من الأصول ما أنتج - منذ قرنين إلى الآن - أن يصيـر العلم منحة رسمية تعطى للـجهّال حتى للأميين بل و للأطفال» [٦٩] .

ونجدهـا فى مجلـة الأستاذ التـى كان يحـررها عبد الله الـنديم (صدرت ١٣١٠ هـ) : «فلهذا لم يكن حلالاً فى شريعة من الشرائع بل و لا فى قوانين عقلاء الأمم الماضية الذين لم يكن عندهم دين سماوى» [٧٠] .

ونجدها فى أعمال المصلح الاجتمـاعى الشيخ محمد عبده (ت ١٩٠٥م) : «وترفّع عـن مدّ كـف الخيـانة لاستـلامه ، حـفظًا لشـرفه وصـونًا لقـدره عن الانحطاط من أعين العقلاء **بل و** السفهاء» [٧١] .

ونجدهـا فى كتاب للـسيد محمـد بن عقيل (انـتهى من تألـيفه ١٣٣٧ هـ) يتحدث عن المشتغلين بأسانيد الحديـث النبوى الشريف : «يجدهم يجزمون بأن من نص النـبى ﷺ ، على أنه أشقى الآخـرين ، عبد الرحمن بـن ملجم ، قاتل صـنو رسول الله ﷺ تقى من أهل الفـضل والدين ، **بل و** يشهد له بالجنة كثير منهم» [٧٢] .

ونستـأذن فى القفـز إلى ثلاثينـات هذا القرآن كى نـرى هذه الظاهـرة عند

الشاعـر الشهير أبى القاسم الشابى (ت ١٩٣٤م) ففى حديثه عن الريح يقول : «جمعوها عـلى أرواح كما جمعوا الروح هـذا الجمع ، وأنثوا معناهـا كما أنثوا الروح ، بل و أنثوا جميع الكلمات التى تدل على معنى الريح» (٧٣) .

ونجد الظـاهرة فى تقديم محـققى الامتاع والمؤانسة الأستاذين أحـمد امين وأحمد زين عند حديثهما عن كتب التـوحيدى: «ولم يطبع منها إلاّ المقابسات، والصداقة والصـديق، ورسالة فى العلوم. وما بـقى منها مخطـوط، بل و ما طبع منها مملوء بالتحريف والتصحيف إلـــى حـدّ يقلل مـن قيمتهـا والانتفاع بها» (٧٤) .

وهى موجودة عند النـاقد الكبير محمد مندور . يصف مـوسيقى الشعر : «إنها وسيلة أداء تـصـل إلـى التعبير عـن مفارقات المعانى وظلالها الـعاطفيـة ، بل و ألوانها النفسية التى كثيراً ما تعجـز اللغة المنثورة عن استخراجها من باطن النفس» (٧٥) .

ونجدها فى تقرير لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقـافة فى مصر ، الصادر فى نوفمبر ١٩٦٤م . هذا التـقرير يهاجم شعراء التفعيلة ويـذكر من عيوبهم : «ميلهم الشديد نحـو الاستعانة فى التعبير بعناصر يسـتمدونها من ديانات أخرى غير العقـيدة الإسلامية ، بل و مما تأباه هذه الـعقيدة ، كفكرة الخطـيئة وفكرة الصلب وفكرة الخلاص» (٧٦) .

ونجدها عند يحيى حقى : «إذا اقتضـاه عمله أن يزن رأيًا لرجل سياسى فى بلده أو غير بـلده ، وجدته على معرفـة وثيقة به منذ مولـده إلى اليوم ، تدرج خط حياته العامة بل و أسرار حياته الخاصة» (٧٧) .

وعنـد صلاح حافـظ «يحدث أحـيانًا أن تضـطرب إدارة الـتفتـيش نفسُها ولايخرج منها المفتشون ، فتنام عنـدئذ خلايا الجسد ، وتمتنع المخازن عن إنفاق ما لديها ، بل و يغريها الجشع أيضًا بالتهام كل جديد يدخل الدم» (٧٨) .

ونجدها عند اللغوى المعاصر محمود فهمى حجازى : «ولم تكن الكتابة فى التاريخ القديم أمراً شائعًا ، **بل و** ما تزال آلاف اللغات فى عالمنا المعاصر منطوقة لايكتبها أهلها» (٧٩) .

وتكثر كثرة مفرطة عند نايف خرما الذى يلقى أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، ومنها : «كما أن نمو الفرد ثقافيًا على وجه الخصوص يحدث تغييرات كبيرة جداً فى مفردات وتراكيب اللغة التى يستعملها **بل و** حتى فى طريقه نطق الحروف وطريقة قول الجمل» (٨٠) .

وهى عند توفيق محمد شاهين : «ومحصّل هذين المسربين أن وجد فريق يؤكد وجود الترادف فى الفصحى ، **بل و** بكثرة كاثرة» (٨١) .

وعند الشاعر الباحث عبده بدوى : «ثم انتهى إلى أن التفاعيل المزحفة يساوى كمها الصوتى فى النطق كم التفاعيل الصحيحة ، **بل و** قد يزيد فى بعض الأحيان» (٨٢) .

وعند إسعاد عبد الهادى : «وتعتبر شاهنامة الفردوسى الطوسى قمة الشعر الملحمى الفارسى والملحمة الوطنية الخالدة للإيرانيين ، التى تقف فى صف الملاحم العالمية ، **بل و** تتفوق عليها» (٨٣) .

ونجدها عند فؤاد زكريا : «هذه اللحظة التى يعرضها هيكل باستخفاف شديد ، **بل و** ينتهز الفرصة للتفاخر بذاته وبقربه الدائم من الرئيس ، هى التى فتحت الطريق لكوارث مصر والعرب فى السبعينات» (٨٤) .

وهى موجودة عند محمد حسن جبل : «. . . . إذْ كان اللحن مسقطًا للحرمة ، قادحًا فى الشرف وفى الأهلية للإمامة فى الصلاة **بل و** مضيعًا للمهابة» (٨٥) .

ونجدها عند أحمد بن محمد الشامى : «أعتذرُ عن هذا الاستطراد الذى لن

يعترض عليه المنهجيون فقط ، **بل و قد يستهجنه أو يضيق** به بعض الشعراء المجددين» (٨٦) .

ونجدها عند رسام الكاريكاتير محيى الدين اللباد : «كان القارىء يشغل هذه الهوامش بتعليقاته على النص معارضة وتصويبًا واستطراداً ، **بل و** أحيانًا تحقيقًا» (٨٧) .

ونجدها عند محمد عبد القادر بافقيه : «لأنهما أرسلتا فى ظرف واحد ، **بل و** كتبتا بخط واحد» (٨٨) .

وهى موجودة عند التيجانى السماوى : «فأي نزاع وأية تفرقة هى أكبر من تقسيم الأمةالواحدة إلى مذاهب وأحزاب وفرق يخالف بعضهم بعضًا ويسخر بعضهم من بعض **بل و** يكفّر بعضهم بعضًا» (٨٩) .

ونجدها عند الناقد الكبير شكرى عيّاد : «كان لبنان طوال الخمسينات والستينات ، **بل و** إلى بدء تمزقه الداخلى فى أوساط السبعينات ، معرضًا متجدداً وباهرًا لكل المذاهب الفكرية والأدبية الجديدة» (٩٠) .

والظاهرة حاضرة فى مؤلفات المؤرخ الأدبى محمد زغلول سلاّم نكتفى بمثال واحد ، ونحيل إلى البقية : «يمتاز الفاضل بخصائص تجعله علمًا مبرزاً فى الكتابة ، **بل و** قدوة معلمًا لجيل من الكتاب ساروا على نهجه» (٩١) .

ونجدها عند المؤرخ الاجتماعى حسن الزين : «. . . . بعد أن أسفر دور الرسول ﷺ فى هذا المجال عن ثورة اجتماعية وفكرية وسياسية كاملة نشأ عنها مجتمع جديد مختلف كل الاختلاف عما سبقه **بل و** متناقض معه» (٩٢) .

وهى موجودة عند الباحث الفلسفى حسن حنفى : «الكلام إيحاء وإيماء وإشارة وعلامة مثل حركات الوجه وغمز العين وهز الرأس ومطّ الشفتين ،

وتحريك الحواجب وإخراج اللسان والتنهد بالرئتين ، وتحريك اليدين والقدمين **بل و** الجسد كله كما هو الحال فى التمثيل الصامت» [٩٣] .

وبعد هذا التتبع التاريخى لهذه الظاهرة نقول إننا لم نجد - حسب علمنا - من كتب مخطئًا هذه الظاهرة ، على كثرة من يخطئون كل تركيب وكل أسلوب وكل معنى لم يرد فى عربية عصر الاحتجاج . فالظاهرة ليست مقصورة على فئة من الكتاب دون فئة ، بل استعملها الشعراء وعلماء الكلام والفلاسفة والمؤرخون واللغويون والاجتماعيون والنقاد والآثاريون والرسامون ، والسياسيون والصحفيون ، وغير هؤلاء ممن لم ننقل عنهم . وقلما نجد من لايستعملها ، مثل طه حسين وعباس محمود العقاد وشوقى ضيف ، وهؤلاء هم الاستثناء الذى يؤكد هذه القاعدة .

ونحب هنا أن نذكر أن أعضاء المجامع اللغوية ، الذين فى أيديهم الإفتاء اللغوى ، قد استخدموا «بل و» دون أن يجدوا من ينكر عليهم هذا الاستخدام . ومن ذلك أننا نجد رئيس المجتمع الأردنى عبد الكريم خليفة يقول : «فإن تطورها يعنى الحيوية والنماء والاستجابة لمتطلبات العصور الثقافية والفكرية والحياتية ، وذلك فى إطار الوحدة الزمنية عبر القرون فى تراثنا العربى الإسلامى وفى إطار الوحدة المكانية على امتداد الساحة الجغرافية للوطن العربى **بل و** لجميع ديار الإسلام» [٩٤] .

ومن ذلك ما كتبه محمود على مكى عضو المجتمع القاهرى : «على أنه يجب علينا أن ننبه إلى أن القيمة الفنية لكثير من هذا الشعر محدودة ضئيلة ، **بل و** تكاد تنعدم أحيانًا» [٩٥] .

ومنه ما جاء عند المرحوم عدنان الخطيب عضو المجامع كلها :

«... لتوعيتهم بخطورة الثنائية المطلقة التى تؤدى إلى الفصل المطلق النهائى بين المشافهة والتحرير **بل و** خطرها على مستقبل العربية» (٩٦) .

ومنه ما كتبه عبد الوهاب حومد عضو المجمع الدمشقى : «كما أن لغتنا كانت ، ولا تزال ، عسيرة عليهم وعلينا نحن أيضًا ، خاصة قواعدها النحوية والصرفية **بل و** الإملائية كذلك» (٩٧) .

فى الختام نعلم أن هذه الظاهرة لم توجد فى العربية المعاصرة بتأثير الترجمة من اللغة الإنكليزية ، بل هى قديمة ، يعود أقدم نصوصها المكتوبة إلى القرن الثانى الهجرى ، وأنها موجودة فى كل القرون تقريبًا حتى أيامنا هذه .

الحواشي والإحالات

١ - انظر :

- كتاب سيبويه ، تحـ عبد السلام محمد هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٧٣ - ١٩٧٩ حـ ١/ ٤٣٤ - ٤٣٥ .
- المقتضب للمبرد ، تحـ محمد عبد الخالق عضيمة ، القاهرة : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٧٩م حـ ١/ ١٥٠ .
- معانى الحروف للرمانى ، تح عبد الفتاح إسماعيل شلبى ، القاهرة : نهضة مصر ١٩٧٣م ص ٩٤ .
- شرح المفصل لابن يعيش ، القاهرة : ط المنيرية ، حـ ٨/ ١٠٥ .
- شرح الكافية للاستراباذى ، استانبول : شركة الصحافة العثمانية ١٣١١ هـ ، حـ ٢/ ٣٧٨ .
- الجنى الدانى فى حروف المعانى للمرادى ، تحـ فخر الدين قباوة ونديم فاضل ، بيروت : دار الآفاق الجديدة ١٩٨٣م ، ص ٢٣٥ - ٢٣٧ .
- مغنى اللبيب لابن هشام ، القاهرة : ط عيسى الحلبى حـ١ / ١٠٣ .
- أوضح المسالك لابن هشام ، تحـ عبد المتعال الصعيدى ، القاهرة : مكتبة الآداب ١٩٨٢م ص ١٩١ .
- ارتشاف الضَرَب من لسان العرب ، لأبى حيان الغرناطى ، تحـ مصطفى النمّاس ، القاهرة ٨٤ - ١٩٨٩م ، حـ ٢/ ٦٤٣ - ٦٤٤ .
- حاشية الصبان على شرح الأشمونى ، القاهرة : ط عيسى الحلبى ، حـ ٣/ ١١٢ - ١١٣ .

- المعجم الكبير ، مجمع اللغة العربية ١٩٨٢م ، حـ٢ حرف الباء ، ص ٤٩٦ .

- محمد عبد الخالق عضيمة : دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، القاهرة : دار الحديث ١٩٧٥ م ، ق ١ حـ٢ ص ٥٨ - ٩٠ .

٢- أحمد بن فارس الرازى : الصاحبى فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها ، تحـ السيد أحمد صقر ، القاهرة : عيسى الحلبى ١٩٧٧ م ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

٣- محمد على الخولى : التراكيب الشائعة فى اللغة العربية - دراسة إحصائية ، الرياض ١٩٨٢ م ، ص ٢٧ .

٤- المصدر نفسه ، ص ١٥٩ .

٥- سيأتى بيان ذلك ، ويكفى - ضمن شواهد كثيرة - لإثبات هذه الكثرة أن كتاب محمد جلال كشك : الجنازة حارة (ط القاهرة ١٩٩١ م) وردت فيه (بل و) فى تسعين صفحة من مئتين وسبعين .

٦- مجمع اللغة العربية بالقاهرة : المعجم الوسيط ، تأليف مجموعة من العلماء ، ط٢ (١٩٧٢ م) .

٧- كمال محمد بشر : دراسات فى علم اللغة ، القاهرة : دار المعارف ١٩٧١ م ، حـ٢/١٤٤ .

٨- محمد حسن عبد العزيز : الخواص التركيبية للجملة فى اللغة العربية كما تمثلها لغة الصحافة المعاصرة ، رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ١٩٧٥ ص ٢٢١ ، ٢٢٨ .

٩- المصدر نفسه ، ص ١٠٦ .

١٠- انظر مثلا :

A Comprehensive Grammar of The English Language By : Randolph Ouirk , Sideny Greenbaum , Geoffrey Leech, Jan Svartvik, London : Longman 1985, pp. 940 - 941 .

١١- عباس على محمد السوسوة : مستويات اللغة العربية فى الصحافة اليمنية المعاصرة (١٩٨٠م - ١٩٨٤م) رسالة دكتوراه (غير منشورة) كلية الآداب ، جامعة القاهرة ١٩٨٩م ص ١٦٢ .

١٢- المصدر نفسه ، ص ١٦٤ .

١٣- ديوان أبى نواس الحسن بن هانىء تحـ أحمد عبد المجيد الغزالى ، القاهرة ١٩٥٣م ، ص ٦١٠ .

١٤- ديوان ابن الرومى ، اختيار كامل كيلانى ، القاهرة : المكتبة التجارية ١٩٢٤ م ، ص ٢٤

١٥- أبو بكر محمد بن زكريا الرازى : رسائل فلسفية ، تحـ ب . كراوس ، القاهرة : جامعة فؤاد الأول ١٩٣٩م ، ص ٢٥ .

١٦- القاضى عبد الجبار الهمذانى : شرح الأصول الخمسة ، تحـ عبد الكريم عثمان ، القاهرة : مكتبة وهبة ١٩٨٨م ، ص ٥٩٢ ، ٥٩٣ .

١٧- ابن سينا : البرهان من كتاب الشفاء ، تحـ عبد الرحمن بدوى ، القاهرة : النهضة العربية ١٩٦٦م ، ص ٦٠ وانظر أيضًا ص ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ .

١٨- ابن سينا : القانون فى الطب ، القاهرة : طـ الأميرية ١٢٩٤ ، حـ١/ ٦٠ ، وانظر ١/ ١٧١ .

١٩- ابن سينا : القانون فى الطب ، تح إدوارد القش ، بيروت : مؤسسة عز الدين ١٩٨٧م ، حـ ٣/ ٩٥٧ ، وانظر حـ ٣/ ٨٣٧ .

٢٠- ابن سينا ، المصدر السابق حـ٤/ ١٨٢١ .

٢١- أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد : فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ، تحـ محمد عمارة ، القاهرة : دار المعارف ١٩٧٢ ، ص ٢٨ . وانظر ص ٢٥ ، ٤٠ .

٢٢- عبد اللطيف البغدادى : كتاب الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ، تحـ أحمد غسان سبانو ، دمشق : دار قتيبة ١٩٨٣م ، ص ١٢٢ .

٢٣- سيف الدين الآمدى : الإحكام فى أصول الأحكام ، القاهرة : الاتحاد العربى للطباعة ١٣٨٧ هـ ، حـ١/ ٥٣ .

٢٤- المصدر السابق ، حـ١/ ٢٤٢ .

٢٥- أحمد بن محمد بن المُنَيِّر الاسكندرى المالكى : الإنصاف فيما تضمنه الكشّاف من الاعتزال (على حاشية كشاف الزمخشرى) ، بيروت : دار المعرفة جـ٢/ ١٩٨ وانظر حـ ٢/ ٢٥٠ .

٢٦- بدر الدين بن إبراهيم بن جماعة الكنانى : تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتعلم ؛ حيدر اباد الدكن : جميعة دائرة المعارف العثمانية ١٣٥٤ هـ .

٢٧- صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى : الوافى بالوفيات ، باعتناء س . ديدر ينغ ، فيسبادن : فراتز شتاينر ١٩٧٠م ، ح٥/ ١٥ . وانظر للصفدى أيضًا : الغيث المسجم شرح لامية العجم ، بيروت : دار الكتب العلمية ١٩٧٥م حـ١/ ٢٠٣ .

٢٨- أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير : البداية والنهاية ، القاهرة ط السعادة ١٩٣٤م ، حـ٨/ ٢٢٤ .

٢٩- عبد الرحيم أحمد البرعى : ديوان البرعى ، القاهرة : ط العامرة ١٣٢٤ هـ ، ص ١٤٤ .

٣٠- ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، تحـ قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين ، بيروت : الجامعة الأمريكية ١٩٣٩م ، مج ٨ ص ١٦٥ .

٣١- ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، تحـ على عبد الواحد وافى ، طـ٣ ، القاهرة : مكتبة نهضة مصر ٧٩م - ١٩٨١م ، ص ٥١٠ . وانظر أيضًا ص ٣١٠ ، ٣٨٧ وفى حاشيتهما نجد المحقق يخطىء هذا الأسلوب ، وانظر ص ٣٩٥ ، ١٠٢٢ . ونجد الظاهرة عند ابن خلدون فى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، القاهرة : ط الخديوية ١٢٨٤ هـ ، حـ٦/ ١٩٨ وحـ٧/ ٢٧٣ . وانظر - إن شئت - نقداً لهذه الظاهرة فى أحمد محمد الحوفى : أدب ابن خلدون ، مجلة مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، حـ٣٠ ، عام ١٩٧٢ م ، ص ٥٤ .

٣٢- عبد القادر بن عمر البغدادى : خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تحـ عبد السلام محمد هارون ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، حـ١/ ١٥ .

٣٣- شمس الدين محمد بن محمد الجزرى : النشر فى القراءات العشر ، تصحيح على محمد الضباع ، القاهرة : المكتبة التجارية ، حـ١/ ٤٥ .

٣٤- أبو المحاسن محمد بن على العبدرى الشيبى : تمثال الأمثال ، تحـ أسعد ذبيان ، بيروت : دار المسيرة ١٩٨٢ م ، ١٢٧ .

٣٥- ابن المرتضى اليمانى : إيثار الحق على الخلق ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ص ١٢١ وانظر ص ٦٢ ، ٣٤٥ .

٣٦- تقى الدين أحمد بن على المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحـ سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة : دار الكتب المصرية ١٩٧٠ م ، ق ٣ حـ ١/ ٢٧٣ . وانظر أيضًا ق١ حـ١ تحـ محمد مصطفى زيادة ، ١٩٣٤م ، ص ٣٨٦ . وانظر : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، القاهرة : ط الأميرية ١٣٢٦ هـ ، حـ١/ ٢٢٠ .

٣٧- ابن حجر العسقلانى : إنباء الغُمر بأنباء العمر ، تحـ حسن حبشى ، القاهرة : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٩٧٢ م ، حـ ٣/ ١٨٨ . وانظر ص ١٦٥ ، ٣٥٤ .

٣٨- أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، حـ ١٥ تحـ إبراهيم على طرخان ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للتأليف ١٩٧١م ، ص ٤٥٦ .

٣٩- المصدر السابق ، حـ ١٥/ ٥٠٣ . وانظر المصدر نفسه فى :

- حـ ١٤ تحـ فهيم شلتوت وجمال محمد محرز ، ١٩٧١م ، ص ٢٤٧ ، ٣٢٥ .
- حـ ١٦ تحـ جمال الدين الشيال ، ١٩٧٣ م ، ص ١٧ ، ١٥٨ .

٤٠- علاء الدين الطوسى ، تهافت الفلاسفة ، تحـ رضا سعادة ، بيروت : الدار العالمية ١٩٨١م ، ص ١٢٥ وكررها فى ص ١٢٦ .

٤١- الخطيب الجوهرى على بن داود الصيرفى : نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان ، تحـ حسن حبشى ، القاهرة : وزارة الثقافة ١٩٧٠م ، حـ١/ ٦١ . وانظر ح١/ ١٢٣ وحـ٢ - ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ .

٥٢- شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، القاهرة : مكتبة القدسى ، ١٣٥٥هـ ، حـ١/ ٥ وحـ١٠/ ٨٥ .

٥٣- أحمد بن محمد بن حجر الهيتمى : الصواعق المحرقة فى الرد على أهل البدع والزندقة ، القاهرة : ط الميمنية ١٣٧٥ هـ ، ص ١١١ .

٥٤- أحمد بن محمد المقّرى التلمسانى : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحـ إحسان عباس ، بيروت : دار صادر ٦٨ - ١٩٧٢ م ، حـ ١/ ٣٣ .

٥٥- عبد الصمد إسماعيل الموزعى : الإحسان فى دخول مملكة اليمن تحت ظل آل عثمان ، تحـ عبد الله محمد الحبشى ، صنعاء : وزارة الأوقاف ، ص ٩٧ ، والأوقية والبقشة من العملات فى زمنه .

٥٦- عبد القادر بن عمر البغدادى : خزانة الأدب حـ١/ ٢٨ .

٥٧- يوسف بن محمد الشربينى : هز القحوف شرح قصيد أبى شادوف ، القاهرة : ط المحمودية ، ص٢ ، وانظر أيضًا ص ٧٦ ، ١٧٩ .

٥٨- محمد مرتضى الزبيدى : تاج العروس شرح جواهر القاموس ، حـ٤ تح عبد العليم الطحاوى ، الكويت ١٩٦٨م ، (وثب) ص ٣٣١ .

٥٩- التاج ، حـ٦ تحـ حسين نصار ، الكويت ١٩٦٩م (لجج) ص ١٨٣ . وانظر طبعة الخيرية بالقاهرة مادة (جرر) حـ٣/ ٩٢.

٦٠- أبو العرفان محمد بن على الصبان ، حاشية الصبان على شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك ، القاهرة : ط عيسى الحلبى حـ١/ ١٠ وانظر حـ٤/ ١٩٨ .

٦١- عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، بيروت : دار الجيل حـ١/ ١٩٠ .

٦٢- محمد بن على ا لشوكانى : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، القاهرة : ط السعادة ١٣٥٠هـ ، حـ٢/ ٢١٩ .

٦٣- رفاعة رافع الطهطاوى : تخليص الإبريز فى تلخيص باريز ، القاهرة : ط الأميرية ص ١٠٤ .

٦٤- المصدر السابق ، ص ١٣٨ .

٦٥- محسن بن أحمد الحرازى : رياض الرياحين ، تحـ حسين عبد الله العمرى ، صنعاء : دار الحكمة اليمانية ١٩٨٦م ، ص ١٦٦ .

٦٦- محمد بيرم الخامس : صفوة الاعتبار بمستودع الأقطار والأمصار ، بيروت : دار صادر حـ٣/ ٤٦ وانظر حـ ٣ ص١٥٣ .

٦٧- إبراهيم الأحدب الطرابلسى : فرائد اللآل فى مجمع الأمثال ، بيروت : ط الكاثوليكية ١٣١٢هـ ، حـ ٢/ ٢٥٧ .

٦٨- محمد بن محمد زبارة : أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر الهجرى ، القاهرة ١٣٧٦ هـ ، حـ ٢/ ٢٥ .

٦٩- عبد الرحمن الكواكبى : أم القرى ، حلب : ط العمومية ١٩٥٩ م ، ص ٤٨ ، وانظر ص ٢٢٨ .

٧٠- عبد الله النديم : الأعداد الكاملة لمجلة الأستاذ ، تصوير الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ١٩٩٤م ، ص ٦٣٥ ، وانظر ص ٤٦ ، ٢٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٦٥ ، ١٠٢٤ .

٧١- الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ، حققها وقدم لها محمد عمارة ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٢ م ، حـ٢ (الكتابات الاجتماعية) ص ٣١ ، وانظر مثلاً ص ١٦ ، ١٧ ، ٨٣ ، ٩٩ ، ١٥١ ، ١٥٤ .

٧٢- السيد محمد بن عقيل : العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل ، دار البلاغ ، بيروت ودار الحكمة اليمانية صنعاء ١٩٩٠ م ، ص ٢٥ ، وانظر ٦٤ ، ٨٥ .

٧٣- أبو القاسم الشابى : الخيال الشعرى عند العرب ، ح الأول من الأعمال الكاملة ، تونس : الدار التونسية للنشر ١٩٨٤ م ، ص ٩٧ . وانظر له أيضًا ضمن الأعمال الكاملة :

أ- الدموع الحائرة حـ٢/ ٦٩ ، ٧٢ .

ب- مذكرات الشابى حـ٢/ ٢٠ .

٧٤- كتاب الامتاع والمؤانسة لأبى حيان التوحيدى ، مقدمة المحققين أحمد أمين وأحمد الزين ، القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٩م حـ١ صفحة د .

٧٥- محمد مندور : فن الشعر ، ط٢ ، القاهرة : نهضة مصر ١٩٦٣م ، ص ١١٨ .

٧٦- عن : عبد القادر القط : قضايا ومواقف ، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للتأليف ١٩٧١م ، ص١٢ .

٧٧- يحيى حقى : ناس فى الظل ، القاهرة : كتاب الجمهورية ١٩٧١ م ، ص ٢٧ .

٧٨- صلاح حافظ : انتصار الحياة ، القاهرة : الكتاب الذهبى - دار روزاليوسف ، ١٩٧٢م ، ص وانظر ص ٤٢ .

٧٩- محمود فهمى حجازى : علم اللغة العربية - مدخل تاريخى مقارن فى ضوء التراث واللغات السامية ، الكويت : وكالة المطبوعات ١٩٧٣م ، ص ١٥٢ ، وانظر ص ٧١ ، ١٣٢ .

٨٠- نايف خرما : أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، الكويت : عالم المعرفة ١٩٨م ، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ وانظر ص ٥ ، ١٨ ، ٢١ ، ٤٠ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ١٠٨ ، ١٣٤ ، ١٨٧ ، ١٩٠ ، ٢٢٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥٢ ، ٢٩١ ، ٢٩٨ .

٨١- توفيق محمد شاهين : المشترك اللغوى نظريًا وتطبيقيًا ، القاهرة : مكتبة وهبة ١٩٨٠ م ص ٢٢٥ وانظر ص ٢٣١ .

٨٢- عبده بدوى : قضايا حول الشعر ، مجلة (الشعر) العدد ٢٤ ، أكتوبر ١٩٨١ م ، ص٧ .

٨٣- إسعاد عبد الهادى قنديل : فنون الشعر الفارسى ، ط٢ بيروت : دار الأندلس ١٩٨١م ، ص وانظر : يوسف السيسى : دعوة إلى الموسيقى ، الكويت : عالم المعرفة ١٩٨١م .

ص ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٦ ، ١١٤ ، ١٦١ ، ١٦٦ ، ١٨٠ ، ٢٨٨ ، ٣٠٦ ، ٣٢٥ .

٨٤- فؤاد زكريا : كم عمر الغضب ؛ هيكل وأزمة العقل العربى ، ص٢ ، القاهرة : مطبوعات القاهرة ١٩٨٤م ، ص ٦٦ وانظر ص ٩٢ . وانظر : أحمد بن محمد الشامى : المتنبى شاعر مكارم الأخلاق ، جدة : تهامة ١٩٨٤م ، ص ٨ ، ٢٨ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٣٥ ، ٥٤ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧١ ، على سبيل المثال .

٨٥- محمد حسن حسن جبل : الاحتجاج بالشعر فى اللغة - الواقع ودلالته ، القاهرة : دار الفكر العربى ١٩٨٦ م ، ص ٣٥ .

٨٦- أحمد بن محمد الشامى : شعراء اليمن فى الجاهلية والإسلام - فى من اسمه ابراهيم ، جدة : تهامة ١٩٨٦م ، ص ٥٩ ، وانظر مثلاً ص ٤٠ ، ٤١ ، ٦٨ ، ٨٨ ، ١٢٠ ، ١٤٧ ، ١٥ ، ١٥٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ٢٠٠ .

٨٧- محيى الدين اللباد : نَظَر ، القاهرة : العربى للنشر والتوزيع ١٩٨٧م ، حـ١/٨٦ ، وانظر على سبيل المثال ص ٨٨ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، وحـ٢ (ط ١٩٩١م) ص ١٨ ، ٢٣ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٧ ، ٧٨ .

٨٨- محمد عبد القادر بافقيه : المستشرقون وآثار اليمن ، صنعاء : مركز البحوث والدراسات اليمنى ١٩٨٨ م ، ح١/١٥ وانظر ص ٣١ ، ٥٩ ، ٦٦ .

٨٩- محمد التيجانى السماوى : مع الصادقين ، لندن : مؤسسة الفجر ١٩٨٩م ، ص ٢١ وانظر ص ٦ ، ٩ ، ٢٥ ، ٥٨ ، ١٣٠ ، ١٣٨ ، ١٨٠ .

٩٠- محمد شكرى عياد : المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين ، الكويت : عالم المعرفة ١٩٩٣ م ، ص ٦٠ وانظر ص ١٣٥ .

٩١- محمد زغلول سلاّم : الأدب فى العصر الأيوبى ، ط٣ ، الاسكندرية : منشأة المعارف ١٩٩٠م ، ص ٢٢٠ ، وللمؤلف نفسه انظر :

- الأدب فى العصر الفاطمى - الكتابة والكتاب ، الاسكندرية ، منشأة المعارف ١٩٩٣م ، ص ٩ ، ١١ ، ١٣ ، ٣٠ ، ٦٧ ، ١٤٨ ، ٢٠٠ ، ٣٠١ .

- الأدب فى العصر المملوكى : الاسكندرية : منشأة المعارف ١٩٩٦م حـ٣/ ١١ ، ١٩ ، ٤١ مثلاً .

٩٢- حسن الزين : على بن أبى طالب وتجربة الحكم ، بيروت : دار الفكر الحديث ، ١٩٩٤م ص ٤١ ، وانظر ص ١٦١ ، ٢٢٤ .

٩٣- حسن حنفى : من اللغة إلى الفكر ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ،مج ٧١ حـ١ كانون الثانى ١٩٩٦ م ، ص ٧٠ .

٩٤- ندوة الازدواجية فى اللغة العربية ، مجمع اللغة العربية الأردنى ١٩٨٨م ، ص ١٠ وانظر أيضًا ص ١١ وفى أعمال هذه الندوة راجع بحث : محمود حسنى : ظاهرة الازدواجية فى العربية بين الماضى والحاضر ، ص ١٠٧ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ .

٩٥- محمود على مكى : المدائح النبوية ، القاهرة : الشركة المصرية العالمية للنشر ١٩٩١م ، ص ١٣٤ .

٩٦- عدنان الخطيب : وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة فى الدورة السادسة والخمسين مجلة مجمع اللغة العربية الأردنى ، العدد ٣٩ ، تموز - كانون أول ١٩٩٠م ص ٨٩ .

٩٧- عبد الوهاب حومد : دعوة إلى تيسير النحو العربى / مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ،مج ٧١ حـ١ كانون الثانى ١٩٩٦م ، ص ٢٠٢ .

مكانة كتاب التفاحة فى النحو

لأبى جعفر النحاس ت ٣٣٧ هـ

حتى نهاية القرن الرابع الهجرى

إعداد الدكتور
مجدى إبراهيم يوسف

أولاً : المقدمة :

يعد كتاب التفاحة من أهم الكتب النحوية التعليمية التى عرفها القرن الرابع الهجرى . مؤلفه : أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادى ، المعروف بأبى جعفر النحاس[١] المتوفى سنة ٣٣٧ هـ ، عالم باللغة والنحو ، نشأ فى مصر ثم رحل إلى بغداد . اهتم بكتاب سيبويه ، أخذ عن المبرد ت ٢٨٥هـ ، وابن كيسان ت ٢٩٩هـ ، والزجاج ت ٣١٠ هـ ، وله مناظرات مع ابن ولاد المصرى ت ٣٣٢ هـ . من مؤلفاته : كتاب شرح أبيات سيبويه ، وكتاب إعراب القرآن ، وكتاب القطع والائتناف ، وشرح القصائد التسع ، وكتاب التفاحة فى النحو ، وهو موضوع هذه الدراسة .

وتهدف هذه الدراسة إلى تحليل محتوى كتاب التفاحة لأبى جعفر النحاس

تاريخ استلام البحث ١٩٩٧/٢/١م، وتاريخ قبوله ١٩٩٧/٥/٣م.

(١) انظر فى ترجمته: طبقات النحويين للزبيدى ٢٢٠، انباه الرواه ١٠١/١، معجم الأدباء ٢٢٤/٤، بغية الوعاة ٣٦٢/١، المزهر فى علوم اللغة ٢٦٤/٢، ٢٨٩، وفيات الأعيان ٨٢/١، تاريخ الأدب العربى لبروكلمان ٢٧٥/٢ ، تاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان ١٨٦/٢، الأعلام للزركلى ٩٩/١، المدارس النحوية لشوقى ضيف ٣٣١.

بوصفه من الكتب التعليمية التى عرفها القرن الرابع الهجرى ، كما تهدف إلى دراسة المصطلحات النحوية التى تناولها أبو جعفر النحاس ، وبيان موقفه من السماع والقياس والتعليل ، ثم توضح الأمثلة التى تناولها ، فأكثرها من الأمثلة المصنوعة ، كما تهدف إلى بيان أهمية كتاب التفاحة وأثره فى النحو التعليمى حتى نهاية القرن الرابع الهجرى .

لقد عرف القرن الرابع الهجرى اتجاهاً جديداً فى التاليف النحوى يتخذ من المنهج التعليمى أساساً له ، تتسم المؤلفات النحوية قبل ذلك بأنها موسوعية ، ومن ذلك كتاب سيبويه ت ١٨٠ هـ ، والمقتضب للمبرد ت ٢٨٥ هـ ، والأصول لابن السراج ت ٣١٦ هـ . لقد أدرك العلماء حاجة الناس إلى تعلم النحو ، وعرفوا أن ذلك لن يكون من خلال المؤلفات الموسوعية ، فمادتها العلمية غزيرة وصعبة ، وشواهدها كثيرة ومن هنا بدأ الاتجاه فى التاليف التعليمى الذى يتخذ من سهولة الأسلوب وقلة الشواهد وكثرة الأمثلة أساساً له ، مما يساعد على التعلم والفهم ، ويعد كتاب التفاحة فى النحو لأبى جعفر النحاس ت ٣٣٧ هـ واحداً من المؤلفات التعليمية التى أُلفت تلبية لتيسير النحو وتعلمه للناس ، وثمة مؤلفات أخرى منها الموجز لابن السراج ت ٣١٦ هـ ، والجمل للزجاجى ت ٣٣٧ هـ ، واللمع لابن جنى ت ٣٩٢ هـ ، لقد تتابع ظهور المؤلفات التعليمية فى القرون التالية فظهرت المتون والمنظومات ، ومنها ألفية ابن معط ت ٦٢٧ هـ ، وألفية ابن مالك ت ٦٧٢ هـ ، وألفيه السيوطى المسماه (الفريدة) ت ٩١١ هـ .

لقد اهتم الباحثون والدارسون بأبى جعفر النحاس ، فهناك دراسة عن أثره فى الدراسات النحوية لوهبة متولى عمر ، رسالة ماجستير دار العلوم ٧٢ ، وهناك دراسة عن آرائه فى النحو لفضل ربه السيد طمان ، رسالة دكتوراه - آداب اسكندرية ، وقد تناوله بالدراسة الدكتور شوقى ضيف فى كتابه المدارس

النحوية . هكذا اهتم الدارسون بأبى جعفر النحاس بعيداً عن دراسة كتابه التفاحة فى النحو ، لقد عرّف الأستاذ عارف النكدى كتاب التفاحة بتحقيق الأستاذ كوركيس عواد فى دراسة نشرها فى مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق الجزء الأول - المجلد ٤٢ عدد كانون الثانى يناير ١٩٦٧ فى الصفحات من ١٤٩ : ١٥٢ ، ولكنه لم يعد دراسة علمية للكتاب تبين أهميته ومكانته ، ومن هنا كان هذا البحث الذى يهدف إلى بيان مكانة كتاب التفاحة فى النحو من الكتب التعليمية حتى نهاية القرن الرابع الهجرى .

تعتمد مادة هذه الدراسة على كتاب التفاحة لأبى جعفر النحاس ت ٣٣٧هـ ، بتحقيق الدكتور ماهر عبد الغنى كريم ، وهناك تحقيق آخر للأستاذ كوركيس عواد . وثمة كتب تعليمية أخرى تناولها هذا البحث حتى نهاية القرن الرابع الهجرى ، أهمها :

- كتاب الموفقى فى النحو لابن كيسان ت ٢٩٩ هـ - تحقيق عبد الحسين الفتلى ، مجلة المورد - المجلد الرابع - العدد الثانى ١٩٧٥م - ص ١٠٣ : ١٢٤ .
- كتاب الموجز فى النحو لابن السراج ت ٣١٦ هـ - تحقيق مصطفى الشويمى بيروت ١٩٦٥ م .
- كتاب الجمل للزجاجى ت ٣٤٠ هـ - تحقيق على توفيق الحمد - بيروت ١٩٨٥م .
- كتاب اللمع لابن جنى ت ٣٩٢ هـ - تحقيق حامد المؤمن - بيروت ١٩٨٥م .

ثانياً: الاتجاه التعليمي في كتابه التفاحة :

يضم كتاب التفاحة أبواب النحو العربي كلها ، فيعرضها بإيجاز واختصار ويتخذ من سهولة الأسلوب ووضوحه أساساً له ، بما يتفق مع غرضه التعليمي لقد أدرك أبوجعفر النحاس أن تعلم النحو لا يقوم على الصعوبة والتعقيد ، وإنما يقوم على السهولة والتيسير ، ومن هنا نرى كتاب التفاحة وقد تصدرته العبارة التالية (هذا الكتاب مع صغر حجمه واختصار لفظه فيه فائدة عظيمة ، فلقد أتى بالمقصود بعبارة واضحة وطريقة سهلة ، وهو أوضح للمبتدئ . . .)[1] . وهذا معناه أن كتاب التفاحة أُلِّف للمبتدئين حتى يتعلموا النحو ، ومن هنا كان صغيرا ومختصرا وسهل الأسلوب .

لقد كان النحاس يستخدم عبارات تدل على الأسلوب التعليمي ، الذى اتخذه أساساً لكتابه التفاحة ، ومن هنا نراه يكثر من استخدام فعل الأمر (اعلم) ، ويقترن هذا الفعل ببيان حكم أو قاعدة نحوية ، مع ذكر أمثلة يسيرة للتوضيح ، ومن ذلك مثلاً :

- اعلم أن العربية على ثلاثة أقسام : اسم وفعل وحرف جاء المعنى[2] .
- اعلم أن الإعراب على أربعة أوجه : على الرفع والنصب والجر والجزم[3] .
- اعلم أن الأفعال على أربعة أقسام : فعل ماض وفعل مستقبل ، والأمر والنهى[4] .
- اعلم أن كل اسم يبتدأ به ولم يعمل فيه عامل ، ناصب أو خافض فإنه رفع ، وخبره رفع مثله إذا كان اسماً واحداً تقول من ذلك : زيد منطلق ، رفعت زيداً بالابتداء ، ورفعت منطلق لأنه خبر الابتداء[5] .

---

(١) التفاحة ص ١ . (٢) نفسه ص ١ . (٣) نفسه ٣ . (٤) نفسه ١٠ . (٥) نفسه ١٦ .

- اعلم أن هـذه - المراد حروف الخفـض - تخفض مـا بعدها ، تـقول من ذلك : كتبت إلى زيد ، خفضت زيـدا بـ « إلى » ، ومثله مررت بزيد ، وحدثت عن بكر ، وجلست عند أخيك . . . .)[1] .

- اعلـم أن الجواب بالفـاء منصوب أبـدا فى ستة أشـياء : الأمر والنـهى ، والاستفهام والتمنى والجحد والدعاء[2] .

- واعلم أن كل فعل فى آخره واو وياء أو ألف ، فجزمه بحذف آخره ، نحو قولك : لم تقض ، ولم ترم ، ولم تـدع ، ولم تغز ، ولم تخش ، ولم يرض ، حذفت الياء والواو والألف للجزم[3] .

- اعلم أن المفـعول الذى لم يسم فاعـله رفع أبدا ، لأنه قام مقـام الفاعل ، تقـول مـــن ذلك : ضُرِب زيـدٌ ، رفعتِ زيـدا لأنه مفـعول لم يـسم فاعله[4] .

- اعلم أن الأسماء على قسمين : معرفة ونكرة ، فالمعرفة عـلى خمسة أوجه اسم علم ، واسم معهود ، واسم مبـهم ، واسم مضمر ، واسم مضاف إلى أحد هؤلاء المعارف[5] .

- اعلم أن النـعت تابع للاسم فى إعرابـه وتعريفه وتنكـيره ، إن كان الاسم رفعاً فـنعته رفع ، وإن كـان نصباً فنـعته نصب ، وإن كـان خفضاً فنـعته خفض ، وإن كان معـــرفة فنعته مـعرفة ، وإن كان نكـرة فنـعته نكرة ، تقول من ذلـك : قام زيد العاقل ، رفعـت زيدا بفعله ، ورفعـت العاقل لأنه نعت لزيد[6] .

- اعلم أن البدل يجرى على ما قبلـه من الإعراب كما يجرى النعت ، ويجوز

---

(1) التفاحة ٢٦ . (2) نفسه ٣٦ ، ٣٧ . (3) نفسه ٤٤ .
(4) نفسه ٥٣ . (5) نفسه ٥٥ . (6) نفسه ٥٨ .

بدل المعرفة من المعرفة والنكرة من النكرة والمعرفة من النكرة ، والنكرة من المعرفة ، فكل ذلك جائز ، تقول من ذلك : جاءنى أخوك زيد ، رفعت الأخ بفعله ، ورفعت زيداً لأنه بدل من الأخ ، وهذا بدل المعرفة من المعرفة ، ومثله مررت برجل زيد ، وهذا بدل المعرفة من النكرة ، ومررت بأخيك رجل صالح ، وهذا بدل النكرة من المعرفة ، ورأيت رجلين رجلاً طويلاً ورجلا قصيرا ، وهذا بدل النكرة من النكرة[1] .

- اعلم أن الحال نصب أبدا ، وهو كل اسم نكرة جاء بعد اسم معرفة قد تم الكلام دونه ، تقول من ذلك: جاء زيد راكباً ، نصبت راكباً على الحال ، أى جاد فى حال ركوبه[2] .

- اعلم أن الظروف على قسمين : ظرف زمان ومكان ، فالظرف من الزمان مثل : اليوم والليلة والساعة والغدوة والعشية والشهر والسنة وقبل وبعد ... والظرف من المكان نحو قولك : خلف وأمام وفوق وتحت وعند وحول ...[3] .

- واعلم أن كل شئ ذكرته مما يحتمل أنواعاً ثم فسرته بنوع نكرة كان التفسير نصباً ، تقول من ذلك : عندى خمسة عشر درهماً ، نصبت الدرهم على التفسير ، ويقال على التمييز ، ومثله : عندى عشرون عبدا ، وهذه خمسة أرطال زيتاً ، وفلان أكثر الناس مالاً وأحسنهم وجهاً[4] .

- اعلم أن كل ما يتعجب منه بـ « ما » فهو نصب ، تقول من ذلك : ما أحسن زيدا ، نصبت زيدا للتعجب ، وفى التثنية : ما أحسن الزيدين ، وفى الجماعة : ما أحسن الزيدين ، ومثله : ما أجمل هندا وما أنظف ثوبك ، ما أكرم أخاك[5] .

---

(١) التفاحة ٦٩ . (٢) نفسه ٧١ . (٣) نفسه ٧٢ .

(٤) نفسه ٧٦ . (٥) نفسه ٧٧ .

- اعلم أن عدد المذكر من الثلاثة إلى العشرة بالهاء ، وعدد المؤنث من الثلاث إلى العشر بغيرها ، تقول فى المذكر : ثلاثة رجال وخمسة أثواب وعشرة أيام ، وفى المؤنث : ثلاث نسوة ، وخمس نبات ، وعشر ليال[1] .

- اعلم أن علامات التأنيث ثلاث ، أولها : الهاء ، والياء ، والهمزة الممدودة ، فالهاء علامة التأنيث فى مثل قولك : القائمة ، والقاعدة ، والصالحة ،وما أشبه ذلك ، والهمزة نحو قولك ، البيضاء والحمراء وما أشبه ذلك[2] .

- اعلم أن جميع الألفات التى هى فى أوائل الأسماء فهى ألفات قطع ، إلاّ فى عشرة أسماء فإن ألفاتها وصل ، وهى : ابن وابنه ، وامرؤ ، وامرأة ، واثنان ، واثنتان ، واسم ، واست ، وألف لام التعريف ، وألف المصدر سوى مصدر أفعل نحو قولك : اكتسب اكتساباً ، وانطلق انطلاقاً [3] .

- اعلم ان الأسماء التى لا تتصرف على عشرين وجهاً ، عشرة منها لا تتصرف فى معرفة ولا نكرة ، وعشرة لا تنصرف فى المعرفة وتنصرف فى النكرة[4] .

- واعلم أن أسماء الأنبياء - عليهم السلام - لا تنصرف فى المعرفة إلاّ فى ستة أنبياء : نوحاً وهوداً ولوطاً وشعيباً وصالحاً ومحمداً . . . .[5] .

- واعلم أن كل اسم لا ينصرف فإنه لا ينون ولا يخفض ويكون فى موضع الخفض نصباً بغير تنوين[6] .

---

(١) التفاحة ٨١ . (٢) نفسه ٨٨ ، ٨٩ . (٣) نفسه ٩٥ ، ٩٦ . (٤) نفسه ٩٧ .
(٥) نفسه ١٠٤ . (٦) نفسه ١٠٥ .

هكذا كان النحاس يتخذ من فعل الأمر (اعلم) مظهراً من مظاهر الأسلوب التعليمى الذى كان يهدف إليه من وراء كتابه ، فالكتاب تعليمى من الدرجة الأولى ، ولهذا حرص على أن يكون منهجه واسلوبه متمشياً مع هذا الهدف .

ثالثاً: الأمثلة المصنوعة فى كتاب التفاحة:

الأمثلة فى كتاب التفاحة كلها مصنوعة ، وقد كان مؤلفه يعمد إلى عدم تكرار الأمثلة ، فضلاً عن أنه كان يميل إلى استخدام الأمثلة السهلة ، لقد أراد النحاس كتابه مختصراً موجزاً فى النحو ليكون عجالة سريعة يسهل على المتعلمين ، ولعل هذا هو الذى دفعه إلى استخدام عبارات من قبيل (وما أشبه ذلك) ، أو (وكذلك ما أشبهه) ، فقد كان يستخدم هذه العبارة أو تلك مكتفياً بها عن تكرار الأمثلة ، ومن ذلك مثلاً :

- عَرّف النحاس الاسم بقوله (فالاسم : ما دخله الألف واللام ، وجاز أن يكون فاعلاً ، أو مفعولاً ، أو صلح فيه حرف من حروف الخفض ، مثل : رجل وفرس وزيد وعمرو ، وما أشبه ذلك)[1] .
- عَرّف النحاس الحرف بقوله (والحرف : مادل على معنى فى غيره وخلا من دليل الاسم والفعل ، مثل : هل ، وبل ، وإلى ، ومتى ، وقد ، وما أشبه ذلك)[2] .
- تكلم النحاس عن الأفعال الخمسة ، وإعرابها ، ومثّل لذلك بأمثلة ، فقال (ورفع فعل الاثنين والجمع ومخاطبة المؤنث الواحد يكون بالنون ، ونصبهما وجزمهما بحذف النون ، تقول : تذهبان وتذهبون وتذهبين ، وما أشبه ذلك)[3] .

---

(١) التفاحة ١ .　　(٢) نفسه ٢ .　　(٣) نفسه ٨ .

- مثّل النحاس لجمع المؤنث بقوله (ورفع جماعة المؤنث التى بالألف والتاء مثل : مسلمات وهندات ، وما أشبه ذلك)[1] .

- عرّف النحاس الفعل المضارع ومثّل له بقوله (والمضارع ما كان أوله حرف من حروف الاستقبال ، وهى أربعة أحرف : التاء والياء والنون والألف ، كقولك : تقوم ، ويقوم ، ونقوم ، وأقوم ، وما أشبه ذلك)[2] .

- تكلم النحاس عن العلم ، فعَرّفه ، ومثّل لذلك بقوله (فالعلم هو أسماء الناس والبلدان ، نحو قولك : زيد وعمرو ومكة وبغداد ، وما أشبه ذلك)[3] . ثم تكلم عن المعهود ، فقال (والمعهود ما كان أوله ألف ولام للتعريف ، كقولك : الرجل والفرس والدار ، والثوب وما أشبه ذلك)[4] . وتكلم عن المبهم ، فقال (والمبهم ما يشار به إلى الشئ نحو قولك : هذا وهذه وذلك وذاك وتلك ، وما أشبه ذلك)[5] . وتكلم عن المضمر ، فقال (والمضمر نحو قولك : هو وهى وتثنيتهما وجمعهما ، ونحو التاء فى : ضربت ، و(نا) فى ضربنا ، و (نى) فى ضربنى ، والياء فى دارى وثوبى ، وما أشبه ذلك)[6] .

- تناول النحاس حروف العطف ، ومثّل لها ، فقال (. . . . تقول من ذلك : جاء زيد وعمرو ، رفعت زيدا لأنه فاعل ، ورفعت عمرا لأنه عطف عليه بالواو ، ومثله : رأيت زيدا فعمرا ، ومررت بزيد ثم عمرو ، وجاءنى القوم حتى زيد ، وضربت القوم حتى زيدا ، وكذلك ما أشبهه)[7] .

- ويتكلم النحاس عن التوكيد ، ويمثل له فيقول (. . . تقول من ذلك : جاءنى زيد نفسه ، رفعت زيدا لأنه فاعل ، ورفعت نفسه لأنه توكيد لزيد ، ومثله : جاءنى القوم أجمعون ، ولقيتهم أجمعين ، ومررت بهم

---

(١) التفاحة ٩ . (٢) نفسه ١١ . (٣) نفسه ٥٥ . (٤) نفسه ٥٦ .
(٥) نفسه ٥٦. (٦) نفسه ٥٧ . (٧) نفسه ٦٥ ، ٦٦ .

أجمعين ، ومررت بهم كلهم ، وبهما ، وكليهما ، وفى المؤنث أيضاً ، وكذلك ما أشبهه)[1] .

- تناول النحاس الظروف ، وجعلها على قسمين ، ومثل لكل قسم على حدة ، فقال عن ظرف الزمان (.... فالظرف من الزمان مثل : اليوم والليلة والساعة والغدوة والعشية والشهر والسنة وقبل وبعد وما أشبه ذلك من أسماء الزمان)[2] ، وتكلم عن ظرف المكان ، فقال (والظرف من المكان نحو قولك : خلف وأمام وفوق وتحت وعند وحول وما أشبه ذلك من أسماء المكان)[3] .

- عقد النحاس باباً تناول فيه علامات التأنيث ، ومثّل لكل علامة على حدة ، فقال (اعلم أن علامات التأنيث ثلاث : أولها الهاء والياء والهمزة الممدوة ، فالهاء علامة التأنيث فى مثل قولك : القائمة والقاعدة والصالحة ، وما أشبه ذلك ،و والياء نحو قولك : الحبلى والسكرى ، والذكرى ، وما أشبه ذلك ، والهمزة نحو قولك : البيضاء والحمراء والسوداء ، وما أشبه ذلك)[4] .

- تكلم النحاس عن ألف الوصل ، ومثّل لها بأمثلة فى باب ألفات الوصل فى أوائل السور فقال (اعلم أن جميع الألفات التى هى فى أوائل الأسماء فهى ألفات قطع ، إلا فى عشرة أسماء فإن ألفاتها وصل ، وهى : ابن ، وابنة ، وامرؤ ، وامرأة ، واثنان ، واثنتان ، واسم ، واست ، ،وألف لام التعريف ، وألف المصدر سوى مصدر أفعل ، نحو قولك : اكتسب اكتساباً ، وانطلق انطلاقاً ، وما أشبه ذلك)[5] .

---

(١) التفاحة ص ٦٨ . (٢) نفسه ٧٢ . (٣) نفسه ٧٢.

(٤) نفسه ٨٨ ، ٨٩ . (٥) نفسه ٩٥ ، ٩٦ .

- تكلم النحاس عن الأسماء التى لا تنصرف ، وعدّ منها عشرة لا تنصرف فى معرفة ولا نكرة ، ومثل لكل بأمثلة توضحه وكان يستخدم عبارة (وما أشبه ذلك) تجنباً لتكرار الأمثلة ، يقول فى باب الأسماء التى لا تنصرف (فأما العشرة التى لا تنصرف فى معرفة ولا نكرة ، فأحدها ما كان على مثال أفعل إذا كان نعتاً ، كقولك : أبيض واسود وأحسن وافضل وآخر ، وما أشبه ذلك ، والثانى : ما كان على وزن فعلان الذى أنثاه فعلى ، مثل : سكران وسكرى ، وما أشبه ذلك ، والثالث : ما كان على أفعلاء ، مثل : أصدقاء وأنبياء وأولياء وما أشبه ذلك ، والرابع : ما كان على فُعلاء ، مثل : عقلاء وفقهاء وعلماء وما أشبه ذلك ، والخامس : ما كان على فَعْلاء ، مثل : بيضاء وسوداء ، وما أشبه ذلك ، والسادس : ما كان على فَعْلى ، مثل : مرضى وسكرى ، وما أشبه ذلك ، والسابع : ما كان على فُعْلى ، مثل : حُبْلى وبُشرى ، وما أشبه ذلك ، والثامن : ما كان على فعلى ، مثل : ذكرى ، واحدى ، وما أشبه ذلك ، والتاسع : ما كان بعد ألف الجمع أكثر من حرف واحد ، مثل مساجد ، ودراهم ودنانير ودواب وشواب ، وما أشبه ذلك . والعاشر : ما كان معدولاً من العدد ، مثل : مثنى وثلاث ورباع وما أشبه ذلك)(١) .

- ثم يتكلم عن الأسماء التى لا تنصرف فى المعرفة وتنصرف فى النكرة ، ويمثل لكل بأمثلة توضحه مكتفياً بعبارة (وما أشبه ذلك) عن تكرار الأمثلة ، يقول (وأما العشرة التى لا تنصرف فى المعرفة وتنصرف فى النكرة ، فأحدها : كل اسم أعجمى على أكثر من ثلاثة أحرف ، مثل : ابراهيم ، واسماعيل ، وجبريل ، وميكائيل ، وبهرام ، ورامس ، وما أشبه ذلك . والثانى : كل اسم مؤنث على أكثر من ثلاثة أحرف لا علامة فيه للتأنيث ، مثل :

---

(١) التفاحة ص ٩٧ : ١٠٠ .

زينب ، وسعاد، ومريم ، وما أشبه ذلك، والثالث: كل اسم فى آخره هاء التأنيث، مثل : طلحة وحمـزة ، وفاطمة ، وخديجة ، وما أشبه ذلك ، والرابع : كل اسم لمؤنث على ثلاثة أحـرف متحركة ، مثال : قدم وسفر وطرب وما أشبه ذلـك. والخامس: كل اسم لمذكر سميـت به مؤنثاً ، أو اسم لمؤنـث سميت به مـذكرا إذا كان على أكـثر من ثلاثة أحـرف كرجل سميته زينب ، أو امرأة سميتها جعفر ، وما أشبه ذلك . والسادس : كل اسم على فعل مما لا يحسن فيه الألف واللام مثل: عمر، وزفر ، وقثم ، وما أشبـه ذلك : والسابع : كـل اسم على فـاعول مما تحسن فـيه الألف واللام مثل : طالوت وجالوت وهارون ، وما أشبه ذلك . والثامن : كل اسم على مثال الـفعل المستقبل أو الأمر ، مثل : أحمـد ويزيد ويشكر ، وما أشبه ذلك . والتاسع : كل اسم على فعلان ، أو فعلان ، أو فعلان إذا كانت النـون فيه زائدة ، مثل : عثـمان وعمران وسلمـان ، وما أشبه ذلك . والعاشر : كل اسمين جعلا اسـماً واحداً ، مثل : معد يكرب ، وحضر موت ، وبعلبك ، وما أشبه ذلك)[1] .

هكذا كان الـنحاس يمثل بأمثـلة يسيرة لما يتنـاوله ، ويتجنب تكـرار الأمثلة مكتفياً بعـبارة (ما أشبه ذلك) ، أو (وكذلك ما أشبهه) ، ومـن هنا جاء كتابه مختصرا موجزا فى النحو . لقد كان للهـدف التعليمى من هذا الكتاب أثر كبير فى اختيـار الأمثلة ، فكلها أمـثلة مصنوعة سهـلة يغلب عليهـا الوضوح وعدم التكرار بعيداً عـن الشواهد ، ويغلب على هذه الأمثـلة أن تكون من المطرد فى الاستعمال بعيدا عن الشواذ وهذا يتفق مع الـسهولة والتيسير التى يحاول كتاب التفاحة أن يحققهـا لتعلم النحو للمبتدئين ، ومن هنـا جاءت أمثلة هذا الكتاب سهلة واضحة لا غموض فيها ولا شواذ ، لتقرب وتوضحها للمتعلمين .

(١) التفاحة ص ١٠٠ : ١٠٤ .

رابعاً: القياس

لقد كان النحاس يأخذ بالقياس ويدعو إليه . إن القياس الذى يمكن أن يفهم من التفاحة للنحاس إنما هو ما يمكن أن يسمى بالقياس التطبيقى الاستعمالى[(١)] ، فكثيراً ما كان النحاس يردف بعض الأمثلة التى يتناولها بعبارة (وقس عليه) ، ومن ذلك مثلاً :

- يقول النحاس فى باب أقسام الفعل (... وأما الأمر والنهى ، نحو قولك : قم واذهب ، ولا تدخل ولا تخرج ، وهما مجزومان ، إلا أن يستقبلهما ألف ولام ، أو ألف وصل فيكسران ، كقولك : اضرب القوم ، واطلب الخير ، ولا تطلب الشر ، كسرت الباء من اطلب ولا تطلب ، لالتقاء الساكنين وهما الباء واللام ، ومثله : اكرم القوم ، وادخل الدار ، وأدب ابنك ، ولا تطع امرأتك . وقس عليه)[(٢)] .

- ويقول فى باب الفاعل والمفعول به (الفاعل رفع أبداً ، تقدم أو تأخر ، والمفعول به نصب أبداً ، تقدم أو تأخر ، تقول من ذلك : ضرب زيد عمرا ، رفعت زيدا لأنه فاعل ، ونصبت عمرا لأنه مفعول به ، ومثله : أكرم أخوك أباك ، وركب زيد فرسك ، ودخل عمرو دارك . وقس عليه)[(٣)] .

- ويقول عن حروف الخفض (... اعلم أن هذه - يريد حروف الخفض - تخفض ما بعدها تقول من ذلك : كتبت إلى زيد ، خفضت زيداً بـ « إلى » ، ومثله : مررت بزيد ، وحدثت عن بكر ، وجلست عند أخيك ، والله لا كلمتك . وقس عليه)[(٤)] .

---

(١) انظر : د. تمام حسان - الأصول ١٦٤ .

(٢) التفاحة ١١ ، ١٢ .

(٣) نفسه ١٤ .

(٤) نفسه ٢٦ .

- ويتكلم النحاس عن الحروف الناسخة فى باب الحروف التى تنصب الأسماء وترفع الأخبار ، ويمثل لها ، فيقول (. . . تقول من ذلك : إن زيدا قائم ، نصبت زيداً بـ « أن » ورفعت قائماً لأنه خبر « إن » ، وفى التثنية : إن الزيدين قائمان ، وفى الجماعة : إن الزيدين قائمون ، ومثله : ليت عمرا قادم ، ولعل أخاك شاخص ، وكأن عبد الله أمير . وقس عليه)[1] .

- ويتكلم النحاس عن جزم جواب الشرط المحذوف الفاء ، يقول فى باب الجواب بالفاء (. . . وإذا حذفت الفاء من هذه الجوابات فاجزمها ، نحو قولك : اقصد زيداً يحسن إليك ، ولا تقصد عمرا تندم ، ومثله : أين بيتك أزرك ، وليت لى مالاً أنفقه . وقس عليه)[2] .

- ويقول فى باب المفعول الذى لم يسم فاعله (اعلم أن المفعول الذى لم يسم فاعل رفع أبدا ، لأنه قام مقام الفاعل ، تقول من ذلك : ضُرِبَ ، زيدٌ ، رفعت زيدا لأنه مفعول لم يسم فاعله ، ومثله : أُكْرِمَ أخوكَ ، وكُلِّم عبد الله ، وصيغ الخاتم ، وبيع المتاع . وقس عليه)[3] . ثم يقول (وإذا كان الفعل يتعدى إلى مفعولين أو أكثر ، فارفع الأول وانصب الثانى والثالث ، نحو قولك : أُعطِى زيد درهما ، رفعت زيدا لأنه مفعول ثان ، ومثله : كُسِى عمرو ثوباً ، وظن عبد الله شاخصاً ، وأعلم زيد عمرا مقيماً ، وقس عليه)[4] .

- تكلم النحاس عن أنواع المعارف فى باب المعرفة والنكرة ، ومثل لها ، ثم قال (. . . والمضاف إلى أحد هؤلاء المعارف ، نحو قولك : غلام زيد ، ودار الرجل ، وثوبى ، وثوبك . وقس عليه)[5] .

---

(١) التفاحة ٢٩ . (٢) نفسه ٣٨ . (٣) نفسه ٥٣ .

(٤) نفسه ٥٤ . (٥) نفسه ٥٧ .

- تكلم النحاس عن النعت ، ومثّل له بقوله (... ومثله : جاءنى رجل صالح ومررت برجل ذى مال ، ولقيت أخاك ذا مال ، وكلمت أبا عمرو العاقل ، وكلمت أبوى عمرو الكاتبين ، وقس عليه)[1] .

- ويتكلم عن ألفاظ التوكيد ، ويمثل لها ، ثم يقول (... وتقول : قام القوم جميع وجميعاً ، الرفع توكيد للقوم ، والنصب على الحال . وقس عليه)[2] .

- ويتناول النحاس الحال ، ويمثل له ، ويقول (اعلم أن الحال نصب أبدا ، وهو كل اسم نكرة جاء بعد اسم معرفة قد تم الكلام دونه ، تقول من ذلك : جاء زيد راكباً ، نصبت راكباً على الحال ، أى جاء فى حال ركوبه ، ومثله : أقبل زيد ضاحكاً ، وهذا أخوك منطلقاً ، وذاك عبد الله هارباً ، وعندك عمرو جالساً . وقس عليه)[3] .

- ويتكلم عن التعجب ويمثل له فى باب التعجب ، فيقول (اعلم أن كل ما يتعجب منه بـ « ما » فهو نصب ، تقول من ذلك : ما أحسن زيد ، نصبت زيدا للتعجب ، وفى التثنية : ما أحسن الزيدين ، وفى الجماعة : ما أحسن الزيدين ، ومثله : ما أجمل هذا ، وما أنظف ثوبك ، وما أكرم أخاك . وقس عليه)[4] .

- ويذكر النحاس أن حكم المنادى المضاف النصب ، ويمثل له ، فيقول (... وإذا ناديت مضافاً فانصبه ، كقولك : ياعبد الله ، ويا أبا محمد ، ويا غلام زيد ، ويا صاحب الفرس ، ويا أخانا ، ويا أبانا ، وقس عليه)[5] .

---

(١) التفاحة ٥٨ . (٢) نفسه ٦٨ . (٣) نفسه ٧١ .

(٤) نفسه ٧٧ . (٥) نفسه ٨٠ .

- ويوضح النحاس حكم العدد ، ويمثل له ، فيقول فى باب العدد (اعلم أن العدد المذكر من الثلاثة إلى العشرة بالهاء ، وعدد المؤنث من الثلاث إلى العشر بغيرها ، تقول فى المذكر : ثلاثة رجال ، وخمسة أثواب ، وعشرة أيام ، وفى المؤنث : ثلاث نسوة ، وخمس بنات ، وعشر ليال ، وقس عليه)[1] . ثم يقول (. . . فإذا جاوزت العشرة حذفت الهاء من العشرة من المذكر وأثبتها فى المؤنث وأسكنت الشين من العشرة من المؤنث ، تقول فى المذكر : أحد عشر رجلا ، وأثنا عشر رجلا ، وثلاثة عشر رجلا . وقس عليه)[2] . ثم يقول (. . . وفى المؤنث : احدى عشرة امرأة ، واثنتا عشرة امرأة ، وثلاث عشرة امرأة . وقس عليه)[3] .

- ويتكلم النحاس عن حكم المستثنى بـ « إلاّ » ، ويمثل له ، فيقول (. . . وإذا استثنيت بـــ « إلاّ » وكان أول الكلام موجباً نصبت المستثنى ، كقولك : قام القوم إلاّ زيدا ، ومررت بهم إلا عمرا ، هذا دينار إلا قيراطا . وقس عليه)[4] .

هكذا كان النحاس يأخذ بالقياس ويدعو إليه ، وقد تبين أن القياس الذى أراده هو القياس التطبيقى ، ذلك أنه كان يمثل لما يريد بالأمثلة التى توضحه ، ثم يدعو إلى القياس على هذه الأمثلة . لقد كان للقياس التطبيقى فى التفاحة أثر كبير فى إيجازه واختصاره من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإنه يؤكد على الجانب التعليمى بعبارته التى كان يرددها (وقس عليه) إذ كان يحث المتعلمين على إعمال الفكر ، وفى ذلك دعوة صريحة لقياس ما لم يذكره على ما ذكره تجذباً للتكرار ومن هنا . جاء كتابه موجزا ومختصرا ، فيه تركيز لعرض المادة النحوية يبعده عن الإطالة والتكرار . إن القياس التطبيقى الذى كان يدعو إليه أبو جعفر النحاس فى كتابه التفاحة إنما هو قياس على

---

(١) التفاحة ٨١ . (٢) نفسه ٨٢ . (٣) نفسه ص ٨٢. (٤) نفسه ٨٥ .

المطرد فى الاستعمال بعيداً عن الشواذ ، فالنحاس لم يدع للقياس على الشاذ ، بل لم يذكر الشواذ أصلاً فى كتابه التفاحة ، ومن هنا جاء كتابة سهلاً واضحا بعيداً عن الصعوبة والتعقيد خالياً من الشواذ حتى يحقق الهدف الذى أُلِّف من أجله وهو تعلم النحو للمبتدئين .

خامساً: السماع

لم يعتد النحاس بالسماع وإن كان وقد ورد ذلك عنده مرة واحدة فى باب علامات التأنيث، يقول (. . . قد جاءت أسماء مؤنثة بلا علامة ، وهى لا تدرك إلاّ بالسماع ، نحو : السماء، والأرض ، والشمس، والقمر، والرياح ، والنفس، والنار، والدار، والبئر، والدلو، والكأس، والخمر، والعصا، والقوس ، والدرع، والعنكبوت، والحرب ، والسلاح وهى تذكر وتؤنث، وكذلك السكين ، والسبيل ، والطريق ، والضياع ، والروح ، والسوق ، والحانوت[1] .

وهذا معناه أن أبا جعفر النحاس رأى ألاّ يوسع دائرة السماع فى كتابه التفاحة حتى لا يكون فى ذلك مدعاة لتناوله للشواذ التى سمعت عن العرب ، ولاشك أنه لو كان فعل ذلك لكان قد خرج بالكتاب عن غرضه التعليمى فالكتاب يهدف فى المقام الأول إلى عرض المادة النحوية بإيجاز واختصار مع تركيزها وتهذيبيها بما يبعدها عن الشواذ والضرورات التى تزيدها صعوبة وتعقيداً ، ومن هنا رأى النحاس أن تحقيق هدفه التعليمى من هذا الكتاب يتطلب منه تجنب ذكر الشواذ التى لا طائل وراءها من كتاب تعليمى هدفه فى المقام الأول السهولة والتيسير فى عرض المادة النحوية على المتعلمين .

---

(١) التفاحة ٨٩ : ٩٣ .

سادساً: العلة

يظهر اهتمام النحاس بالعلة واضحاً من خلال بعض الأمثلة التى تناولها ، فقد حاول أن يعلل رفع كلمة « زيد » ، ونصب كلمة « عمرا » فى مثل (ضرب زيد عمرا) ، يقول النحاس (... رفعت زيداً لأنه فاعل ، ونصبت عمراً ، لأنه مفعول به)[1] .

ويتكلم النحاس عن العلة التى ألزمت الفعل (ضَرَبَ) صورة الإفراد فى مثل : ضرب الزيدان العمرين ، وضرب الزيدون العمرين ، يقول النحاس (... وإنما قلت : ضرب ولم تقل ضربوا ، وهم جماعة ؛ لأن الفعل إذا تقدم وُحِّد ، وإذا تأخر ثنى وجمع للضمير الذى يكون فيه ، نحو قولك : زيد قام ، والزيدان والزيدون قاما وقاموا ، ثنيت قام وجمعته لأنه فعل متأخر)[2] .

ويذكر النحاس العلة التى من أجلها سميت حروف الرفع[3] بذلك ، فيقول (... وإنما سميت حروف الرفع ، لأنها أكثر ما يجئ بعدها مرفوع ؛ تقول من ذلك : إنما زيد قائم ، رفعت زيدا بالابتداء وقائم خبره ، ومثله : أين أخوك شاخص ، ومتى عمرو منطلق ، وكيف عبد الله صانع ، وإنْ زيدٌ إلاّ قائم ، ولولا زيد لكلمتك)[4] .

والعلة التى من أجله رفع مفعول مالم يسم فاعله - أى نائب الفاعل - أنه قام مقام الفاعل ، يقول النحاس (اعلم أن المفعول الذى لم يسم فاعله رفع أبدا لأنه قام مقام الفاعل ، تقول من ذلك : ضُرِب زيدٌ ، رفعت زيدا لأنه مفعول لم يسم فاعله ، ومثله : أُكرِم أخوك ، وكُلِّم عبد الله ، وصيغ الخاتم ، وبيع المتاع)[5] .

---

(١) التفاحة ١٤ . (٢) نفسه ١٤ (٣) نفسه ٤٦ . (٤) نفسه ٥٢ (٥) نفسه ٥٣

ثم يقول (وإذا كان الفعل يتعدى إلى مفعولين أو أكثر ، فارفع الأول ، وانصب الثانى والثالث ، نحو قولك : أعطى زيد درهماً ، رفعت زيداً ، لأنه مفعول لم يسم فاعله ، ونصبت الدرهم لأنه مفعول ثان ، ومثله : كُسِّىَ عمرو ثوبا ، وظن عبد الله شاخصاً ، وأعلم زيد عمرا مقيما)[1] .

ويعلل النحاس لرفع كلمة « العاقل » فى مثل « قام زيدٌ العاقل » ، يقول فى باب النعت (... رفعت زيدا بفعله ، ورفعت العاقل لأنه نعت لزيد ، وفى التثنية : قام الزيدان العاقلان ، وفى الجماعة : قام الزيدون العاقلون ، ومثله : جاءنى رجل صالح ، ومررت برجل ذى مال ، ولقيت أخاك ذا مال ، وكلمت أبا عمرو العاقل ، وكلمت أبوى عمرو الكاتبين)[2] .

والعطف هو علة الرفع فى كلمة « عمرو » فى مثل : جاء زيد وعمرو ، يقول النحاس (... رفعت زيدا لأنه فاعل ، ورفعت عمرا لأنه عطف عليه بالواو ، ومثله : رأيت زيدا فعمرا ، ومررت بزيد ثم عمرو ، وجاءنى القوم حتى زيد ، وضربت القوم حتى زيدا)[3] .

ويتكلم النحاس عن التوكيد ، ويذكر أن كلمة (نفسه) رفعت لأنها توكيد فى مثل (جاءنى زيد نفسه) ، يقول النحاس (... تقول من ذلك : جاءنى زيد نفسه رفعت زيد لأنه فاعل ، ورفعت نفسه لأنه توكيد لزيد ، ومثله : جاءنى القوم أجمعون ، ولقيتهم أجمعين ، ومررت بهم أجمعين ، ومررت بهم كلهم ، وبهما ، وكليهما ، وفى المونث أيضاً)[4] .

ويتكلم النحاس عن البدل ، يقول (... تقول من ذلك : جاءنى أخوك زيد ، رفعت الأخ بفعله زيدا لأنه بدل من الأخ ، وهذا بدل المعرفة من المعرفة)[5] .

ولعلة الحال نصبت كلمة «راكباً» فى مثل : جاء زيد راكباً ، يقول النحاس

---

(١) التفاحة ٥٤ . (٢) نفسه ٥٨ . (٣) نفسه ٦٥ . (٤) نفسه ٦٨ . (٥) نفسه ٦٩ .

(. . . نصبت راكباً على الحال ، أى جاء فى حال ركوبه ، ومثله أقبل زيد ضاحكاً ، وهذا أخوك منطلقاً ، وذاك عبد الله هارباً ، وعندك عمرو جالساً)[1] .

ولعلة النصب حذفت النون من الأفعال الخمسة المسبوقة بأداة نصب ، يقول النحاس (. . . وفى التثنية : أردت أن تذهبا ، وفى الجماعة : أردت أن تذهبوا ، وفى التأنيث : أردت أن تذهبى ، حذفت النون من الفعل فى التثنية والجماعة والتأنيث للنصب)[2] .

ويذكر النحاس علة نصب (فأحسن) فى مثل قولنا زرنى فأحسن إليك ، يقول (تقول فى الأمر والنهى : زرنى فأحسن إليك ، ولا تهجرنى فأسئ إليك ، نصبت أحسن ، وأسئ ، لأنهما جوابا الأمر والنهى بالفاء)[3] . ثم يقول (وتقول فى الاستفهام : أين زيد فنحدثه ، نصبت نحدثه ، لأنه جواب الاستفهام بالفاء ، وتقول فى التمنى : ليت زيدا عندنا فنكرمه ، نصبت نكرمه ، لأنه جواب التمنى بالفاء ، وتقول فى الدعاء : رزقك الله ما لا فتتسع به ، نصبت تتسع لأنه جواب الدعاء بالفاء ، وتقول فى الجحد : مالك مال فتنفقه ، نصبت تنفقه لأنه جواب الجحد بالفاء)[4] .

وقد تكون علة الجزم سبباً فى حذف النون من الأفعال الخمسة ، يقول النحاس (. . . وفى التثنية : لم تذهبا ، وفى الجماعة : لم تذهبوا ، وفى التأنيث : لم تذهبى . حذفت النون من الفعل فى التثنية والجماعة والتأنيث للجزم)[5] وقد يعبر عن هذا الجزم بحذف حرف العلة من الفعل المعتل ، يقول النحاس (واعلم أن كل فعل فى آخره واو أو ياء أو ألف ، فجزمه بحذف آخره ، نحو قولك : لم تقض ، ولم ترم ، ولم تدع ، ولم تغز ، ولم

(١) التفاحة ٧١ . (٢) نفسه ٣٥ . (٣) نفسه ٣٧ . (٤) نفسه ٣٨ . (٥) نفسه ٤٤ .

تخش ، ولم يرض ، حذفت الياء ، والواو ، والألف للجزم)[1] . فعله الجزم هنا هى السبب فى حذف حرف العلة .

يتضح مما سبق أن أبا جعفر النحاس يأخذ بالعلة ويهتم بها ، وقد حاول أن يجد تعليلاً لما يحدث فى الكلمات من رفع أو نصب أو جر أو جزم أو حذف مما كان يعرضه فى كتابه التفاحة .

سابعاً : العامل

أشار النحاس فى كتابه التفاحة إلى العامل ، وللعامل أثر فى الكلمة ، فقد يحدث النصب أو الخفض وقد يتجرد الاسم من العامل فيكون مرفوعاً ، ومن هنا فَسّر النحاس رفع المبتدأ بأنه تجرد من العوامل ، يقول (اعلم أن كل اسم يبتدأ به ولم يعمل فيه عامل ، ناصب أو خافض ، فإنه رفع ، وخبره رفع مثله إذا كان اسماً واحدا ، تقول من ذلك : زيد منطلق ، رفعت زيداً بالابتداء ، ورفعت منطلقاً لأنه خبر الابتداء)[2] .

ويُقَسِّم النحاس العامل إلى ناصب وخافض فقد تكلم عن الاسم المبتدأ الذى لم يعمل فيه عامل ناصب أو خافض[3] ، فيتكلم عن إن وأخواتها ، يقول (إن زيداً قائم ، نصبت زيداً بـ « أن » ورفعت قائماً لأنه خبر « إن »)[4] ، ويقول فى « كان زيدٌ قائماً ، رفعت زيداً لأنه اسم كان ، ونصبت قائماً لأنه خبر كان)[5] . ويتكلم النحاس عن حروف الخفض ، ثم يقول (. . . اعلم أن هذه تخفض ما بعدها ، تقول من ذلك : كتبت إلى زيد ، خفضت زيداً بـ « إلى » ، ومثله : مررت بزيد ، وحدثت عن بكر ، وجلست عند أخيك)[6] ، فالذى أحدث الخفض هنا حرف الخفض نفسه .

(١) التفاحة ٤٤ . (٢) نفسه ١٦ . (٣) نفسه ١٦ (٤) نفسه ٢٩ . (٥) نفسه ٣٠
(٦) نفسه ٢٦ .

وقد يكون العامل جازماً للفعل ، ومن هنا جاء الفعل (تذهب) مجزوماً فى مثل (لم تذهب يا فلان) ، يقول النحاس (... جزمت تذهب بـ « لَمْ »)[4] ، للحروف التى تجزم الأفعال المستقبلة[5] .

وقد يكون العامل ناصباً للفعل ، فقد عقد النحاس باباً للحروف التى تنصب الأفعال المستقبلة[6] ، ويمثل النحاس لذلك بأمثلة ، منها (أتيتك لتحسن إلىّ ، نصبت تحسن بلام كى ، وما كان عبد الله ليشمتك ، نصبت يشتمك بلام الجحود ، وتقول : لا تضرب زيدا وتأخذ ماله ، نصبت تأخذ بواو الصرف ، وتقول : لا أكرمك أو تعطينى نصيباً ، نصبت تعطينى بمعنى حتى تعطينى وإلى أن تعطينى)[7] .

ويتكلم النحاس عن العامل فى المجازاة - أى الشرط - فيوضح أن جزم فعل الشرط عامله « إنْ » وأمّا الجواب فقد جُزم لأنه جواب الشرط ، يقول (... وتقول فى المجازاة : إن تكرمنى أكرمك ، جزمت تكرمنى بـ « إن » ، وجزمت أكرمك لأنه جوابه)[8] .

يتضح مما سبق أن أبا جعفر النحاس كان يهتم بالعامل ، شأنه فى ذلك شأن المتقدمين الذين شغفوا بالعامل ، ولعل النحاس كان يتخذ من اهتمامه بالعامل مدعاه لتبرير بعض التغيرات النحوية التى قد يسأل عنها المتعملون ، ومن هنا رأى أن يوضح للمبتدئين أن ثمة عاملاً يُحدث هذا التغير أو ذاك فى الكلمة . ومن ثَمّ كان اهتمامه بالعامل فى هذا العمل التعليمى المختصر .

---

(١) التفاحة ٤٤ . (٢) نفسه ٣٩ . (٣) نفسه ٣١ .

(٤) نفسه ٣٥ . (٥) نفسه ٤٥ .

ثامناً: المصطلح النحوى فى كتاب التفاحة :

كان أبو جعفر النحاس يأخذ المصطلحات البصرية ، وإنْ كان أميل إلى استخدام المصطلحات الكوفية ، وفى كتاب التفاحة مصطلحات كوفية ترددت عبر صفحات الكتاب ، وهى :

- الخفض : يقول النحاس (.... والخفض للأسماء خاصة)[1] ، وقد عبر عنه البصريون بالجر ، ويستخدم النحاس المصطلح البصرى أيضاً ، فنراه يقول (اعلم أن الإعراب على أربعة أوجه : على الرفع والنصب والجر والجزم)[2] . ومعنى هذا أن النحاس كان يأخذ بالمصطلح الكوفى ولا يرفض المصطلح البصرى .
- حروف الخفض : عقد النحاس باباً سماه (باب حرف الخفض)[3] ، وهو ما عبر عنه البصريون بحروف الجر ، لقد ذكر النحاس فى تعريف الاسم أنه ما صلح فيه حرف من حروف الخفض[4] ، أى حروف الجر .
- الجحد : مصطلح كوفى عبر به النحاس عن النفى عند البصريين ، يقول فى باب حروف الاستثناء ، (.... وإن كان أول الكلام جحداً أجريت ما بعد إلاّ على ما قبلها من الإعراب على البدل ، كقولك : ما أتانى أحد إلاّ أبوك ، وما رأيت أحداً إلاّ أباك ، وما مررت بأحد إلا أبيك)[5] .
- المفعول الذى لم يسم فاعله : مصطلح كوفى ، عبر به النحاس عن نائب الفاعل عند البصريين ، وعقد باباً سماه باب المفعول الذى لم يسم فاعله ، جاء فيه (اعلم أن المفعول الذى لم يسم فاعله رفع أبدا ، لأنه

---

(١) التفاحة ٣ ، وانظر ص ٤ ، ٥ ، ٧ ، ٩ ، ٢٦ ، ٨٦ ، ٨٧ ، وانظر مجالس ثعلب ٢/ ٥٣٥ .

(٢) نفسه ٣ . (٣) نفسه ١٨ .

(٤) نفسه ١ ، وانظر ص ١٦ ، ١٨ ، وانظر مجالس ثعلب ٢/ ٥٣٥ .

(٥) نفسه ٨٥ ، ٨٦ ، وانظر ص ٣٥ ، وانظر معانى القرآن الفراء ١/ ٥٢ .

قام مقام الفاعل ، تقول من ذلك : ضُرِبَ زيدٌ . رفعت زيداً لأنه مفعول لم يسم فاعله)[1] .

- التفسير : عبر النحاس بهذا المصطلح الكوفى عمّا عبر به البصريون بـ « التمييز » ، يقول (.... واعلم أن كل شئ ذكرته مما يحتمل أنواعاً ثم فسرته بنوع نكره ، كان التفسير نصباً ، تقول من ذلك عندى خمسة عشر درهما ، نصبت الدرهم على التفسير)[2] . ويستخدم النحاس إلى جانب هذا المصطلح الكوفى المصطلح البصرى وهو التمييز ، فنراه يقول (... تقول من ذلك عندى خمسة عشر درهماً ، نصبت الدرهم على التفسير ، ويقال على التمييز)[3] .

- النعت : استخدم النحاس هذا المصطلح الكوفى للدلالة عمّا عبر به البصريون عن الصفة ، يقول فى باب ما يتبع الاسم اعرابه (... اعلم أن النعت تابع للاسم في إعرابه وتعريفه وتنكيره ، إن كان الاسم رفعاً فنعته رفع ، وان كان نصباً فنعته نصب ، وإن كان خفضاً فنعته خفض ، وإن كان معرفة فنعته معرفة ، وإن كان نكرة فنعته نكرة ، تقول من ذلك : قام زيد العاقل ، رفعت زيدا بفعله ، ورفعت العاقل لأنه نعت لزيد)[4] . وقد ذكر أبو حيان أن النعت مصطلح الكوفين ، ثم قال (... وربما قاله البصريون والأكثر عندهم الوصف والصفة)[5] .

- واو الصرف : عبر النحاس بهذا المصطلح الكوفى[6] عمّا سماه البصريون

(١) التفاحة ٥٣ ، ٥٤ ، وانظر معانى القرآن للفراء ١/ ٣٠١ .

(٢) التفاحة ٧٦ ، وانظر معانى القرآن ١/ ٢٢٥ ، ومجالس ثعلب ٢/ ٤٢٥ .

(٣) التفاحة ٧٦ .

(٤) نفسه ٥٨ ، وانظر معانى القرآن ١/ ١١٢ ، ٢/ ١٤٥ ، ١٤٦ .

(٥) همع الهوامع / ١١٦ .

(٦) انظر معانى القرآن للفراء ١/ ٣٤ ، ١١٥ .

بـ « واو المعية » ، وقد عدّها من الحروف التى تنصب الأفعال المستقبلة[1] .

يتضح مما سبق أن أبا جعفر النحاس كان يميل إلى استخدام المصطلحات الكوفية ، وإن كان هذا لا ينفى استخدامه لمصطلحات البصريين ، فقد كان يأخذ بمصطلحاتهم ، ثم يختار من مصطلحات الكوفيين ما يراه مناسباً .

وثمة مصطلحات أخرى استخدمها النحاس فى كتابه التفاحة فى النحو ، ومنها :

- العربية : استخدم النحاس هذا المصطلح للدلالة على أنواع الكلام ، فقد جاء فى باب أقسام العربية (اعلم أن العربية على ثلاثة أقسام : اسم وفعل وحرف جاء المعنى)[2] . فاستخدام المصطلح هنا يشير إلى الكلام ، وقد قسمه النحاس إلى اسم وفعل وحرف .
- فعل الاثنين والجمع ومخاطبة المؤنث الواحد ، استخدمه النحاس للدلالة على الأفعال الخمسة ، يقول (... ورفع فعل الاثنين والجمع ومخاطبة المؤنث الواحد ، يكون بالنون ، ونصبهما وجزمهما بحذف النون ...)[3] .
- فعل مستقبل : أراد به النحاس الفعل المضارع ، يقول فى باب أقسام الأفعال (اعلم أن الأفعال على أربعة أقسام : فعل ماض ، وفعل مستقبل ، والأمر ، والنهى)[4] ، فالفعل المستقبل هنا هو الفعل المضارع ، وقد عقد النحاس بابين ، أحدهما باب الحروف التى تنصب

---

(١) التفاحة ٣١ ، ٣٣ . (٢) نفسه ١ .

(٣) نفسه ٨ ، وقد استخدم الزجاجى (الأفعال الخمسة) ، انظر الجمل ٤ .

(٤) التفاحة ١٠ ، وانظر ص ١٠٣ .

الأفعال المستقبلة[1] ، والثانى باب الحروف التى تجزم الأفعال المستقبلة[2] ، فالأفعال المستقبلة هنا يراد بهــا المضارع ، ذلك أن النصب والجزم كــليهما خاص بالفعل المضارع .

لقد استخدم النحاس مصطلح الفعل المضارع أيضاً ، يقول (. . . والمضارع : ما كان أوله حرف من حروف الاستقبال . . .)[3] . وهذا معناه أن النحاس عبّر عن المضارع بمصطلحين أحدهما (المستقبل) والثانى (المضارع) .

- حروف الاستقبال : عبر النحاس بهذا المصطلح عن الحروف التى تحول الماضى إلى مضارع ، وهى حروف المضارعة ، يقول (. . . . حروف الاستقبال ، وهى أربعة أحرف : التاء ، والياء ، والنون ، والألف ، كقولك : تقوم ، ويقوم ، ونقوم ، وأقوم ، وما أشبه ذلك)[4] .

- المجازاة : مصطلح استخدمه النحاس للدلالة على الشرط ، يقول (. . . وتقول فى المجازاة : إنْ تكرمى أكرمك ، جزمت تكرمنى بـ « إنْ » ، وجزمت أكرمك لأنه جوابه ، فالأول شرط والجواب جزاء ، ومثله : إينما تكن أقصدك ، ومهما تصنع أصنع ، وأينما تذهب أذهب)[5] . ثم يقول (وإذا أدخلت الفاء فى جواب المجازاة ، رفعته ، كقولك : مَنْ يكرمنى فأكرمه ، ومن يقصدنى فأحسن إليه ، رفعت أكرمه ، وأحسن ، لأنه جواب المجازاة بالفاء)[6] .

- حروف المجازاة : عبر بها النحاس عن حروف الشرط ، يقول (. . . وحروف المجازاة ، وهى : إنْ ، ومَنْ ، ومَا ، ومهما ، ومتى ، ومتى ما ، وأين ، وأينما ، وكيفما ، وحيثما ، وإذا ما ، وإذ ما ، وأى ، وأيهم)[7] .

---

(1) انظر التفاحة ٣١ . (2) نفسه ٣٩ . (3) نفسه ١٠ . (4) نفسه ١٠ ، ١١ .
(5) نفسه ٤٥ . (6) نفسه ٤٥ . (7) نفسه ٤٠ .

- المعهود : مصطلح عبر به النحاس عن الاسم الذى فيه ألف ولام للتعريف ، وقد عده من المعارف[1] ، يقول (. . . والمعهود ما كان أوله ألف ولام للتعريف ، كقولك : الرجل والفرس والدار والثوب وما أشبه ذلك)[2] .

- المبهم : عبر به النحاس عن اسم الإشارة ، وعدّه من المعارف[3] ، يقول (. . . والمبهم ما يشار به إلى الشئ ، نحو قولك : هذا وهذه ، وذلك ، وذاك ، وتلك ، وما أشبه ذلك)[4] .

- المضمر : أراد به الضمير ، وهو من المعارف[5] ، يقول النحاس (. . . والمضمر نحو قولك : هو ، وهى ، وتثنيتهما ، وجمعهما ، ونحو «التاء» فى : ضربت ، و « نا » فى ضربنا ، و « نى » فى ضربنى ، والياء فى دارى ، وثوبى ، وما أشبه ذلك)[6] .

يتضح مما سبق أن أبا جعفر النحاس كان يأخذ بمصطلحات الكوفيين والبصريين ، فضلاً عن مصطلحاته الخاصة التى أوردها فى كتابه التفاحة ، ومن هنا كانت بدايات نزعته البغدادية فى اختيار ما يراه مناسباً من مصطلحات البصريين أو الكوفيين ، فقد كانت مصطلحاته فى كتاب التفاحة مزيجاً من هؤلاء وأولئك وهذا هو الأساس الذى قام عليه المذهب البغدادى ، الا وهو الاختيار من آراء ومصطلحات البصريين والكوفيين .

تاسعاً : النحاس وآراؤه النحوية :

يقوم الفكر النحوى للنحاس على أساس الاختيار من آراء البصريين والكوفيين ، ومن هنا يمكن أن نعده بغدادى المذهب ، فالمذهب البغدادى قام

---

(١) انظر التفاحة ٥٥ . (٢) نفسه ٥٦ . (٣) انظر التفاحة ٥٥ . (٤) نفسه ٥٦ .
(٥) انظر التفاحة ٥٥ . (٦) نفسه ٥٦ .

على أساس الاختيار من آراء هؤلاء وأولئك ، والنحاس يعد واحداً من العلماء الذين ينتمون إلى هذا المذهب البغدادى ، ويمكن أن نتناول آراء النحاس من خلال كتاب التفاحة فى النحو كمايلى :

- يرى النحاس أن الأسماء الخمسة معربة بحروف العلة ، يقول (... وخمسة أسماء معتلة مضافة ، رفعها بالواو ونصبها بالألف وخفضها بالياء ، وهى : أبوك ، وأخوك ، وحموك ، وفوك ، وذو مال . والنصب : أباك وأخاك وحماك وذا مال ، والخفض : أبيك وأخيك وحميك وفيك وذى مال »[1] . فحروف العلة هنا ، الألف والواو والياء ، هى علامة الإعراب فى الأسماء الخمسة ، وهذا الرأى يتفق مع قَطرب وهشام من الكوفيين ، والزجاجى من البغداديين[2] .

- ذهب النحاس إلى أن المثنى وجمع المذكر إعرابهما بالحروف لا نيابة عن حركات مقدرة ، فيرفعان بالألف والواو ، وينصبان بالياء ، يقول النحاس فى باب رفع الاثنين والجمع (ورفع الاثنين بالألف ونصبهما وخفضهما بالياء ، نقول فى الرفع : الزيدان والعمران والبكران ، وعلامة الرفع فيهما الألف التى قبل النون ، ونقول فى النصب والخفض : الزيدين والعمرين والبكرين ، وعلامة النصب فيهما الياء التى قبل النون . ورفع الجمع الذى على هجاءين : بالواو ، نحو قولك : الزيدون والعمرون والبكرون ، ونصبهم وخفضهم بالياء ، نحو قولك : الزيدين والعمرين والبكرين)[3] . إن ما ذهب إليه النحاس هنا هو رأى الكوفيين ، وقطرب والزجاج والزجاجى[4] .

- اختار النحاس رأى الكوفيين فى أن فعل الأمر معرب مجزوم ، لا مبنى

(1) التفاحة ٤ ، ٥ .　(2) انظر همع الهوامع ١/٣٨ .　(3) التفاحة ٧ .

(4) انظر همع الهوامع ١/٤٧ .

كما ذهب البصريون ، ومن هنا نراه وقد تناول فعل الأمر مع المضارع المسبوق بـ « لا الناهية » بوصفهما مجزومين ، يقول (.... وأما الأمر والنهى ، نحو قولك : قم واذهب ، ولا تدخل ، ولا تخرج ، وهما مجزومان)[1] .

- اختار النحاس رأى الكوفيين فى أن « حتى ، ولام الجحود ، ولام كى ، وفاء السببية ، وواو الصرف[2] - أى واو المعية - كلها تنصب المضارع دون تقدير « أن » ومذهب البصريين أن الناصب أن المضمرة[3] .

- يتفق رأى النحاس مع الأخفش فى أن المضاف إليه مجرور بالإضافة لا بالمضاف كما ذهب سيبويه[4] ، يقول النحاس (... وإذا أضفت اسماً إلى اسم فالثانى مخفوض بالإضافة ، تقول : غلام زيد ، وفرس عمرو ، ودار أخيك ، وثوب أبيك ، خفضت الثانى فى كل ذلك بإضافة الأول إليه)[5] .

- اختار النحاس رأى الكوفيين والأخفش فى أن « لاسيما » من أدوات الاستثناء[6] ، وذكر أن ما بعدها يجوز فيه الرفع والخفض ، يقول (... وإذا استثنيت بـ « لاسيما » فإن شئت رفعت ، وإن شئت خفضت ، كقولك : ضربنى القوم لاسيما زيدٌ ، ولاسيما زيدٍ)[7] .

- اختار النحاس رأى الكوفيين والبغداديين فى أن « بله » من أدوات الاستثناء[8] .

---

(١) التفاحة ١١ ، وانظر الانصاف ٢/ ٥٢٤ ، والهمع ١/ ١٥ .

(٢) انظر التفاحة ٣٢ ومابعدها .

(٣) انظر همع الهوامع ٢/ ٧ ، ٨ ، ١٤ ، ١٧ .

(٤) انظر الكتاب ١/ ٤١٩ ، ٤٢٠ ، همع الهوامع ٢/ ٤٦ .

(٥) التفاحة ٢٦ ، ٢٧ .

(٦) انظر التفاحة ٨٥ ، وشرح الجمل لابن عصفور ٢/ ٢٦٢ وهمع العوامع ١/ ٢٣٤ .

(٧) التفاحة ٨٧ .

(٨) انظر التفاحة ٨٤ ، وانظر شرح الجمل لابن عصفور ٢/ ٢٦٢ ، وهمع الهوامع ١/ ٢٣٥ .

- ذهب النحاس مذهب البصريين فى أن الفعل إذا تقدم وحّد ، وإذا تأخر ثنى وجمع للضمير الذى يكون فيه ، نحو قولك : زيد قام ، والزيدان والزيدون : قاما وقاموا ، ثنيت قام وجمعته لأنه فعل متأخر[1] .

- اختار النحاس مذهب البصريين فى أن المبتدأ يرتفع بالابتداء ، يقول (اعلم أن كل اسم يبتدأ به ولم يعمل فيه عامل ناصب أو خافض فإنه رفع ، وخبره رفع مثله ، إذا كان اسماً واحدا ، تقول من ذلك : زيد منطلق ، رفعت زيدا بالابتداء ، ورفعت منطلقاً لأنه خبر الابتداء)[2] . ومذهب الكوفيين أن المبتدأ يرفع الخبر ، والخبر يرفع المبتدأ ، فهما يترافعان[3] .

- اختار النحاس رأى الزجاجى فى عدّ « كان وأخراتها » حروفا[4] ، وعقد لذلك باب الحروف التى ترفع الأسماء وتنصب الأخبار ، وعد منها : كان وصار وظل وبات وأمسى وأصبح ولم يزل ولا يزال وما زال وما دام وما انفك[5] .

- عدّ النحاس واو رُبّ من حروف الخفض[6] ، وهذا مذهب الكوفيين وأما البصريون فمذهبهم أن واو رُبّ لا تعمل ، وإنما العمل لـ « رُبّ المحذوفة »[7] .

هكذا كان أبو جعفر النحاس يأخذ من آراء البصريين ولا يرفض آراء الكوفيين ، والظاهر أن ميله إلى السهولة والتيسير هو الذى دفعه إلى الأخذ تاره بآراء الكوفيين وأخرى بآراء البصريين ، ذلك أن التعصب لمذهب بعينه ليس هو الأساس فى تيسير النحو ، وإنما الأساس هو اختيار الرأى الأكثر مناسبة بعيداً

---

(١) انظر التفاحة ١٤ ، وانظر همع الهوامع ١/ ١٦٠ .

(٢) التفاحة ١٦ . (٣) انظر الانصاف ١/ ٤٤ . (٤) انظر التفاحة ٣٠ ، والجمل ٤١ .

(٥) التفاحة ٣٠ . (٦) انظر التفاحة ٢٣ . (٧) انظر الإنصاف ١/ ٣٧٦ .

عن كونه للبصريين أو الكوفيين فالأمر سيان ، ومن هنا تزاحمت الآراء البصرية جنباً إلى جنب الآراء الكوفية فى كتاب التفاحة ، فما دام هذا الرأى أو ذاك يحقق السهولة والتيسير فى عرض المادة النحوية للمتعلمين فلا مانع من الأخذ به ، وهذا هو الأساس الذى قام عليه المذهب البغدادى ، وأبو جعفر النحاس واحد من أعلام هذا المذهب .

عاشراً: مكانة كتاب التفاحة فى النحو التعليمى

أولاً: الكتب النحوية التعليمية المتقدمة على التفاحة

أ- الموفقى لابن كيسان ت ٢٩٩ هـ

ب- الموجز لابن السراج ت ٣١٦ هـ

يعرف الاتجاه التعليمى فى النحو كتابين تعليميين متقدمين على التفاحة للنحاس ت ٣٣٧ هـ ، أحدهما كتاب الموفقى فى النحو لابن كيسان ت ٢٩٩ هـ ، والثانى كتاب الموجز فى النحو لابن السراج ت ٣١٦ هـ ، لقد تأثر أبو جعفر النحاس بابن كيسان أيّما تأثر ، ذلك أن أبا جعفر النحاس كان تلميذا لابن كيسان ، ومن هنا سار التلميذ على نهج أستاذه فى التأليف فى النحو التعليمى من ناحية ، وفى اختياره المذهب البغدادى من ناحية أخرى ، لقد وضع ابن النديم ابن كيسان مع العلماء الذين خلطوا المذهبين[1] - يريد البصرى والكوفى - ووصفه بأنه كان فاضلا خلط المذهبين ، وأخذ عن الفريقين[2] . ومن هنا نرى أبا جعفر النحاس وقد سار على منهج أستاذه ، فقد كان يأخذ من أراء البصريين والكوفيين ، ومن هنا يمكن أن نعده بغدادى المذهب .

لم تذكر كتب التراجم والطبقات أية علاقة بين أبى جعفر النحاس

(١) انظر الفهرست ٨٧ .

(٢) نفسه ٨٩ ، وانظر طبقات النحويين للزبيدى ١٥٣ .

وأبى بكر بن السراج ت ٣١٦ هـ ، ولكن الاثنين يتفقان معاً فى كونهما من أصحاب المؤلفات التعليمية فى النحو، لقد صنف ابن السراج كتاب الموجز فى النحو، وهو كتاب تعليمى مختصر فى النحو، ويعد الموجز الكتاب الثانى فى الاتجاه التعليمى .

ويستكمل أبو جعفر النحاس مسيرة الاتجاه التعليمى ، فيؤلف كتابه التفاحة فى النحو ، ويعد كتاب التفاحة ثالث كتاب فى الاتجاه التعليمى .

تشترك هذه الكتب الثلاثة فى كونها تعليمية من ناحية ، وفى سهولة عرضها للمادة النحوية بعيداً عن الحشو والتعقيدات من ناحية أخرى ، فهى من المختصرات النحوية التى ألفت لتعلم النحو للمبتدئين . لقد أدرك أصحاب هذه المختصرات أن المؤلفات الموسوعية فى النحو لا تصلح للتعلم ، وذلك لكثرة شواهدها وغزارة مادتها العلمية ، ومن هنا شعروا بحاجة الناس إلى مصنفات نحوية موجزة تختلف عن كتاب سيبويه ت ١٨٠ هـ ، وعن المقتضب للمبرد ت ٢٨٥هـ ، بل وحتى عن مؤلفاتهم هم أنفسهم الموسوعية . فأصحاب الكتب التعليمية لهم إلى جانب ذلك كتب أخرى موسوعية . فأبو جعفر النحاس له مؤلفات تتسم بالموسوعية منها : إعراب القرآن ، وشرح أبيات سيبويه ، والقطع والائتناف ، ولابن السراج ت ٣١٦هـ كتابه الأصول فى النحو . إن المادة العلمية فى هذه الكتب لا تصلح للمبتدئين ، وذلك لصعوبتها وغزارة مادتها العلمية وكثرة شواهدها ، ومن هنا أدرك أصحاب هذه المختصرات أن مؤلفاتهم هم أنفسهم الموسوعية لا تصلح للتعلم ، ومن ثم بدأوا فى تأليف المختصرات النحوية التى تتسم بسهولة مادتها العلمية وقلة شواهدها مع التركيز على المادة النحوية بعيداً عن الشواذ والتعقيدات .

ويعد كتاب الموفقى[1] فى النحو لابن كيسان ت ٢٩٩ هـ أول كتاب فى

---

(١) كتاب الموفقى لابن كيسان تحقيق عبد الحسين الفتلى - مجلة المورد - المجلد الرابع العدد الثانى ١٩٧٥م من ص ١٠٣ - ١٢٤ .

الاتجاه التعليمى ، لقد صنف ابن كيسان هذا المختصر بعد أن سمع من رجل اسمه حسان أن الموفق بالله القائد العباسى طلب شيئا من مختصرات النحو ، ويبدو أن كتبا كانت قد صنفت له فى هذا المجال ، ثم صنف ابن كيسان كتاباً مختصراً آخر فى النحو ، وقد صرح ابن كيسان بهذا فى مقدمه كتابه ، فقال (. . . قال لى ابن حسان : طلب الموفق شيئاً من مختصرات النحو ، فَعُمِلَ له غير كتاب . قال أبو الحسن : فعملت أنا عند ذلك هذا الكتاب)[1] .

وإذا كان كتاب ابن كيسان قد بدأه بمقدمة توضح سبب تأليفه ، فإن كتاب الموجز لابن السراج ت ٣١٦هـ يخلو من المقدمة تماماً ، فقد بدأه ابن السراج بالكلام ، وأنه على ثلاثة أقسام : اسم ، وفعل ، وحرف ، ويبدو أن الكتاب يمثل مجموعة من المحاضرات أملاها أبو بكر بن السراج على تلاميذه ، فقد جاء فى آخره أن الناسخ كتبه من نسخة (مقروءة على الشيخ أبى على النحوى صاحب أبى بكر السراج ، وعارضته بنسخة بغدادية على ظهرها : أملاه علينا أبو بكر مجلساً مجلساً إملاءً ، وابتداء به فى سنة أربع وثلاثمائة)[2] .

وأمّا كتاب التفاحة فى النحو للنحاس ت ٣٣٧هـ ، فإنه يخلو من المقدمة أيضاً، وإن كان قد جاء فى أوله العبارة التالية: (هذا الكتاب مع صغر حجمه واختصار لفظه، فيه فائدة عظيمة، فلقد أتى بالمقصود بعبارة واضحة وطريقة سهلة ، وهو أوضح للمبتدئ من الأجرومية والملحة ، فهو الحقيقه بأن يقال فيه :

سهم الفناء أمضى مدى من رمحه   والسيف يوم طعانه وضرابه

فعليك أيها المبتدئ فى هذا الفن بحفظه ، وتحقيقه واتقان لفظه والله المستعان)[4] .

---

(١) الموفقى ص ١٠٦ .   (٢) الموجز ٢٧ .   (٣) الموجز ١٧٧ .   (٤) التفاحة ٢٨ .

والظاهر أن هذه العبارة كتبت متأخرة[1] ، وأنها من إضافات النُسّاخ ، فابن أجروم صاحب الأجرومية ت ٧٢٣هـ، والحريرى صاحب ملحة الإعراب ت ٥١٦هـ ، وكلاهما متآخران ، وهذا معناه أن هذه العبارة ليست ضمن متن التفاحة نفسه ، ولكنها كتبت متأخرة بدليل أن الإشارة فيها إلى الأجرومية وملحمة الأعراب ، وهذان الكتابان كلاهما متاخران على التفاحة ، ومن ثم فإن كتاب التفاحة يخلو من المقدمة ، وقد بدأه مؤلفه بالكلام عن أقسام العربية ثم باب الاعراب .

تتصل مادة هذه الكتب الثلاثة بالنحو اتصالاً وثيقاً ، فتعرض مادتها العلمية بإيجاز وباختصار وبأسلوب سهل يسير بعيداً عن الحشو والتعقيد ، ومن هنا جاءت هذه الكتب مختصرة وموجزة لتفى بحاجة المبتدئين ، ولتسد حاجة المتعلمين فى النحو .

يضم كتاب الموفقى فى النحو لابن كيسان ثلاثاً وثلاثين باباً تناولت أبواب النحو العربى كله فى سهولة ويسر ، واقتصرت المباحث الصرفية عنده على باب ما يعرض فى الأسماء ، وقد تناول فيه ابن كيسان جمع التكسير ، والتصغير والنسبة ، والكتاب يخلو من المباحث الصوتية تماماً . إن كلام ابن كيسان عن حروف الحلق جاء عرضاً عندما تناول باب معرفة الأفعال وتصرفها[2] ، يقول (... ويكون على فَعَل يفعِل ويفعُل نحو : ضرب يضرب ضرباً وهو ضارب والمفعول مضروب ، وكذلك يقتل قتلاً وهو قاتل والمفعول مقتول ، وهذا مستقبله يكون على وجهين بالضم والكسر جميعاً ، وربما فتح إذا كانت فيه حروف الحلق ، وهى : الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء ، وذلك أن تقع فى موضع اللام أو العين من فعل ، فيفتح فى الاستقبال)[3] . هكذا أشار ابن كيسان إلى حروف الحلق . ويبدو أن وعيه بأن الهدف من

---

(١) انظر كتاب التفاحة تحقيق د. ماهر عبد الغنى ص ٢٨ ، وانظر ايضاً تحقيق كوركيس عواد ص ٥٠٧ .

(٢) انظر الموفقى ١١٥ . (٣) نفسه ١١٦ .

كتابه أن يكون تعليمياً هو الذى دفعه إلى مثل هذا الإيجار والاختصار ، فقد رأى ألاّ يخصص باباً مستقلاً للأصوات حتى لا تنتفى صفة الإيجار من الكتاب ، فضلاً عن صعوبة هذا المبحث الصوتى

ومما تناوله ابن كيسان عرضاً دون أن يخصص له باباً مستقلاً الأدغام ، فقد أشار إلى إدغام التاء فى الطاء ، والدال[1] ، وعدّ من ذلك قوله تعالى ﴿ اطيرّنا بك وبمن معك ﴾[2] وقوله تعالى ﴿ ادارك علمهم ﴾[3] ، وقوله تعالى ﴿ وإذا اداركوا فيها ﴾[4] ، الأصل تطيرّنا بك وأدغمت التاء فى الطاء وأيضاً الأصل تداركوا فأدغمت التاء فى الدال[5] .

ويختلف كتاب الموجز لابن السراج ت ٣١٦ هـ من هذه الناحية ولقد تناول ابن السراج البحث الصوتى من خلال مبحث كامل جعله للإدغام[6] ، تناول فيه حروف المعجم ، ومخارج الحروف وأصنافها ، ثم تناول إدغام الحرفين المتماثلين ، وادغام الحرفين المتقاربين ، واخيرا عالج إدغام المخارج المتقاربة . إن البحث الصوتى عند ابن السراج جاء من خلال ظاهرة الإدغام التى عالجها ابن السراج فى آخر الموجز ، لم يتناول ابن السراج كل القضايا الصوتية فى مبحث واحد فثمة قضايا وردت متفرقة ، فقد عالج الإمالة فى مبحث مستقل جعله بعنوان ذكر الإمالة[7] ، وأوضح أن معناها : أن تميل الألف نحو الياء والفتحة نحو الكسرة ، ثم عقد بابا تناول فيه ما يمنع الألف من الإمالة[8] ، وباب الراء[9] ، وباب الفتحة الممالة[10] ، وهكذا جاء البحث الصوتى فى آخر الكتاب من ناحية ، وفى أماكن متفرقة من ناحية أخرى .

وأمّا كتاب التفاحة فى النحو للنحاس ت ٣٣٧ هـ فيخلو من المباحث

---

(١) انظر السابق ١١٨ . (٢) النحل ٤٧ . (٣) النمل ٦٦ . (٤) الاعراف ٣٨
(٥) انظر الموفقى ١١٨ . (٦) الموجز ١٦٥ وما بعدها . (٧) نفسه ١٣٩ وما بعدها .
(٨) نفسه ١٤١ . (٩) نفسه ١٤٢ . (١٠) نفسه ١٤٣ .

الصوتية والصرفية تماماً ، لقد جاء كتاب التفاحة ، نحوياً فقط ، عرض فيه مؤلفه للقضايا النحوية بأسلوب سهل ويسير بما يجعله موجزاً صالحاً لتعلم النحو للمبتدئين ، وقد رأى النحاس ألا يعرض للمبحثين الصوتى والصرفى حتى ولو عرضاً إذ أن مثل هذه الموضوعات قد تنفى من الكتاب صفة الإيجاز والاختصار من ناحية ، فضلاً عن صعوبتها من ناحية أخرى .

تكاد تتفق الكتب التعليمية فى قلة شواهدها ، ويرجع هذا إلى اهتمامها بالمادة العلمية مع التمثيل لها بأمثلة يسير سهلة تبعدها عن الصعوبة والتعقيد ، ومن هنا فإن كتاب الموفقى لابن كيسان ت ٢٩٩ هـ يخلو تماماً من الشواهد الشعرية والنثرية ، وقد اكتفى ابن كيسان بالاستشهاد بأجزاء من آيات قرآنية ، بلغ عددها ست آيات وجزء من أية. وأما كتاب الموجز فقد استشهد فيه ابن السراج بشواهد شعرية بلغ عددها ١٧ شاهدا ، وبلغ عدد الشواهد القرآنية ٢٧ شاهدا . ويخلو كتاب التفاحة لابى جعفر النحاس من الشواهد تماماً بجميع أنواعها الشعرية والنثرية ، وقد اكتفى مؤلفه بالأمثلة السهلة اليسيرة لتوضح ما يريد .

إن عدم اهتمام أصحاب هذه المؤلفات التعليمية بالشواهد أمر يتفق مع هدفهم فى كون هذه المؤلفات مختصرة وموجزة ، ومن هنا ركزوا على المادة العلمية مع عرضها بأسلوب سهل ويسير يبعدها عن التعقيد والصعوبة .

ثانياً: الكتب النحوية التعليمية المتأخرة على التفاحة حتى نهاية القرن الرابع الهجرى

ا - كتاب الجمل للزجاجى ت ٣٤٠ هـ

ب- كتاب اللمع لابن جنى ت ٣٩٢ هـ

لقد عرف الاتجاه التعليمى هذين الكتابين التعليمين بعد كتاب التفاحة لأبى جعفر النحاس ت ٣٣٧ هـ . والناظر فى هذين الكتابين يلاحظ منذ الوهلة الأولى كبر حجمهما بالقياس لكتاب التفاحة .

يخلو كتاب الجمل للزجاجي ت ٣٤٠هـ من المقدمة شأنه في ذلك شأن كتاب التفاحة ويعرض فيه مؤلفه لأبواب النحو العربي كلها بأسلوب سهل يسير يتفق والاتجاه التعليمي . وقد رأى مؤلفه أن يعرض لمباحث التصريف والأصوات في آخر كتابه[١] . فقد تكلم عن الحروف المهموسة والحروف المجهورة وعرضهما بأسلوب سهل يسير[٢] ولكن أبا جعفر النحاس لم يعرض لهذه الموضوعات ولهذا جاء كتابه مختصراً في النحو فلم يعرض فيه للمباحث الصرفية أو الصوتية ومن ثم جاء الكتاب صغيراً .

ومما انفرد به كتاب الجمل للزجاجي إضافة أبواب في الهجاء[٣] وأحكام الهمزة في الخط[٤] . وهذه المباحث التي تتصل بقضايا الإملاء والخط رأى النحاس الآ يعرض لها في كتابه التفاحه وقد ساعده هذا على أن يكون كتابه أكثر إيجازاً وأصغر حجماً .

ويتفق الجمل للزجاجي مع التفاحة لأبي جعفر النحاس في اختياره بعض المصطلحات الكوفية ، فنراه يستخدم الخفض، وحروف الخفض[٥] ، والنعت[٦] ، والجحد[٧] ، وما لم يسم فاعله[٨] . ولكن هذا لا يمنعه من الأخذ بمصطلحات البصريين ، وفي هذا ما يؤكد أن مذهبه كان قائماً على الاختيار من آراء المدرستين البصرية والكوفية ، وهذا الأساس أخذ به أبو جعفر النحاس من قبل في التفاحة .

وإذا كان كتاب التفاحة لأبي جعفر النحاس يعتمد على الأمثلة المصنوعة ويخلو من الشواهد (القرآنية والشعرية) فإن كتاب الجمل للزجاجي يعتمد في

---

(١) انظر الجمل باب التصريف ٣٩٩ . (٢) نفسه ٤١٢ ، ٤١٣ وما بعدها .

(٣) انظر الجمل باب الهجاء ٢٧٠ ، وانظر ص ٢٧٣ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

(٤) نفسه باب أحكام الهمزة في الخط ص ٢٧٩ . (٥) انظر الجمل ص ٦٠ .

(٦) الجمل ١٣ . (٧) نفسه ١٨٥ ، ٢١٠ . (٨) نفسه ٧٦ .

المقام الأول على الشاهد القرآنى[1] والشاهد الشعرى[2] بل ورد فيه حديثان شريفان[3] ، فضلا عن أقوال وأمثال للعرب[4] ، ولعل هذا ما ساعد على كبر حجم الجمل بالقياس لكتاب التفاحة ، فعدد الآيات القرآنية ١٣٨ آية وجزء من آية ، وعدد الشواهد الشعرية ١٦١ شاهدا .

وأمّا كتاب اللمع لابن جنى ت ٣٩٢ هـ ، فإنه يمثل نهاية القرن الرابع الهجرى . يشترك هذا الكتاب مع التفاحة لأبى جعفر النحاس ت ٣٣٧ هـ فى كونه من المؤلفات التعليمية فى النحو ، فهو كتاب تعليمى سهل الأسلوب عرض فيه ابن جنى لمباحث النحو العربى بإيجاز ، ولكن حجم هذا الكتاب يعد كبيراً بالقياس لكتاب التفاحة لأبى جعفر النحاس .

يتفق هذا الكتاب مع التفاحة فى بُعده عن عرض المسائل الصرفية والصوتية ، وقد بدأه ابن جنى بالحديث عن الكلام وأنواعه وباب المعرب والمبنى ثم ضم الموضوعات المتشابهة معاً ، وقد بدأ بالأسماء المرفوعة باب المبتدأ ، وباب خبر المبتدأ ، وباب الفاعل ، وباب المفعول الذى جعل الفعل حديثاً عنه وهو ما لم يسم فاعله ، أى نائب الفاعل ، ثم تناول الأسماء المنصوبة وعالج فيها باب المفعول المطلق ، وباب المفعول به ، وباب المفعول فيه ، وباب المفعول له ، والمفعول معه ، ثم تناول الأسماء المشبهة بالمفعول ، وعدّ منها : باب الحال ، وباب التمييز ، وباب الاستثناء ، ثم عالج المجرورات بحروف الجر والإضافة . ثم تناول ما يتبع الاسم فى إعرابه ومن ذلك باب

---

(١) انظر مثلا الجمل ص ٢٣ ، ٢٥ ، ٤٩ ، ٥٨ ، ٨٠ ، ١٠٥ ، ١٩٨ ، ٢١٥ ، ٣٥٣ .

(٢) انظر مثلاً الجمل ص ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٥ ، ٨٩ ، ١٧٢ ، ١٧٩ ، ٢١٦ ، ٢٢٩ .

(٣) انظر الجمل ص ٢٦١ ، وفيه حديث الرسول ﷺ (البكر تستامر ، والثيب تعرب عن نفسها ، وانظر ص ٢٠٨ ، وفيه (.. وروى عن رسول الله ﷺ ... قال فى بعض المغازى : لتاخذوا مَصَافَّكُمْ) .

(٤) انظر مثلا الجمل ص ١٢٠ ، ١٦٣ ، ١٦٧ ، ٢٠٢ ، ٣٣١ ، ٣٧٦ .

الوصف ، وباب التوكيد ، وباب البدل ، وباب عطف البيان ، باب العطف . ثم تناول إعراب الأفعال ، وعالج النسب والتصغير ، وعقد باب ألفات القطع والوصل ، وباب الإحالة ، وهو أخر ما عالجه ابن جنى فى اللمع .

إن هذا العرض يدل على عقلية علمية منظمة عرض فيها صاحبها للموضوعات المتشابهة وعالجها معاً ، لقد عرض ابن جنى مادة كتابه اللمع بأسلوب سهل ويسير ، ولكن هذا الكتاب يختلف عن التفاحة فى كبر حجمه من ناحية ، وفى كثرة شواهده من الشعر والقرآن من ناحية أخرى ، ولعل هذا ما ساعد على كبر حجم اللمع ، فقد كان ابن جنى يستشهد بشواهد شعرية على قضاياه التى يعالجها[1] . وكان يستشهد أيضاً بآيات من القرآن الكريم على القضايا التى يعالجها فى كتابه اللمع[2] ، لقد بلغ عدد الآيات المستشهد بها فى اللمع ٦٥ آية وجزء من آية . وبلغ عدد شواهد الشعرية ٨١ شاهداً وفى هذا ما يدل كثرة الشواهد فى كتاب اللمع مما أدى إلى كبر حجمه مقارناً بكتاب التفاحة لأبى جعفر النحاس .

ويتفق اللمع مع التفاحة فى الاختيار من آراء البصريين والكوفيين ، وهذا هو الأساس الذى قام عليه المذهب البغدادى فى النحو .

ومن هنا تكمن أهمية كتاب التفاحة لأبى جعفر النحاس ت ٣٣٧ هـ ، فهو كتاب تعليمى صغير الحجم يخلو من الشواهد الشعرية والقرآنية ، يعرض للموضوعات النحوية بأسلوب سهل يسير يجعله موجزاً ، اكتفى فيه مؤلفه بعرض الأسس النحوية بعيداً عن التعقيدات التى لا طائل وراءها وبعيداً عن مباحث التصريف والأصوات .

---

(١) انظر مثلا اللمع ص ٨١ ، ٨٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٩ ، ١٤٥ ، ١٧٣ ، ١٧٧ ، ١٩٠ ، ٢٠٣ ، ٢١٨ ، ٢٥٧ ، ٣١٥ .

(٢) انظر مثلا اللمع ص ٨٠ ، ٨١ ، ٩٧ ، ١١٤ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٥٦ ، ٢٥٤ ، ٢٩٨ .

وقد قام هذا الكتاب على الاختيار من آراء المدرستين البصرية والكوفية بعيداً عن التعصب لأحد المذهبين على الآخر ، مادام هذا الرأى أو ذاك يتمشى مع تحقيق الهدف المنشود وهو السهولة والتيسير التى يبتغيها المتعلمون فى النحو .

لقد أدرك العلماء أهمية كتاب التفاحة فى النحو لأبى جعفر النحاس وعرفوا قدره ومكانته ، فقد جاء فى صفحة عنوان المخطوط عبارة (هذا الكتاب مع صغر حجمه واختصار لفظه ، فيه فائدة عظيمة ، فلقد أتى بالمقصود بعبارة واضحة وطريقة سهلة ، وهو أوضح للمبتدئ من الأجرومية والملحة ، فهو الحقيقة بأن يقال فيه :

سهم الغناء أمضى مدى من رمحه والسيف يوم طعانه وضرابه

فعليك أيها المبتدئ فى هذا الفن بحفظه وتحقيقه واتقان لفظه والله المستعان)[1] .

إن هذه العبارة وإن كانت تدل على أهمية ومكانة كتاب التفاحة لأبى جعفر النحاس المتوفى ٣٣٧ هـ من ناحية ، فإنها تؤكد من ناحية أخرى أن أهمية هذا الكتاب ومكانته قد تجاوزت القرن الرابع الهجرى حتى أصبح كتاب التفاحة من أهم الكتب التعليمية على الإطلاق ، فقد فاق الملحة ، والأجرومية وكلاهما متأخران على التفاحة ، فالملحة للحريرى ت ٥١٦هـ ، والأجرومية لابن أجروم ت ٧٢٣هـ ، وقد فاقت شهرة التفاحة هذين الكتابين . وفى هذا ما يؤيد ما ذهب إليه الدكتور ماهر كريم من أن هذه العبارة كتبت متأخرة على النسخة المخطوطة[2] .

(١) انظر صفحة عنوان المخطوط - كتاب التفاحة تحقيق ماهر كريم ص ٢٨ وقد أدرجها كوركيس عواد فى هامش الصفحة ٢٠٧ من تحقيقه المطبوع بمجلة المجمع العلمى العراقى - عدد غير العادى - ١٩٦٥م.

(٢) انظر ص ٢٨ من كتاب التفاحة بتحقيق ماهر كريم .

حادى عشر : الخاتمة :

(١) كتاب التفاحة فى النحو لأبى جعفر النحاس ت ٣٣٧هـ يعد من أهم الكتب التعليمية فى النحو على الإطلاق وقد عرف العلماء أهميته ومكانته فى النحو التعليمى ، ووصفه النُسّاخ بأنه أفضل من الملحة للحريرى والأجرومية لابن أجروم .

(٢) يعد كتاب التفاحة فى النحو لأبى جعفر النحاس من أصغر الكتب التعليمية على الإطلاق ، فهو يخلو من الشواهد تماماً باستثناء بعض الأمثلة المصنوعة ، وقد ساعد هذا على صغر حجم الكتاب وإيجازه ، ومن هنا جاء الكتاب موجزاً صغير الحجم بالقياس للكتب التعليمية الأخرى .

(٣) يقوم هذا الكتاب على الاختيار من آراء ومصطلحات البصريين والكوفيين وهذه السمة تغلب على كل المؤلفات التعليمية الأخرى فليس المهم أن يكون الرأىَ بصريا أو كوفياً ، ولكن الأهم أن يكون الراى يسيراً بعيداً عن التعقيدات التى لا طائل وراءها .

(٤) يشترك أصحاب المؤلفات التعليمية فى كونهم من أبرز علماء القرن الرابع الهجرى بالإضافة إلى أنهم من أصحاب المؤلفات النحوية المطولة إن صح التعبير ، فالاتجاه التعليمى عندهم كان يسير جنباً إلى جنب المؤلفات النحوية الموسوعية أو المطولة ، فأبو جعفر النحاس له مؤلفات نحوية موسوعية مطولة منها : إعراب القرآن ، شرح كتاب سيبويه ، وشرح أبيات كتاب سيبويه ، وابن السراج ت ٣١٦ هـ ، له كتاب الموجز فى النحو التعليمى ، وله كتاب الأصول فى النحو ، وهو عمل موسوعى كبير يقع فى ثلاثة أجزاء ، قام بتحقيقه الدكتور عبد الحسين الفتلى ، وأعد فهارسه الدكتور محمود الطناحى ، وابن جنى ت ٣٩٢ هـ له كتاب اللمع فى النحو التعليمى ، وله مؤلفات مطولة موسوعية منها : الخصائص ،

وسر صناعة الإعراب ، والمنصف شرح التصريف للمازنى ، والمحتسب فى تبين وجوه شواذ القراءات .

ومن هنا نستطيع أن نقول إن أصحاب الإتجاه التعليمى أدركوا أهمية تيسير النحو وتخليصه من الشوائب والتعقيدات التى لا طائل وراءها ومن هنا أخذوا على عاتقهم تحقيق هذا الهدف ومن ثمّ كانت مؤلفاتهم التعليمية تهدف إلى الإيجاز فضلا عن السهولة والتيسير .

٥- يخلو كتاب التفاحة من المقدمة ، كما يخلو الشواهد تماماً ، ولكنه يحظى بكثير من الأمثلة السهلة المصنوعة ، وكلها أمثلة لا شذوذ فيها ولا تعقيد ، فهى أمثلة الهدف منها تقريب المادة النحوية للمبتدئين .

٦- كان النحاس يدعو إلى القياس التطبيقى فى كتابه التفاحة ، وقد تبين أنه لم يدع للقياس على الشواذ ، وقد كان فى دعوته للقياس على ما لم يذكره دعوة صريحة لإعمال الفكر حتى يساعد المتعلمين على قياس ما لم يذكره على ما ذكره .

٧- لم يعتد النحاس فى كتابه التفاحة بالسماع ولكنه أخذ بالسماع مرة واحدة فى باب التأنيث وهذا معناه أنه لم يرد أن يفتح الباب للسماع على مصرعيه تجنباً للشاذ وأخذاً بالمطرد فى الاستعمال .

٨- اهتم النحاس بالعامل شأنه شأن المتقدمين من النحاة ، ويبدو أن ذلك راجع لهدف تعليمى ، فقد يسأل المتبدئون عن حكم من الأحكام فى الكلمة وما يترتب على ذلك من رفع أو نصب أو جر أو جزم أو حذف وما إلى ذلك .

٩- لقد عرف التراث النحوى اتجاهاً جديداً فى التأليف التعليمى بدأ بكتاب الموفقى لابن كيسان ت ٢٩٩هـ ، وكتاب الموجز لابن السراج ت ٣١٦هـ ، وتوسط بكتاب التفاحة للنحاس ت ٣٣٧هـ ، وكانت نهايته

بكتابى الجمل للزجاجى ت ٣٤٠هـ ، واللمع لابن جنى ت ٣٩٢هـ ، وهو يمثل نهاية القرن الرابع الهجرى .

ويعد كتاب التفاحة للنحاس واحدا من هذه الجهود التى حظى بها القرن الرابع الهجرى وهو أكثر هذه الجهود التعليمية ايجازاً وأشدها اختصاراً ، وتكمن أهمية هذا الكتاب فى أنه يمثل مرحلة وسط بين كتب المتقدمين وكتب المتأخرين ، ولهذا الكتاب أهمية كبرى فى تاريخ النحو التعليمى فقد تجاوزت شهرته القرن الرابع الهجرى حتى وصف بأنه أوضح من الملحة للحريرى ت ٥١٦ هـ ، والأجرومية لابن أجروم ت ٧٢٣هـ .

المصادر والمراجع

١ - أبو البركات بن الأنباري - الإنصاف فى مسائل الخلاف - تحقيق محيى الدين عبد الحميد - القاهرة ١٩٨٢م .

- الإغراب فى جدل الإعراب ولمع الأدلة - تحقيق سعيد الأفغانى بيروت ١٩٧١م .

٢ - أبو بكر الزبيدى - طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - دار المعارف ١٩٧٣م .

٣- تمام حسان - الأصول دراسة فى الفكر اللغوى - الهيئة العامة للكتاب - ١٩٨٦م .

- اللغة العربية مبناها ومعناها - الهيئة العامة للكتاب - ١٩٨٥م .

٤- ثعلب - مجالس ثعلب - تحقيق عبد السلام هارون - دار المعارف ١٩٨٦م .

٥- أبو جعفر النحاس - كتاب التفاحة فى النحو - تحقيق ماهر عبد الغنى كريم - القاهرة ٩١ .

- تحقيق كوركيس عواد - مطبوعات المجمع العلمى العراقى - عدد غير العادى ١٩٦٥ - من ص ٤٩٥ : ٥٢٤.

٦ - جلال الدين السيوطى - الاقتراح فى علم أصول النحو - تحقيق أحمد محمد قاسم القاهرة ٧٦ .

- المزهر فى علوم اللغة - مطبعة السعادة ١٣٢٥هـ.

- بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة - تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - القاهرة ١٩٦٤م .

- همع الهوامع - بيروت - د . ت

٧ - ابن جنى - اللمع فى العربية - تحقيق حامد المؤمن - بيروت ١٩٨٥م .

- سر صناعة الإعراب - تحقيق حسن هنداوى - دمشق ٨٥ .

- الخصائص - تحقيق محمد على النجار - بيروت د . ت

٨- أبو الحسن القفطى - إنباه الرواه على انباه النحاة - تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - الهيئة العامة للكتاب ١٩٨١م .

٩- ابن خلكان - وفيات الأعيان - تحقيق إحسان عباس د . ت .

١٠- الزجاجى - الجمل فى النحو - تحقيق على توفيق الحمد - بيروت ٨٥م .

- مجالس العلماء - تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة ٨٣م .

١١- ابن السراج - الموجز فى النحو - تحقيق مصطفى الشويمى - بيروت ٦٥ .

- الأصول فى النحو - تحقيق عبد الحسين الفتلى - بيروت ٨٥ .

١٢- أبو سعيد السيرافى - أخبار النحويين البصريين - تحقيق طه الزينى وآخرين الحلبى ١٩٥٥م .

١٣- سيبويه - الكتاب - تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة ١٩٧٧م .

١٤- شوقى ضيف - المدارس النحوية - دار المعارف ١٩٦٨م .

- تيسير النحو التعليمى قديماً وحديثاً مع نهج تجديده - دار المعارف ٨٦م .

١٥- أبو الطيب اللغوى - مراتب النحويين - تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم القاهرة ١٩٧٤م .

١٦- عارف النكدى - التفاحة فى النحو - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق - الجزء الأول - المجلد ٤٢ عدد كانون الثانى يناير ١٩٦٧م من ص ١٤٩ - ١٥٢ .

١٧- ابن عصفور - شرح الجمل للزجاجى - تحقيق صاحب أبو جناح - العراق - ١٩٨٢م .

١٨- الفراء - معانى القرآن - تحقيق أحمد يوسف نجاتى وآخرين - دار المعارف ١٩٦٧م .

١٩ - ابن كيسان - الموفقى فى النحو - تحقيق عبد الحسين الفتلى - مجلة المورد - المجلد الرابع - العدد الثانى ١٩٧٥م - ص ١٠٣ - ١٢٤ .

٢٠- المبرد - المقتضب - تحقيق محمد عبد الخالق عضيمه - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - ١٩٦٣م .

٢١- محمود الطناحى - فهارس كتاب الأصول فى النحو لابن السراج - القاهرة ٨٦م .

٢٢- ابن النديم - الفهرست - بيروت - د. ت .

٢٣- ابن يعيش - شرح المفصل - القاهرة د. ت .